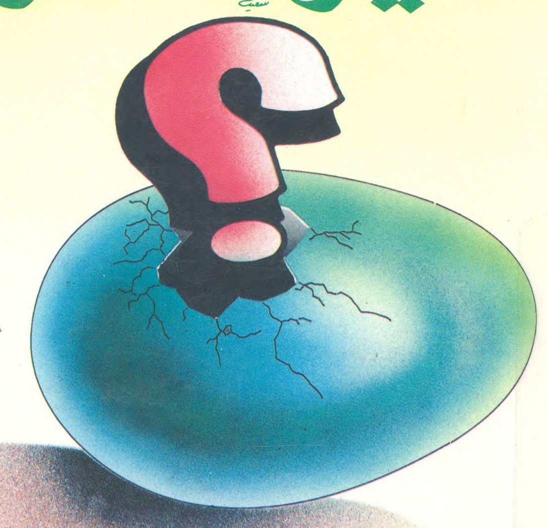




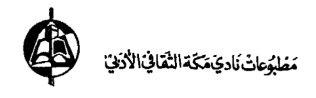
هل يكون الغد يوماً آخر



عبد الكريم عبد الله نيازي

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

اهداءات ٢٠٠٠
ا.د.رشيد سالم الناضورى
أستاذ التاريخ القديم
جامعة الإسكندرية



هل يكون الغد يوماً آخر

عبد الكريم عبد الله نيازي



الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

صمم الغلاف : عبدالعزيز رمال

الاهـــــــداء

■ الى نبض القلب والروح . . ومنية النفس والفؤاد فى كل زمان ومكان ! !

■ الى القلب الكبير . . والنفس الجياشة . . والعاطفة المتأججة ! !

■ الى الشعـور المـرهف . . واللحن الخـالـد . . والاحساس الرقيق . . والعطاء المتدفق ! !

■ الى زورق النجاة . . ومشعل النور . . فى صخب الأمواج . . وهدير الرياح . ودياجير الظلام . . وعنف الأعاصير ! !

■ إلى دوحـة الظل . . ونهر الحياة . . وشاطىء الأمن والأمان . . وواحة الحب والحنان . . ومصدر الحياة والوجود ! !

■ إلى الابتسامة المشرقة . . والصدر الحنون . . واليد الحانية . . ونبع العطاء ! !

■ الى المـلاك الـرحيم . . الذى كان يحنو على فراشى . . لأستقبل الليل فى هدوء . . وأغفــو الى النـوم فى حلم سعيـد . . والـذى كان يحنـو على فراشى لاستقبل النهار فى نور بهيج . . وهواء منعش ! !

■ إلى التى بدلت يأسى أمـلا . . وحـولت شقـاء الحيـاة سعادة وعزا . . وغرست فى نفسى معنى الطموح ! !

■ الى نسمة الهواء . . وشمعة الضياء . . وأريج العطور . . وسر الحياة ! !

■ الى الصـابـرة . . الصامدة . . رمز العمل والنضال . . وعنوان التفانى والتضحية والايثار وإنكار الذات ! !

■ الى والـدتى . . الحبيبـة . . الغـاليـة . . أهدى هذا الكتاب . . تقديرا لتضحيتهـا . . وعـرفـانـا بفضلهـا . . وأدعو الله سبحانه ان يهبها الصحة والعافية . . ويبارك فى حياتها . . ويمد فى عمرها . . عزا مؤملا . . وخيرا مرتقبا . . وسعادة مرجوة .

عبد الكريم عبد الله نيازى

مقدمة

■ الحمد لله فى اليسر والعسر.. والأمن والخوف.. والقوة والضعف.. والسراء والضراء.. وصلى الله على نبيه محمد الذى قوّض صرح الظلم الظالمين.. وحطم الأوثان والأصنام.. ورفض الذل للمؤمنين.. وأعلى كلمة الحق والدين والجهاد.

وبعد:

■ فقد حفل تاريخ فلسطين بداية من هذا القرن وحتى الآن.. بالكثير من الحروب والمعارك والصراعات والمؤامرات والضغوط.. والتنكر للعقيدة الاسلامية.. والقيم الأخلاقية والانسانية.. ومبادىء الحق والعدل والانصاف.. والظلم والارهاب الذى ظهر فى البلاد يشكل سلسلة متواصلة الحلقات من الجرائم والفظائع منذ وعد بلفور للصهيونية.. إلى فتح باب الهجرة اليهودية رغما عن إرادة شعب فلسطين بالقوة والقهر.. إلى قرارات التقسيم الجائره.. إلى إقامة الكيان الصهيونى المتعصب فى أرض العروبة والاسلام.. وطرد أهل البلاد من ديارهم وبلادهم بكل وسائل القوة والارهاب.. وكل دوافع الحقد والتشريد.. وسفك الدماء.. ونسف المنازل.. وتدمير القرى.. واغتصاب الممتلكات.. وسرقة الأرض والأموال.. واغتيال وأسر الكثير من عرب فلسطين.. وإخضاعهم لغطرسة وكبرياء

الاستبداد الصهيونى . . والحقد اليهودى . . وتوسيع نطاق الأرض للاستيطان الصهيونى البغيض . .

■ كل هذا بالاضافة الى الاستيلاء على القدس والمقدسات الاسلامية فى فلسطين . . وحرق المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . . وامتهان المقدسات الاسلامية الاخرى والاستيلاء عليها . . وتهويد مدينة القدس بكل أساليب العدوان الغادرة الطائشة .

■ منطق غريب حقا ! ! هذا المنطق الاسرائيلى . . أنه منطق اسرائيل فقط ! ! فإذا كان لابد من حرب . . فيجب أن تكون الحرب اسرائيلية . . وإذا كان لابد من سلام . . فيجب السلام الاسرائيلى فقط . . وإذا كان لابد من وجود . . فيجب أن يكون الوجود الاسرائيلى وحده . . كل القوة والارهاب والغطرسة والعدوان لاسرائيل وحدها منذ زرعت فى قلب العالم العربى وحتى الآن .

■ وهكذا كانت اسرائيل منذ خمس وثلاثين سنة . . ولاتزال تمارس منطق القوة والارهاب . . وسياسة التوسع والاستيطان . . والتهديد والوعيد . . والتشدد العملى . . والتساهل الكلامى .

■ الكل كان يقول ان اسرائيل حريصة على السلام . . لأنها لا يمكنها أن تخسر معركة أخرى مع العرب . . لأن معناه نهايتها وفناؤها . . ولكن منطق الواقع والاحداث يؤكد أنها دولة عنصرية عدوانية . . فسياسة التوسع والاستيطان هى سياستها وهدفها . . وضم مدينة القدس وتهويدها مايزال مشكلة المشكلات بالنسبة للعرب والمسلمين . واحتلال اجزاء من لبنان العربى . . وضرب المقاومة الفلسطينية فى لبنان أكبر

شاهد على عدوانها وعنصريتها . . والشرعية الاسرائيلية ماتزال قائمة على منطق الحرب والعدوان والاغتصاب . . وماتزال تمارس دبلوماسية الصدمات والمفاجآت . . وتعديل الأدوار وفرض سياسة الأمر الواقع . . والتحدى السافر للقانون الدولى . . والأعراف الانسانية . . وكل قرارات الأمم المتحدة .

■ تهويد مدينة القدس بالغدر والقوة والارهاب . . أقرب شاهد على العدوان والعنصرية . . رغم أن القدس العربية جزء لا يتجزأ من الأراضى العربية التى احتلت منذ عام ١٩٦٧م . . ولايجوز ضم الأرض والسيطرة عليها عن طريق القوة المسلحة .

■ وقضية القدس بالذات هى أخطر المناطق الساخنة فى الصراع العربى الاسرائيلى . . بل الصراع الدولى الاسرائيلى . . وهى شديدة الخطورة فى الاخلال بالتوازن الدولى . . ولها مضاعفاتها وعواقبها التى لا يمكن التغافل عنها . . لأن ملايين الملايين من المسلمين والمسيحيين فى العالم كله . . من كافة شعوب الأرض . . ومن جميع قارات العالم . . يصرون على رفض تهويد القدس . . ويجمعون على أن قانون اسرائيل المحلى والمنفرد . . يحول المنطقة كلها . . والعالم أجمع الى مستودع بارود يهدد أمن وسلام العالم كل بالفناء والدمار ! !

■ ومن الغريب أن اسرائيل تغلف منطقها فى قضية القدس بالتاريخ والتوراة . . لتبرهن وتدلل على أن القدس يهودية منذ القدم ! !

■ وهذا هو الأسلوب الذى يتشدق به دائما حكام الكيان الصهيونى . . لاضفاء الطابع التاريخى والقانون والديني على قضية سياسية ! !

■ واذا كان قد فات حكام اسرائيل وساستها ان يفهموا القانون الدولى والأعـراف الانسـانية . . فانه لايجوز أن يفوتهم إدراك حقائق التاريخ . . فالحقـائق التـاريخية والدينية تجمع كلها على أن القدس عربية قبل حكم المسلمـين لها سنـة ١٧ هجرية ٦٣٨ ميلادية . . لأن سكان القدس كانوا جميعـا عربـا من المـوجـات الارامية والكنعـانيـة والعمورية وغيرها من الشعوب والقبائل التى سبقت الاسلام .

■ ويمكن لنا أن نضع اليوم هذه الحقائق التاريخية أمام الرأى العام العالمى :

■ العرب هم الذين أنشأوا مدينة القدس لأول مرة فى ا لتاريخ منذ نحو ٤٠٠٠ سنه قبل الميلاد . . واعتبروها مقدسة منذ نحو ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

■ غزا اليهود القدس فى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد وأسسوا فيها مملكة دواود وسليـمان . . ولم يحكمـوا حكـما موحدا الا مدة سبعين سنة . . ثم تجزأت المملكـة وانهـارت اجـزاؤهـا . . وتوزع اليهود فى الدول العربية وغيرها على شكـل جماعـات صغـيرة . . فى الـوقت الذى ظل فيه أغلب الشعب والحكام فى القدس عربا كنعانيين .

■ تسمية القدس تسمية عربية قديمة تعنى الطهارة . . وبيت المقدس هو البيت المطهر . . وقد سماها العرب أيضا دار السلام . . وقرية السلام . . ومـدينـة السـلام . . وهى ترجمـة لاسمهـا القـديم «أور مسالم» لأن كلمة «أور» تعنى قاعـدة أو مدينـة . . فأسـماء القدس كلها عربية الأصول . . بيومية أو كنعانية .

■ وقـدسيتهـا فى نظـر العـرب المسلمـين منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة لوجـود الحـرم الشـريف الـذى يحتـوى على المسجـد الأقصى ومسجـد الصخـرة و ٣٥ مسجـدا أثريا . . وقدسيتها فى نظر العرب المسيحيين منذ نحو ألفى سنة لوجود كنيسة القيامة وأهم المزارات المسيحية .

■ والتـوارة تصف فى سفـر القضاة صلة اليهود بالقدس سنة ١١٥٠ قبل الميـلاد إذ اقـترح غلام اسرئيلى . . على سـيده الاسرائيلى ايضا . . وقد ادركهـما الملل أن يعـرجـا على القدس ليقيما فيها ليلة . . فقال له سيده ما نصه حرفيا : لا تمل الى مدينة غريبة . . لا أحد فيها من بنى اسرائيل . . وتشير التوراة فى سفر القضاة الى مقاومة أهل القدس العرب لغزو اليهود لها .

■ يؤكـد التـاريـخ المسيحى أنـه فى سنـة ٧٠ قتل القائد الرومانى تيطس معظـم من كان فى القـــدس من اليهـــود واستبـــاح أمـــوالهم . . ودمـــر هيكلهم . . وقضى على كل أثر لهم .

■ دخـل عمـر بن الخطاب القدس سنة ٦٣٨م وكان اليهود جالية صغيرة جدا . . وظل العرب فى البلاد الى التاريخ المعاصر .

■ كان عدد اليهـود فى القـدس فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ١٥٠ شخصـا . . وفى أوائـل القـرن الثـانى عشر سنة ١١٧٠م لم يكن فى القـدس الا عائلة يهوديـة واحـدة . . أمـا فى سنة ١٩٤٩م فقد ازداد عدد اليهـود الى نصف سكـان المـدينة بسبب الهجرة الناتجة عن تطبيق سياسة وعد بلفور الاستعمارية الجائرة .

■ فالقـدس مدينـة عربية منذ فجر التاريخ وقبل أن يحتلها داود بأكثر من

ألفى سنة . . ولكن مسئولية عروبتها تحتاج الى جهود مضنية وطويلة وشاقة . . والقوة العربية وحدها هى القادرة على اثبات عروبة القدس . . كما أن الدول العربية هى صاحبة الحق والتاريخ فى القدس العربية . . كما ان الدول العربية هى صاحبة القول الفصل بحكم القيمة الكبرى التى تتمتع بها . . بصفتها أهم المناطق القابلة للانفجار فى الصراع الدولى . . وأكبر منتج للبترول فى العالم . . من انتاجها السنوى يكاد يقترب من رقم خيالى . . وتملك أكبر مخزون من البترول تحت الأرض . . وموقعها الجغرافى والتاريخى من أكبر العوامل الذى يجعلها وحدها صاحبة القرار .

■ ودون شك فإن جميع الدول العربية والاسلامية معنية بقضية عروبة القدس . . شاءت ام أبت . . لانها قضية قومية . . قضية وجود . . وليست قضية حدود .

■ والذى يشكل جذور المأساة هى القضية الفلسطينية الفريدة فى قضايا العالم المعاصر . . فالغزو اليهودى لفلسطين هو فى حقيقته غزو استعمارى رأسمالى حاقد على جزء من أرض العروبة والاسلام . . وهو فى نفس الوقت غزو يهودى صهيونى استيطانى حاقد أيضا . . التقت فيه أهداف الاستعمار الغربى الشريرة . . مع المطامع اليهودية الصهيونية الشريرة . . مع المقاصد الشيوعية الشريرة . . وهذا الالتقاء لم يكن عفويا . . وإنما كان وليد اتفاقيات ومؤامرات تمت بين الادارة الاستعمارية والادارة الصهيونية . . على جعل أرض فلسطين وطنا لليهود يجمعون فيه شتاتهم . . ويقيمون دولتهم . . لتكون هذه الدولة رأس حربة للغرب

ينطلق منها الى أية بقعة فى العالم الاسلامى الذى أطلقوا عليه أسم الشرق الاوسط . . ليثبت الغرب فيها نفوذه . . ويحمى مصالحه فى العالم . . ويفرض سيادته الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية عليها لاستغلالها وتحويل مسيرتها الحضارية .

■ ان هدف الصهيونية وكل القوى الاستعمارية التى تؤيدها من إقامة اسرائيل هو إقامة مركز استغلالى يدير الوطن العربى وأفريقيا من خلفه لحساب الصهيونية والاستعمار .

■ وقد تركزت الجهود الاستعمارية والصهيونية المتحالفة على إيجاد المناخ الملائم . . والظروف المناسبة . . لتثبت هذه الدولة اليهودية الاستيطانية العنصرية وحمايتها . . على مرتكزات أهمها :

■ تقسيم المنطقة الى أوطان ضعيفة وتفتيتها بحيث لا تستطيع الاعتماد على نفسها . . وإنما تعتمد على الخارج المتمثل فى الدول الاستعمارية حتى تبتعد عن التفكير فى الوحدة التى تمنحها القوة وحرية الحركة .

■ بذر بذور الشقاق بين شعوب المنطقة . . وافتعال المنازعات والخصومات والخلافات بين الدول المحيطة بالدولة اليهودية . . وجعلها تتصارع الى الأبد حول المشكلات التى تتوالد دون توقف . . لتفتيت طاقتها . . وتفتيت الوحدة الاسلامية . . بابقاء هذه الشعوب فى دوامة الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة متنافرة غير قابلة للتماسك .

■ إفقار الدول المحيطة بالدولة اليهودية عن طريق محاصرة هذه الدول اقتصاديا . . ومنعها من التقدم . . والحيلولة بينها وبين الاعتماد على أى

عنصر من عناصر القوة والنمو والاعتماد على النفس . . واتفاقية سايكس بيكو ١٩١٥م تنص على ذلك .

■ إضعاف الروح المعنوية لدى شعوب المنطقة عن طريق نشر وسائل الفوضى . . وافساد الاخلاق . . وتدمير القيم . . وطبع الجيل الجديد على أخلاق غريبة عن حياته وعقيدته وقيمه ومثله . . وذلك بايجاد جيل يائس . . فاقد الحماس لدينه وقيمه ووطنه وعقيدته وشرفه وأصالته . . حتى تتحطم الكبرياء الاسلامية . . لدى الجيل الجديد . . فلا تؤثر فيه دوافع الجهاد الذى يفرضها الاسلام . . وحتى يصل الى حالة نفسية يتقيل فيها وجود الدولة . . اليهودية على أرضه ودياره ووطنه .

■ دعم الدولة اليهودية عسكريا واقتصاديا وسياسيا . . وجعل قوتها تعادل قوة الدول العربية المحيطة بها . . وهو ما سمي بمبدأ «توازن القوى» الامر الذى كان موضع اهتمام الساحة الغربية دون استثناء . . حتى تكون الدولة اليهودية فى حالة تتصرف من خلالها باعتبارها الادارة الوحيدة الفاعلة . . والقوة الضاغطة فى منطقة الشرق الاوسط .

■ فتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين . . بحيث تستوعب الملايين من اليهود الذين يهاجرون من جميع بلدان العالم الى فلسطين . . وتهيئة المدن والمستعمرات والمستوطنات لتوطينهم . . وأخذ مواقعهم فى الدولة اليهودية بعد طرد أهل البلاد منها . . ودون شك فان هذه المستوطنات تشكل بطبيعتها حصونا دفاعية فى حالة الحرب . . وأوراقا رابحة اثناء الحوار السياسى والمفاوضات الدبلوماسية . . وسوف تكون عقبة كأداء عند اتخاذ الاجراءات لتحرير الارض المقدسة .

■ فى عام ١٩٠٧م وجه المستر كامبل بيترمان رئيس وزراء بريطانيا آنذاك السؤال التالى الى اللجنة التى ألفها من المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والبترول والزراعة.. يقول كامبل بيترمان فى سؤاله:

ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر الى حد ما، ثم تنحل رويدا ثم تزول.. فهل لديكم أسباب ووسائل يمكن ان تحول دون السقوط أو الانهيار؟ أو تؤخر مصير الاستعمار الاوربى.. وقد بلغ الآن الذروة.. وقد أصبحت اوربا قديمة.. استنفذت مواردها.. وشاخت معالمها.. بينما العالم الآخر لايزال فى مطلع شبابه؟!

■ وقد عكفت اللجنة على دراسة الموضوع.. وكتبت تقريرا احالته الى وزارة الخارجية التى قامت بدورها بتحويله الى وزارة المستعمرات.. وقد جاء فى التقرير ان الخطر المهدد يكمن فى البحر المتوسط.. ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد.. تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة والآمال.. وكل مقومات التجمع والترابط والاتحاد.. فضلا عن نزعاته الثورية.. وثرواته الطبيعية.. وطالب التقرير بأنه على الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على تجزئة هذه المنطقة وابقاء شعبها على ما هو عليه.. من تفكك وتناحر وتأخر.. وطالب بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عن جزئها الاسيوى.

■ واقترحت اللجنة اقامة حاجز بشرى قوى غريب على الجسر البرى الذى يربط آسيا وأافريقيا.. ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط..

بحيث يشكل فى هذه المنطقة . . وعلى مقربة من قناة السويس . . قوة صديقة للاستعمار . . وعدوة لأهل سكان المنطقة .

■ وكان لبريطانيا غاية كبرى فى اقامة دولة اليهود فى منطقة الشرق الاوسط . . لأنها رأت أن قناة السويس تشكل شريانا حيا لضمان حياتها . . وهى طريقها الى الهند واستراليا ونيوزيلنده . وكانت ترى أن العالم العربى إذا تحققت وحدته . . هدد هذه الطريق الحيوية . . وبالتالى عرض مصالحها للخطر فى الشرق كله . . ومن أجل ذلك اصرت على قيام دولة لليهود . . تكون أداة لضرب اية وحدة بين المسلمين . . ولاشغالهم فى محاربة اليهود . . واستنزاف طاقاتهم . . وحتى تكون هذه الدولة وسيلة من الوسائل الكبيرة فى القضاء على الحضارة الاسلامية فى المنطقة .

■ وفى اوائل سنة ١٩١٥م كتب هيربرت صموئيل عضو الوزارة البريطانية بعنوان : «مستقبل فلسطين» الى الحكومة البريطانية برئاسة اللورد اكسفورد . . واقترح فيها هجرة ثلاثة أو أربعة ملايين يهودى الى فلسطين تحت الحماية البريطانية . . وقال فيها : ونكون قد اوجدنا بذلك دولة جديدة موالية لبريطانيا بجوار مصر وقناة السويس .

■وليس من الحقيقة فى شىء ما زعمته بريطانيا بانها زرعت اسرائيل فى قلب الوطن العربى لاعتبارات انسانية او اخلاقية . . شفقة على اليهود المضطهدين فى العالم . . اذ لو كان الأمر كذلك . . لما فكرت فى طرد شعب واحلال شعب آخر محله . . لان الاعتبارات الانسانية والاخلاقية لا تتجزأ . . وانما الحقيقة التى دفعت بريطانيا الى ايجاد الدولة

اليهـوديـة . . ان تكـون هذه الـدولـة عونـا لبر يطـانيـا فى السيطرة على المستعمـرات . . وبقـاء مصـالحهـا الحيـويـة فى العـالم . . وتحقيق سيادة الحضـارات الغـر بيـة وضـرب الـوحـدة الاسـلاميـة . . وقهـر الحضارة الاسلامية واذابتها فى بوتقة حضارة الاستعمار.

■ وقـد احتلت الصهيـونيـة فلسطـين لتكـون وطنا قوميا ليهود العالم . . ومـركـزا لدولتهم . . وقـد اغـراهـم وسـاعـدهـم على تحقيق هذا الهدف مجموعة الدول الكبر ى . . فكانت الغزوة الاستيطانية الشرسة التى تعنى بداهـة اخـلاء البـلاد من سكـانهـا . . واجـلاءهـم عنها . . وطردهم منها والقــذف بهم فى ارجــاء العــالم بلا ارض ولا وطن ولا أمــل . . وقـــد استخـدمت الصهيـونيـة فى ذلـك كل الـوسـائـل والاسـاليب الـوحشية الاجرامية غير الاخلاقية .

■ هذه لمحات عن احتلال اليهود للقدس وفلسطين . . والاسلام يحفزنا دائـما على رفض الهـزيمة . . ويرشدنا الى التحرر ورفع الظلم . . واباء الضيم . . ويحثنا دائما على الجهاد فى سبيل الله . . وحماية الارض والشرف والكرامة . . فإما الحياة العزيزة . . واما الاستشهاد الكريم .

■ والاسـلام يحث ايضـا على المحافظة على أرض فلسطين والقدس . . والتمســك بكـل جزء من الوطن الكبير . . من أقصى الشرق الى اقصى الغـرب . . فهـو يربط فلسطين بالعالم الاسلامى بصورة قوية رائعة حين اعتـبرهـا ثغـرا . . بل الثغر الأهم فى الدفاع عن أرض الاسلام بعامة . . ومكــة والمـدينـة خاصـة . . والـدفـاع عن وحـدة المسلمـين فى الشـرق والغـرب . . وسـماهـا الارض المبـاركة . . وجعل القدس التى فى وسطها

مسرى الرسول الكريم . . وقبلة المسلمين الاولى .

■ وعلى الرغم مما يبذله الغربيون والصهاينة من قطع العلاقة بين المسلمين وفلسطين والقدس والمسجد الاقصى . . إلا أن كل مسلم فى الأرض يشعر بعمق ويحس بحرارة . . ان القضية قضيته . . وان الدم المراق فوق ثرى الارض المباركة . . هو نزيف قلوب المسلمين جميعا .

■ ولقد عانت الامة الاسلامية من ضعف الفكر وضحالته واضطرابه . . فهى تأخذ الأمور بسطحية . . وتعالج المشكلات على غير أساس من الواقع والحقيقة . . والضرر المؤثر على الحياة العقلية للمسلمين انهم تعودوا اصدار الاحكام الشمولية . . والتزام المواقف الارتجالية وكل قضية لايجوز ان تفصل من أصولها وظروفها وجزئياتها .

■ لقد عانت الامة الاسلامية حين اهملت التفكير فى الحقائق التفكير الصحيح . . والنظر اليها نظرة جادة . . نتيجة التضليل الذى مارسته مؤسسات الغرب الاستعمارى فى بلاد المسلمين .

■ ومن هذا المنطلق فقد كان كتابى هذا : « هل يكون الغد يوماً آخر» بحثا موجزا يشتمل على مجموعة من الحقائق الفكرية . والأحداث التاريخية التى كان لابد من ذكرها . . ولم يكن هدفى مجرد سردها فقط . . أو مجرد تصويرها . . ولكننى قصدت أن أضعها امام أعين الجيل الجديد . . جيل الشباب والمثقفين . . للانتفاع بهذه الحقائق . . والاستفادة من هذه الاحداث . . عن طريق التفكير فيها بجدية وعمق . . مما يكون له اكبر الاثر فى حياة الافراد والمجتمعات .

■ والحقـائق الفكـريـة ليست لها آيـة فائـده ان لم نتمسـك بالأفكـار . . ونستفيـد من مضـامينهـا . . ونـترجمهـا الى أعـمال ايجـابيـة . . وكـذلـك الاحـداث التاريخية هى الاخرى ينبغى ان نأخذ منها العبرة . . ونستلهم منهـا الـدروس . . لنخطـو نحـو مسـيرة التحـريـر والانتصـار والعـزة والكرامة . . ونسير نحو المستقبل بروح الامل والنجاح والفوز والتفاؤل .

■ وفى نهايـة هذه المقـدمـة يطيب لى ان أضـع مجمـوعـة من الاهـداف والغـايـات لتكـون بمثـابـة المشاعل التى تضيء للأمة الاسلامية طريق مسيرتها . . وحتى يكون التفكير مثمرا . . والعمل ايجابيا بناء :

■ ان قضيـة القـدس هى قضيـة كل العـرب وكل المسلمين . . بل قضية العالم كله . . وليست قضية دولة واحدة .

■ ان العرب دون شك عليهم دور أكبر فى التعامل مع هذه القضية . . والعالم اليوم يعرف لغة المصالح . . ولا يكترث كثيرا بالمظاهرات الكلامية .

■ ان قضيـة القـدس هى جزء من قضيـة المشكلة الفلسطينيـة . . وبكل المقـاييس فلقـد أصبـح لهذه المشكلة اليوم فهم أوضح فى عقول العالم . . وردود الفعـل يجب ان تحرص على الخـط الذى وصلت اليه هذه المشكلة الفلسطينية . . تضيف اليه ولا تنفصل عنه .

■ ان ساحـة الجهـاد الاسـلامى مفتـوحة لكل من يريد . . فهل هناك فى السـاحـة الاسـلاميـة من يستطيـع او يرغب أن يشـارك ويعطى ويقـدم ويجاهد؟! والمهم ان يعرف الذين يريدون الجهاد . . هو كيف يكون الجهاد .

■ ان تاريخ العرب حافل بالأخطاء . . وأسوأ أخطاء العرب هو فى أوقات الأزمات التى يستدرجون اليها . . وشىء من قراءة صفحات التاريخ واجب ومفيد فى كثير من الاوقات والاحوال . . لتصحيح المسار . . وتلافى الاخطاء .

■ وقد أصبح من المؤكد انه ليس فى مقدور العرب والمسلمين تغيير موقف الغرب من اليهود بسهولة وبشكل جذرى . . وليس فى مقدور العرب والمسلمين أيضا اقناع السلطة الحاكمة فى الكيان الصهيونى بالعدول عن غرورهم وصلفهم . . والتوقف عن اطماعهم . . واعادة الحق الى أهله . . فالواجب ان يعلم أبناء الامة العربية والاسلامية حق العلم ان اليهود لن يفهموا الا لغة القوة . . ولن تجدى معهم إلا وسائل الردع والزجر والغلبة والتفوق . . وان القدس وفلسطين لن تعود الا بالجهاد فى سبيل الله كطريق وحيد للتحرير .

■ وهذا كتابى «هل يكون الغد يوما آخر» اقدمه لأبناء الامة العربية والاسلامية بكل تواضع . . للاسهام فى توضيح الرؤية . . وتحديد معالم الطريق . . والله من وراء القصد . . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين .

المؤلف

عبدالكريم عبدالله نيازى

مكة المكرمة

الخميس ١٤٠٤/٤/١ هـ

٤ يناير ١٩٨٤م

إشتهر عن السلطان عبدالحميد رفضه عروض ـ هرتزل ـ المغرية مقابل فتح المجال امام تحقيق الاطماع الصهيونية فى فلسطين. .وتكررت الاشارة لموقف عبدالحميد هذا في تاريخ قضية فلسطين وان كانت اشارات عارضة لا تفصيل فيها.

ويسجل لعبدالحميد. . انه لم يصغ لاغراءات اليهود واتصالاتهم العديدة. . وعروضهم مساعدة السلطان فى سياسته الاوربية ولانشاء اسطول عثمانى ولتسديد ديون الدولة العثمانية. .

ومع ان هذه العروض كانت مهمة جدا بالنسبة للوضع العام فى الدولة وكان اليهود يصوغون طلباتهم بعيدة عن فكرة الغزووالاحتلال. . فان عبدالحميد رد عليها بالرفض القوى.

وقد سجل هرتزل فى يومياته عام ١٩٠١ عن رد عبدالحميد «انصحوا الدكتور هرتزل بأن يتخذ خطوات جدية فى هذا الموضوع أنا لا أستطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يمينى بل ملك شعب. . لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه. . فليحتفظ اليهود بملايينهم. . واذا مزقت امبراطوريتى يوما فإنهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن. . أما وأنا حى فان عمل المبضع فى بدني لأهون على من ان ارى فلسطين قد بترت من

امبراطوريتى فهذا امر لن يكون.

ولكن.. ما هى تفاصيل موقف عبدالحميد هذا ؟ واين يقع هذا الموقف من سياسته العامة.. وما قصة هرتزل معه ؟ ثم الى اى مدى حدث التغلغل الصهيوني فى فلسطين خلال حكمه ؟

فى محاولتنا الاجابة على هذه الاسئلة.. سنستفيد مما سجله هرتزل فى يومياته لتتبع تحركاته واتصالاته آخذين بعين الاعتبار ان تلك اليوميات هى صفحات سجلها صاحبها وهى لا تخلو من زيف كثير.. ولكنها فى الوقت نفسه مصدر اساسى لمعرفة تحركات هرتزل واتصالاته ورؤيته للأمور..

كما سنستفيد من بعض الوثائق العثمانية ومن الدراسات التى تناولت التغلغل الصهيوني فى فلسطين..

بدأت قصة ـ هرتزل ـ مع السلطان عبدالحميد بعد ان تبنى هرتزل الدعوة الى ـ الدولة اليهودية ـ ونشر كتيبا بهذا العنوان عام ١٨٩٦ وباشر السعى لعقد المؤتمر الصهيوني الاول الذى نجح فى عقده فى اغسطس عام ١٨٩٧م فى مدينة بال بسويسرا.

وهو يروى فى يومياته كيف ان صديقه الصهيوني «لاندو» اوحى له منذ ٢١/٢/١٨٩٦م «بفكرة جيدة» وهى ان يوسط مع السلطان صديقه «نيولنسكي» ناشر «بريد الشرق» وعميل سياسى نمساوي اصبح صديقا لعبدالحميد ـ ليهيء له مقابلته لان فلسطين تقع ضمن ممتلكاته الاسيوية.

كما ان صديقا آخر لهرتزل هو «صموئيل مونتاجو» وهو صهيونى بريطانى

من رجال المصارف ـ اوحى له فى الفترة نفسها من خلال مقال كتبه بفكرة رشوة السلطان بمليوني جنيه مقابل الحصول على فلسطين . . وهكذا اتجه هرتزل منذ مايو ١٨٩٦م للاتصال بالسلطان عبدالحميد.

اعتمد هرتزل ـ للنفاد الى عبدالحميد . . والوصول الى اهدافه . . اسلوب تقديم المال واداء خدمات اخرى وركز على المال لادراكه بحاجة عبدالحميد له . . وسوء اوضاع الدولة المالية وقد شرح خطته فى التعامل مع السلطان فى حديثه لدوز نفيلد رئيس تحرير البريد العثمانى ـ باستنبول قال فيه :

«اننا سندفع لتركيا كثيرا ونقدم عطايا كبيرة لمن يتوسط لنا . . ان نحن حصلنا على فلسطين . . فنحن مستعدون ان نسوى اوضاع تركيا المالية سنأخذ الاراضى التى يمتلكها السلطان ضمن القانون المدني» . .

ولم تمض بضعة ايام على محاولة «هرتزل» جس نبض السلطان تجاه عرضه حتى جاءه الجواب بواسطة ـ نيولنسكى ـ الذى طرح الموضوع على عبدالحميد وسجل هرتزل حديث صديقه . .

«ان السلطان لن يتخلى ابدا عن القدس . . يجب ان يبقى جامع عمر بيد المسلمين» .

ولم يوقف هذا الجواب ـ هرتزل ـ عن مساعيه . . ولم يثنيه عن عزمه . . بل نظر اليه كبداية يمكن تغييرها . . وهكذا تابع مساعيه واستمرت صلته بعبد الحميد طيلة السنوات الثمانى الباقية وحتى وفاته عام ١٩٠٤م .

وقام هرتزل خلال هذه المدة بخمس زيارات لاستانبول كما كتب

عشرات المذكرات للسلطان . . وقدم عددا من العروض وقابل السلطان مرتين .

كانت زيـارة هرتـزل الاولى لعـاصمة الدولة فى ١٨ /٦/١٨٩٦م وقد مهـد لها بتقـديم خدمـات للسلطان حتى تدخل فى القضية الأرمنيه التى كانت تشغـل السلطـان مع صديقـه ـ نيـولنسكى ـ وبتقديم عرض مبلغ عشـرين مليـون ليرة . . تأخـذهـا الـدولـة العثـمانيـة ثمنا لفلسطين حمله نيولتسكى للسلطان .

وفى تلك الزيارة اجرى هرتزل اول اتصال رسمى ومباشر مع المسئولين العثـمانيـين فالتقى ـ بجـاويد بك ابن الصدر الاعظم ـ واحد رجال وزارة الخارجية ـ نورى بك ـ .

ولم يلبث ان جاءه رد السلطـان المحـدد على عرض العشـرين مليـون ليرة نقله له نيولنسكى . . الذى قال :

«قـال السلطـان لى : اذا كان ـ هرتـزل صديقـك ـ بقدر ما انت صديقى فانصحه ان لا يسير أبدا فى هذا الأمر . . لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد . . لانها ليست لى بل لشعبى . . لقد حصل شعبى على هذه الامـبراطـوريـة باراقـة دمـائهم . . وقـد غزوهـا فيها بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل ان نسمح لاحد باغتصابها منا . . لقد حاربت كتيبتان من جيشنا فى سوريا وفى فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد الاخر لان احدا منهـم لم يرض بالـتسليم . . وفضلوا ان يمـوتـوا فى ساحـة القتـال . . الامـبراطـوريـة الـتركيـة ليست لى وانـها للشعب التركى لا استطيع ان اعطـى جزءا منهـا . . ليحـتـفـظ اليهـود بمـلايينهم . . فاذا قسمت

الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل. . انها لم تقسم الا على جثتنا ولن اقبل بتشريحنا لاى غرض كان.

وبقى هارتزل بعد هذا الرد الشديد بضعة ايام اخرى فى استانبول حاول فيها ازاء هذا الفشل. . ان يستميل السلطان عن طريق خدمته فى القضية الارمنية. . وبالمال. . واعادة قبرص للدولة التى كان عبدالحميد قد منحها لبريطانيا مقابل خدماتها الدبلوماسية فى نزاعه مع الدول الاوربية الاخرى.

وكان هرتزل يستوحي عروضه من لقاءاته برجال من عصبة البلاط. . وقد سمع قبل مغادرته استانبول من نيولنسكى. . ان السلطان عبدالحميد سينظر فى امر مقابلته. . وانه سأل هل اليهود مصممون على اخذ فلسطين بأي ثمن. . الا يمكن ان يعيشوا فى بلد آخر.

فأجاب نيولنسكى: «فلسطين مهدهم. . اليها يريدون ان يرجعوا» فعقب السلطان قائلا «ولكن فلسطين مهد الاديان الاخرى كذلك». . وغادر هيرتزل استانبول يوم ١٨٩٦/٦/٢٨م دون ان يقابل السلطان عبدالحميد.

ويتضح لنا مما اثبته هرتزل فى يومياته عن موقف عبدالحميد من عروضه فى هذه المرحلة. . ان السلطان العثمانى كان رافضا لها رفضا قاطعا وانه عبر عن تمسكه بالقدس. . وتمكسه بوحدة الدولة العثمانية كما عبر عن وعيه بأن فلسطين هى مهد الاديان كلها الامر الذى يؤكد بطلان النطق الصهيونى.

ويبرر هذا الموقف ان السلطان عبدالحميد كزعيم للجامعة الاسلامية

لا يمكن ان يغفــل عن دور القـدس فيهـا ولا يمكن ان يفـرط بها . . كما يبر ره كسلطـان عثماني حريص على وحـدة الدولة ومستشعر مسئوليته فى حفظ الميراث الذى آل اليه . .

ولا يخلو شعوره هذا من احساس بتركيته . . وان كنا لسنا متأكدين من استخدامه لفظ «الامبراطورية التركية والشعب التركي» لان ذلك يتنافى مع التعبيـرات العثمانية السائدة آنذاك . . واغلب الظن ان هرتزل سجل هنا لغته هو وليس لغة السلطان الحرفية .

ولكن يتضح ايضا . . ان السلطان عبدالحميد لم يغلق الباب نهائيا فى وجه اتصالات هرتزل وعروضه . . بل ترك مجالا امام من يوسطهم هرتزل لنقـل ما يعـرض . . وكـان دافع عبدالحميد ان يعمل على الاستفادة من المـال والنشـاط الصهيـونى . . دون ان يدفع الثمن . . وقد سجل هرتزل تخوفـه من هذه الحقيقـة حين نقـل عن صمـوئيـل مونتاجو . . «ان اول ما يشـك فيـه مونتـاجـو هو السلطـان اذا تم دفـع جزيـة القرض له . . فانه سيرمى بالمهـاجـرين اليهـود جانبـا . . وكـان مونتـاجـو هذا قد فشـل مع عبدالحميد حين توسط للسماح لليهود باستعمار شرق الأرض عام ١٨٩٣م .

كما يتضح اخيرا مما اثبته هرتزل فى يومياته ان المجال كان مفتوحا امامه مع عصبـة البـلاط وانـه استطاع ان يصل الى عدد من رجالها ويوسطهم لايصاله للسلطان مقدما الثمن اللازم .

ومع ان هذه الزيارة الاولى حملت معها خيبة امل لهرتزل بالنسبة لخطته الا انها مهدت الطريق امامه لاجراء اتصالات المرحلة الثانية . . وكان من

ثمارهـا حصـولـه على وسـام منحـه له السلطـان وقـد استلم براءتـه فى ٢٢-١٠-١٩٦١م وشجعه ذلك ان يكتب للسلطان «حينما يسر جلالتكم ان تقبلوا خدمـات اليهـود سيسعـدهـم ان يضعـوا قواهم تحت تصـرف ملك عظيم مثلكم . .

ولابـد انـه كان لعصبـة البـلاط التى نفذ اليها هرتزل الدور الكبير فى الايحـاء للسلطـان لمنح الوسام . . كما ان مساعيهم لم تصطدم مع اسلوب عبدالحميد الذى قرر الاستفادة من هرتزل .

ونـلاحـظ ان هرتـزل باشـر فى الـوقت نفسـه . . وبنشـاط دائب . . الاتصـال بالـدول الاوربيـة الاستعمارية . . للتآمر على السلطان والدولة العثمانية . . وللتمهيد لنجاح مشروعه الصهيونى . . فاجرى اتصالات مع روسيا وبريطانيا والمانيا .

عاود هرتـزل الاتصـال بالـدولـة العثمانية بعد شهر . . وكان مما انعش آمـالـه ما عمله عن نيـة القيصر الالمانى ـ غليوم ـ القيام بزيارة رسمية الى الـدولـة العثـمانيـة . . ومـا سمعـه من صديقـه ـ نيـولنسكي ـ عن حـاجة السلطان الى المال من جديد فى مارس عام ١٨٩٧م .

وهـكـذا اجـرى اتـصـالات مع السفـير العثـماني فى النمسـا فى ٢٤-٣-١٨٧٩م ومـع السفـير العثمانى فى المانيا ٤-٢-١٨٩٨م وكان على اتصال بعملائه فى استانبول ينقلون له أخبار السلطان .

وقد اثمرت جهوده عن دعوة رسمية تلقاها من المانيا ليقابل القيصر في القـدس . . وكـان امله ان ينجح فى اقناع القيصر بمشروعه . . وان ينجح القيصر بعد ذلك فى اقناع السلطان بقبول طلبات الحركة الصهيونية .

وبدأ هرتزل رحلته الثانية الى الدولة العثمانية فى ١٤-١٠-١٨٩٨م فاتجه اولا الى الاستانة وفى نيته متابعة سيره الى فلسطين . . وقد سجل فى يومياته تخوفه من ان يغتال فى فلسطين . . فكتب «انى مقدم على رحلة طويلة لا تخلو من الخطر . . وقد حذرونى بانه قد تكون هناك محاولة لاغتيالى فى فلسطين » .

ونجح هرتزل فى مقابلة القيصر اثناء وجوده باستانبول يوم ١٨-١٠-١٨٩٨م وحدثه عن مشاريعه وعروضه . . واخذ موافقته على ان يلقى خطابا امامه فى فلسطين . . ثم سافر هرتزل من استانبول الى الاسكندرية بحرا . . وسار من مصر الى فلسطين .

وهناك قام باستقبال صهيوني رسمى للقيصر على ابواب مستعمرة «مسكنة اسرائيل» وباستقبال رسمى آخر فى القدس يوم ٢-١١-١٨٩٨م القى فيه خطابا امام القيصر . . ولكنه لم يحصل من القيصر على وعد بفلسطين على الرغم من محاولاته واغراءاته وغادر هرتزل فلسطين يوم ٥-١١-١٨٩٨م من يافا الى الاسكندرية .

وقد سجل فى يومياته تساهل رجال الادارة العثمانية تجاه نشاطه فكتب : «فى فلسطين تأزمت الامور معى . . ولو كان رجال الحكومة التركية على شىء من بعد النظر السياسى لكانوا وضعوا نهاية لاعمالى . . وكانوا يستطيعون ان يفعلوا ذلك منذ وصولى الى القسطنطينية . . وكل ما كان عليهم ان يفعلوا لوضع حد لاعمالى هو ان يطردوني من البلاد او يرسلوا الى بعض الشرطة عندهم فى زى اللصوص» .

ولم تثمر جهود هرتزل مع قيصر المانيا . . الثمار التى كان يتوقعها

ويـرجـوهـا فقـد رفض القيصر ان يعطيه وعدا بفلسطين . . كما رفض ان يتبنى قضيـة الحـماية فى القدس . . وعاد هرتزل بعد ان حول نشاطه الى عدة دول اوربية طيلة اشهر تلت ليواصل اتصالاته بالسلطان عبدالحميد .

وقـد مهـد لاتصـالات المرحلة الثالثة ببرقية ارسلها للسلطان بمناسبة بدء جلسـات المؤتمـر الصهيونى الثالث الذى عقد ببال فى ١٣ـ٨ـ١٨٩٩ تعبر عن الولاء وعن الامل بتلبية السلطان بالرجاء ونشط للاتصال المباشر فى متصف السنـة التـالية عن طريق مستشرق اسمه «فامبرى» كان يهوديا هنجـاريـا اسلم وتنصـر وكـان صديقـا شخصيا للسلطان . . وقد اثمرت جهـود ـ فامـبرى ـ فى مايـو ١٩٠١م فاخـبر «هـرتـزل» ان السلطـان سيستقبله . . ولكن ليس كصهيـونى بل كرئيس لليهـود وصحافى نافذ . . وان موافقـة السلطـان جاءت بعـد بذل جهـد كبـير من جانب (فامبرى) وتردد من جانب السلطان عبدالحميد .

توجـه هرتـزل لاستـانبـول يوم ١٣ـ٥ـ١٩٠١م . . وكانت تلك زيارته الثـالثـة لها . . وجرت مقابلته مع السلطان عبدالحميد يوم ١٨ـ٥ـ١٩٠١ وامتدت لأكثر من ساعتين .

بدأ هرتزل حديثه بالاعتراف باحسان معاملة السلطان لليهود، واعلن انـه يضـع نفسـه فى خدمـة السلطـان ، وحاول الحصول على ثقته بتأكيد سرية المقابلة وسرية ما يجرى فيها . .

وجعـل مدخله الاسـاسى لجذب اهتـمام عبـدالحميد موضوع «الدين العـام» الـذى مثله بالشوكة فى قدم الاسد ـ الذى هو عبدالحميد ـ وادعى لنفسه دور اندروكليس الذى اخرج الشوكة فى القصة القديمة المشهورة . .

وكـان هرتـزل يعـرف تماما مدى تأثير موضـوع الـدين العـام على عبدالحميد، وقد كتب فى يومياته فى ١٩٠٢/١/٢٠م .

«يرغب كوهين ـ الاسم الرمزى للسلطان عند هرتزل ـ كثيرا فى وضع الـدين تحت سيطـرتـه فان «ادارة الـدين» هى مصـدر اعظم احـزانـه وتعـاسـاته . . ان فوائدها عالية بشكل جنوني . . وهو بها ليس سيد بيته، وقد وعدنى بكل ما اريد إذا حررتهِ منها» .

وطلب هرتزل بعد تأكيد السرية مرارا توفير طريق اتصال سريع بينه وبين السلطان، ثم تقدم بعروضه ومشاريعه الاقتصادية وختمها بطلبه تصريحا لصالح اليهود، ويعلن بشكل مناسب فى الوقت المناسب . .

وسجـل هرتـزل فى يوميـاتـه : انـه نجح فى اثارة اهتمام السلطان ـ فقد أثـرت إهتـامـه وعرضت عليه برنامجا للمستقبل بخطوطه العريضة حول كل ما يمكن فعله فى هذه المـدينـة الـرائعـة وفى الامـبراطـورية ـ ووضع تقييمـه للمقـابلة بعـد ثلاثة ايام منها غادر خلالها تركيا، فنظر الى المقابلة على ان ـ قيمتهـا بالنسبـة الى سيـاستـه فقـط . . واعتقـد ان بالامكـان

الاستفادة من هذه الاشياء لصالح الحركة.

كما سجل هرتزل انطباعاته عن السلطان الذى أوردناه.

انه رجل ضعيف وجبان ولكن طيب القلب. . لا اعتبره داهية ولا صانعا، بل سجينا تعيسا ترتكب بطانة طماعة رديئة السمعة باسمه اقبح رجس. .

وسجل رأيه فى تلك البطانة فوصفها بانها «عصابة من اللصوص والأفاكين» وبان عبدالحميد اسم جماعى لها وباسمه تقترف أفعالها وفظائعها.

عبدالحميد وأطماع الصهيونية:

واذا نظرنا الى موقف عبدالحميد من هرتزل وعروضه فاننا نجد بداية، انه كان واعيا لاطماع الحركة الصهيونية، وكان يفرق بين الصهيونية واليهودية. . ولذا فانه حين قبل أن يقابل هرتزل استقبله «ليس كصهيونى بل كرئيس لليهود وصحافى نافذ» وقد رد عبدالحميد على شكر هرتزل له ـ لانه يحسن الى اليهود ـ قائلا:

ولم يكن قوله هذا مجاملة فلقد كرر مرارا، وفى مناسبات مختلفة قبل ذلك. . فحين قال القيصر الالمانى بعد عودته من زيارة فلسطين لعبدالحميد «الصهيونيون لايشكلون خطرا على تركيا. انما اليهود هم المزعجون ونريد ان نتخلص منهم» اجاب السلطان كعادته بانه لا يتذمر من رعاياه اليهود. . وقد ذكر عبدالحميد لهرتزل «انه حافظ دائما على ابقاء امبراطوريته مفتوحة امام اللاجئين اليهود كملجأ لهم، حين اضطهدوا فى بعض الدول الاوروبية».

فرق عبدالحميد اذن بين اليهودى المعاهد والصهيونى . . ونظر الى الاول كواحد من الرعية ان كان من المقيمين فى الدولة العثمانية وكواحد من البشر وله حق اللجوء ان كان غريبا اضطهد . .

ونظر الى الثانى باعتباره خطرا يمثل الاستعمار والاغتصاب . . ويتضح من وعى عبدالحميد لخطر المعركة الصهيونية من الارادة السنية التى اصدرها فى ٥ اكتوبر عام ١٩٠٠ تحت رقم ٢٤٠٩ لمنع اقامة الاسرائيليين الدائمة فى فلسطين . . وكان عبدالحميد قد تنبه مع بداية تحرك هرتزل لخطورة الحركة الصهيونية فاصدر ارادته تلك فى الفترة بين زيارة القيصر ومقابلة السلطان هرتزل . . واكد عبدالحميد هذه الارادة حين علم بتراخى الموظفين فى تطبيق الامر . . وقد عممت وزارة الداخلية الى جميع الولايات العثمانية عام ١٩٠٢ بهذا التأكيد .

وهذا هو نص التعميم :

كنا شددنا على منع دخول الاسرائيليين الى أرض فلسطين . . ولكن الموظفين تراخوا فى تطبيق الأمر واساءوا تأويله . .

«والاسرئليين يأتون بحجة الزيارة ويتوطنون كما اشعرنا متصرف القدس» .

ان مكثهم لايجوز بأى حال من الأحوال . .

ان مأموري ـ الدولة مسئولون بشدة فوق العادة على تنفيذ هذا الأمر بدقة . .

وحتى اليهود من اتباع الدولة العليا لايجوز لهم الاقامة بصفة دائمة .

«ان هذه الاوامر لا تمانع فى زيارة اليهود للاراضي المقدسة منفردين

كانوا او جماعات . .

ولكنها لا تسمح باقامتهم الدائمة . . ويجب اخذ تعهد من القنصليات التى جاءوا عن طريقها .

وقد اتخذ هذا القرار بقرار من مجلس شورى الدولة ومجلس الوزراء وصدرت فيه ارادة سنية من الخليفة صدر فى ٥ تشرين الأول ١٣١٦ تحت رقم ٢٤٠٩ وقد ارفق مع هذا الأمر تعليمات مؤلفة من أربع مواد تنظم زيارة اليهود لفلسطين . . وكانت آخر هذه المواد تنص على معاقبة أي موظف يتراخى فى تطبيق التعليمات بشدة .

ان موقف عبدالحميد من اليهود كدين هو موقف الحاكم المسلم البعيد كل البعد عن الاضطهاد، بسب اختلافات الدين او العنصر، اوتعبير اوروبي حديث، البعيد عن اللاسامية التى ظهرت فى اوروبا، وبدت فى حديث القيصر غليوم، وحديث زوجته التى ازعجها فى زيارتها رؤية اليهود . .

وهو موقف الحاكم المسلم المتسم بالتسامح والمعبر عن الشعور بالمسئولية تجاه الرعية انطلاقا من «لا اكراه فى الدين» وهو موقف ساد عبر التاريخ العربى والاسلامى على امتداده . .

كذلك فان موقفه من الصهيونية، هو موقف مسئول يعبر عن وعي باخطار هذه الحركة الاستعمارية العنصرية . . ولقد جاءت ارادته السنية بتنظيم زيارة اليهود لفلسطين، لوقف التغلغل الصهيونى الذى بدأ آنذاك والذى سنتحدث عنه فيما بعد .

كان عبدالحميد واعيا للخطر الصهيونى . . فلماذا قبل ان يستقبل

هرتزل؟! ولماذا مد له الحبل فى الاتصال وتقديم العروض ؟!

ان دوافع عبدالحميد لذلك ـ كما يتضح مما جرى فى المقابلة ومن مراسلات هرتزل ـ هو انشغاله بموضوع «الدين العام» الذى ترزح تحته الدولة، وبصراحة مع الدول الاوربية التى دأبت على تحريك القوميات والطوائف فى الدولة وعلى تشويه صورة عبدالحميد. . فرأى عبدالحميد فى هرتزل «رئيسا لليهود» على اتصال بكبار الممولين اليهود وغير اليهود فى أوروبا «وصحافيا صاحب نفوذ» فى اوساط الاعلام والدعاية الاوروبية، وقرر ان يستفيد منه، كما اخذ بعين الاعتبار ايضا امكانية استخدامه، كورقة يناور بها فى مباحثاته مع جهات اخرى اوروبية كانت تقدم عروضها لحل مشكلة «الدين العام».

تجلى دافع عبدالحميد هذا فى سير المقابلة. . فقد احتل موضوع «الدين العام» جزءا هاما منها. . كما تحدث السلطان عن ثروات بلاده غير المستثمرة. وعن بحثه عن موارد جديدة للبلاد.

وتطلع الى هرتزل ليقدم مشاريعه ودراساته فى هذا الصدد، ولم يتطرق الحديث الى استيطان اليهود لفلسطين وانما اقتصر على طلب هرتزل تصريح عطف لصالح اليهود، ولم يصدر مثل هذا التصريح من عبدالحميد.

أما رأى هرتزل فى عبدالحميد. . فاننا ننظر اليه مقرونا بصاحبه الذى كان فى اعماقه حاقدا على السلطان، وما يمثله ولقد وصفه بالضعف والجبن وبطيبة القلب، ونفى عنه الصرامة والدهاء، واكد وقوعه فى براثن البطانة المحيطة به. . فاما النقطة الاخيرة فقد ترددت فى شهادات كثيرة

وصـدقتهـا الحـوادث . . ونشـير هنا الى شهادة الافغانى الذى خبره عن قرب . . وامـا نفى الـدهـاء ففيه تجن ليس بالقليل . . ولعل هرتزل نفسه غير حكمه السريع بعد عامين، حين خرج من مساعيه مع السلطان بلا شىء . . واما الخوف والجبن فقد كان لطبيعة الحكم الاستبدادى اثر كبير فيهما . .

وتلقى هرتـزل دعـوة من «ابراهيم بك» لزيارة استانبول . بغية «تفسير بعض الأمـور فى المشـاريـع المقدمة» فسافر فى ١٢ مايو عام ١٩٠٢ ووصل استانبول بعد ثلاثة ايام وكانت تلك زيارته الرابعة لها . .

وهنـاك أجـرى مقـابـلات مع «ابـراهيم بك» و «عزت بك» قدم فيها هدايـا للسلطـان، وجرى فيها بحث ما قدمه وقد حاسب ابراهيم وعزت هرتـزل على بعض تصـرفـاتـه وتحـدث معـه عزت بخشـونـة عن بعض تصريحاته وعن وعوده، واوضح له جواب السلطان على مشروع استيطان اليهود . .

«ان جلالـة السلطـان مستعـدا ان يفتح امبراطوريته، امام اللاجئيين اليهـود من جميـع الـدول، بشـرط ان يتعهدوا بأن يصبحوا رعايا عثمانيين بكـل ما يفـرضـه عليهم ذلـك من واجبـات من حيث القـانـون والخدمة العسكـريـة، وعليهم قبـل ان يدخلوا بلادنـا ان يتخلوا عن جنسيـاتهم السـابقـة . . بهذه الطـريقـة يستطيعـون سكنى اية مقاطعة فى البلاد عدا فلسطين باديء الامر . . ومقابل ذلك يريدكم جلالة السلطان ان تؤلفوا وكالة لتصفية الدين العام وللقيام باستثمار مناجم معادن الامبراطورية كلها» . .

لم يقنـع هرتـزل بهذا الجـواب الواضح ، فقدم مذكرة للسلطان ناقشها مع ابـراهيم بك ، واوضـح هوبدوره ان الحـركـة لا تهتم بالحـماية الفردية «التى نتمتع بها فى كل الدول المتمدنة الآن ، وانما نبغى الحماية القومية» .

وحين سأل ماذا يعنى ذلك أجاب «نريد اشارة كبيرة علنية لصالحنا ، كدعوة للهجرة بدون قيد» .

وعاد «عزت» بقرار السلطان الذى وصفه هرتزل بانه قرار غير مشجع ، وهو لا يختلف عن جوابه السابق .

وقـد اكـد فيـه استعداد السلطان لفتح الدولة لسكن اليهود اللاجئيين الـذين يصبحـون رعـايـا . . والحكـومـة هى التى تعـين منـاطق السكن واستثنى فلسطـين منهـا . . وسيسمـح للشركة العثمانية اليهودية للاستثمار بالعمل فيها بين النهرين وسوريا والاناضول واى مكان باستثناء فلسطين . .

وقد حاول رجال البلاط الذين يباحثون هرتزل ، نصحه بالقبول لكن احس بأن السلطان يضرب خطته فى الصميم بعرضه هذا . . وادرك فشله فى هذه المرحلة وسجله فى يوميـاتـه . . وعرض هرتزل نتائج مساعيه على مجلس مديـرى صنـدوق الاستعمار الصهيونى فى ١٩٠٢/٣/١٧ وحاول اقنـاعهم بقبـول العـرض الـذى رفضه اول الامر . وتأكد فشله تماما مع السلطـان حين قرأ فى الجـرائـد موافقـة السلطـان على مشـروع «روفيـه» لتصفية الدين .

كانت لهرتزل محاولة اخيرة لاقناع السلطان عبدالحميد، ركز فيها على التشكيك بمشروع «روفيه» الفرنسى لتصفية الدين وطرح مطالب الصهيونية بشكل يبدو اخف وطأة وضاعف عروضه المالية.

وقد كتب للسلطان عدة مرات منذ ١٨/٢/١٩٠٢ وتقدم بتفاصيل اقتراح جديد حول التغلغل اليهودي فى الدولة فى ٣/٥/١٩٠٢ وهو اقامة جامعة يهودية فى القدس.

وقد حاول هرتزل فى نص الاقتراح ان ينفذ الى فكر عبدالحميد من خلال نزعته الاستبدادية فعبر عن اداركه للصعوبة التى تواجه حكومة السلطان «بسبب ذهاب شبان تركيا لتلقى العلم فى الخارج وما يتعرض له هؤلاء الشبان من ضياع.. خاصة فى تأثرهم بالافكار الثورية.. مما يجعل الحكومة امام احد امرين اما ان تحرم هؤلاء من التدريب العلمى أو ان تعرضهم الى مخاطر الغوايات السياسية».

ثم طرح حله للمشكلة التى حددها ـ والحل هو الاستعانة باليهود الذين يقومون بدور هام فى الحياة الجامعية فى جميع انحاء العالم لاقامة «جامعة يهودية فى امبراطوراتيكم ولتكن في القدس مثلا»..

الحالة المالية أولا

ولقد رد عبد الحميد على رسائل هرتزل الأولى ردا عمليا.. بمقاومة اغراءاته المالية وقطع الاتصال معه، واعلان غضبه عليه.. ولكنه لم يلبث ولظروف الدين أن ترك المجال أمام مراسلاته..

فلما تقدم هرتزل بفكرة الجامعة اليهودية فى القدس.. وهى من أخطر

أفكار التغلغل الصهيونى . . كان رد عزت بك سكرتير السلطان هو : ان الحكومة الامبراطورية مشغولة فى الوقت الحاضر باصلاح الحالة المالية فى الخزينة وبايجاد موارد لها . . وان مساعدة المتمولين الاسرائيليين سيكون له فائدة كبيرة فى تسهيل مهمة الخزينة».

وطلب منه بأمر ملكي قائمة بالمساعدات التى يمكن أن يقدمها أصحاب الأموال من اليهودية للدولة . .

ويتضح من اليوميات أن عبدالحميد كان موزعا في تلك الفترة بين اغلاق الباب بشدة فى وجه هرتزل وهو ماتمليه مسئوليته كحاكم ، وبين ترك مجال للاتصال معه على أمل استفادة من عروضه ، وهو ماتمليه ظروف الدين العام وضغوطه . . ونلاحظ هذا التوزع من خلال الاقدام على دعوة هرتزل فى ١٩٠٢/٧/٩ عن طريق سفير تركيا فى بريطانيا . . ثم الرجوع عن الدعوة بعد ثلاثة أيام ولقد حسم هذا التوزع مع اشتداد ضغوط الدين العام بدعوة هرتزل لزيارة استنابول . .

وصل هرتزل استنابول فى ١٩٠١/٧/٢٥ وكانت تلك زيارته الخامسة لها . .

وقدم مذكرة طعن فيها بالمشروع الفرنسى لتصفية الدين الذي وضعه الوزير «روفيه» وضمنها عرضا بتزويد حكومة السلطان بتعهدات جديدة تزيد على ثلاثين مليونا وحدد المقابل الذى يطلبه هو :

« تمنحنا حكومة الامبراطورية امتياز رسميا لاستعمار يهودي فى العراق يزاد عليه حيفا وضواحيها في فلسطين».

وطالب أيضا بتصريح العطف على اليهود من السلطان وقد أحاله

السلطان على الصدر الأعظم فأكد له هرتزل:
«اننا نفضل المساحة القليلة فى فلسطين ، انها رمز. . »

وحاول أن يطمئنه : « ان مشروعنا الحالى لايتعرض الى القدس والأماكن المقدسة . . » .

ولكن الصدر الأعظم بدأ صلبا فى نقل رفض السلطان . .

فغادر هرتزل استنابول يوم ١٩٠٢/٨/٢ فاشلا، واستمع من «ابراهيم بك» قبل مغادرته جواب السلطان النهائى على مشروعه ومضمون الجواب « ويمكن للاسرائيليين أن يقبلوا أو يستقروا فى الامبراطورية العثمانية شرط ألا يكونوا جميعا فى مكان واحد، بل يفرقوا فى أماكن تعينها لهم الحكومة . . وشرط أن يقرر عددهم مسبقا من قبل الحكومة . . وسيعطون الجنسية العثمانية ويسألون عن جميع الضرائب المدنية بما فيها الخدمة العسكرية . . كما سيكونون خاضعين لجميع قوانين البلاد كالأتراك تماما» . .

كان هذا الجواب هو الرد الثابت والنهائى للسلطان على مشاريع هرتزل الاستعمارية الصهيونية . .

ولم يحدث عليه أى تغير مع استمرار مساعي مؤسسي الحركة الصهيونية . . وكان من بين هذه المساعي أن هرتزل أعاد الاتصال فى ١٩٠٢/١٠/٢٥ عارضا مشروعا اقتصاديا جديدا ولم يلبث أن باشر العمل بمشروع سيناء بعد أن تلقى جوابا مشجعا من وزير خارجية بريطانيا «لانسدون» فى نهاية ذلك العام . .

وأرسـل فى ١٩٠٣/١/٢٠ لجنـة خبراء الى مصـر «لـدراسـة امكانية الاستيطان فى سيناء» . .

وبعث سلسلة رسـائـل الى كبـار رجـالات الـدولـة العثـمانية تتضمن اقـتـراحـا «بتأمين قرض قدره مليونى ليرة تركية من أجل التنازل لاستعمار منطقـة الجليـل» . . وسـافـر الى مصر فى شهر آذار من عام ١٩٠٣ والتقى «بكـرومـر» هنـاك لبحث استعمار سيناء والعريش ، وانتهت رحلته وجهود معاونيه بالفشل واتجه هرتزل فى تلك الفترة الى التفكير فى استعمار أرض أفـريقيـة ، وعلى الخصوص أوغندا والكونجو ، وعاد للكتابة الى «عزت» سكـرتـيـر السلطان . . وحضر المؤتمر الصهيونى السادس الذي انعقد فى بال بسـويسـرا يوم ١٩٠٣/٨/٢٢ وكـان آخـر مؤتمـر يحضـره . . وتقـدم باقـتـراح جديـد فى أوائل عام ١٩٠٤ للسلطان عبد الحميد ووزير الحربية طلب فيه «استعمار سنجق عكا» .

واتجـه في الـوقت نفسـه للتبـاحـث مع ملك ايطاليا الذى قابله مرتين ، فقـدم له مشـروعـا لاستعـمار صهيـونى في طرابلس الغرب ـ وكانت ولاية عثمانية تطمع ايطاليا باحتلالها . . ولم يقطع هرتزل الأمل فى تركيا فبدأ فى ١٩٠٤/٣/٢ اتصـالا جديـدا مع السلطـات العثـمانية لامكانية استعمار «سنجق عكـا» وقـد صمم أن يلجأ الى العنف فى علاقاته مع السلطة اذا فشلت محاولاته . .

ولم يفتأ خلال الفـترة التي استغـرقتهـا اتصـالاته بالدولة العثمانية على التـآمـر عليهـا مع مختلف الـدول الأوربيـة الطـامعـة . . وتوفي هرتزل فى ١٩٠٤/٧/٣ تلك هى قصـة هرتـزل مؤسس الصهيـونيـة مع السلطان

عبدالحميد فى مراحلها المختلفة . . وذلك هو موقف عبد الحميد من فكرة تأسيس كيـان صهيـونى فى فلسطين . . وكما رأينا موقف الرفض من موقع الـوعى بأخطار الحركة الصهيونية، والحرص على الأرض المقدسة كتعبير عن السياسة الاسلامية .

ولم يمنـع موقف الـرفض هذا، السلطـان عبـدالحميـد من فتـح باب الاتصـال مع هرتـزل وتلقي عروضه وذلك تحت ضغط الدين العام الذي أرهق الدولة، وبغية استخدام ورقة هرتزل فى لعبة المناورات مع الطامعين الأوربيين التى كان يتقنها عبدالحميد . .

وهكذا يبدو موقف عبد الحميد من هذه القضية من حيث المبدأ موقفا مشرفا فى مجمله يستحق أن يسجل له . .

فقد صمد على الرغم من الظروف الصعبة المحيطة به أمام اغراءات الصهيـونيـة . . ومـاكـان له كحـاكم مسلم يحمـل لقب خليفـة المسلمين وحامي الحرمين الا أن يصمد . . وقد نال عبد الحميد لهذا الموقف تعاطفا مع مؤرخي قضية فلسطين . .

التغلغل الصهيونى

ولكن تبقى نقطـة أخـيرة فى هذا المـوضـوع لابد من تناولها لاستكمال جوانبـه المختلفـة، وهى الاجابة عن سؤال الى أي مدى حدث التغلغل الصهيونى فى فلسطين، خلال حكم السلطان عبد الحميد؟

فإذا كان موقف عبـد الحميـد من الاستعمار الصهيونى من حيث المبدأ وفى مجمله موقفـا مشـرفـا حيث رفض اعطـاء الاستعمار الصهيونى صفته

الشرعية . . فمن المهم أن ندرس مسئولية الادارة العثمانية والسلطان عبد الحميد للاستعمار الصهيونى أن يتغلغل فى فلسطين خلال تلك الفترة.

ان تاريخ التهجير اليهودى الى فلسطين يوضح أن التغلغل الصهيونى تم عن طريق تتابع عدة موجات من المهاجرين اليهود على فلسطين . . وقد درج مؤرخو الصهيونية على اعتبار عام ١٨٨٢ بداية للموجة الأولى . . ونقطة التحول فى سير الحركة الصهيونية قبل هرتزل . .

ولم يكن يعيش حتى ذلك العام من اليهود، الا حوالى اثنى عشر ألفا نزح بعضهم اليها فى القرن السادس عشر من أسبانيا مع من نزح من العرب . . وجاء بعضهم الآخر من شرقي أوربا فى القرن السابع عشر وسكنوا منطقة الجليل فى مدينتى صفد والناصرة، وفي مدن فلسطين الكبيرة، القدس ، ويافا وحيفا.

وكان هؤلاء اليهود يتمتعون بالرعاية العثمانية ويشكلون جزءا من يهود الوطن العربى بعد أن تعرب من جاء منهم من شرقى أوربا.

ان تاريخ الغزو اليهودى لفلسطين يوضح ان التغلغل الصهيونى تم عن طريق تتابع عدة موجات من الغزاة اليهود لفلسطين . . وقد درج مؤرخو الصهيونية على اعتبار عام ١٨٨٢ بداية للموجة الاولى . . ونقطة التحول فى سير الحركة الصهيونية قبل هرتزل . .

موجات من التهجير

شهد عهد السلطان عبدالحميد تتابع موجتين من موجات التهجير اليهودي الى فلسطين . .

١ـ بدأت اولاهما عام ١٨٨٢ واستمرت حتى عام ١٩٠٣ ، وحملت معها ما بين عشرين الى خمسة وعشرين ألف مهاجر، غالبيتهم من اليهود الروس، سكنوا القدس والخليل وصفد وطبرية . .

٢ـ بدأت الثانية عام ١٩٠٤ واستمرت حتى عام ١٩١٣ اى بعد نهاية حكم عبدالحميد حوالى خمسة واربعين الفا ، بينما نفذ العدد الباقي فى بداية عهد الاتحاد والترقى وتكون الادارة العثمانية ـ وعبدالحميد على رأسها ـ مسئولة عن نفاذ ذلك العدد .

حزب البقشيش

لقد حدث هذا النفاذ فى عهد عبدالحميد على الرغم من تنبه السلطان ووعيه لاخطار الصهيونية . . وعلى الرغم من اصداره ارادة سنية بمنع اقامة الاسرائيليين فى فلسطين . . وتأكيد هذه الارادة اكثر من مرة . . وقد سبق ان تحدثنا عن الارادة السنية الصادرة فى ٥ اكتوبر عام ١٩٠٠ تحت رقم ٢٤٠٩ والامر الذى يؤكدها .

ويذكر بعض المؤرخين ان قانونا صدر فى الدولة العثمانية عام ١٨٦٢ بمنع سكنى اليهود الدائمة فى فلسطين ثم اكده امر صدر عام ١٨٩٠ . . كما ان السلطان عبدالحميد وقد تنبه الى الخطر الصهيونى عمد الى فصل

سنجق القـدس عن ولايـة سوريـة عام ١٨٨٧ واخضعـه بصـورة مباشرة للباب العالى . .

حدث هذا النفـاذ الصهيـونى على الـرغم من ذلـك كله بسبب فساد الادارة العثـمانيـة التى عانت من داء الـرشـوة وانتشـاره، هذه من الحقائق التى كانت ظاهرة من قبل بعض المسئولية فى الحكومة العثمانيه

ولا يترك هرتـزل فى يوميـاتـه فرصة تمر دون الاشارة بالمفعول العجيب والمـدهش لكلمـة السر فى «أفتح يا سمسم» . . ولقد شاع أمر هذا الفساد فى أوروبـا بين الحكـام حتى اننـا نجـد عاهل ايطاليا يشير اليه من طرف خفى فى حديثـه مع هرتـزل . . فحـين استقبـل عاهـل ايطـاليا هرتزل فى ١٩٠٤/١/٢٣ اخـبره انـه زار فلسطـين عدة مرات وانـه لاحـظ ظهـور اليهـوديـة فيها وقال له : «انتظروا حتى يصبح عددكم هناك نصف مليون وستكون البلاد لكم» فقال هرتزل : «ان اليهود ممنوعون من الدخول اليها يا سيدى» فرد العاهل ضاحكا «كل شىء يمكن ان يكون بالبقشيش» . .

وقـد تجلى التغلغـل الصهيـونى فى فلسطين فى عهد عبدالحميد فضلا عن التهجـــير اليهـودي الـذى تحقق، على صورة شراء بعض الاراضى واقـامة مستعمرات عليها، والسماح لبعض الشركات الصهيونية فى القيام بنشـاطـات فى فلسطـين . . وكـان هرتـزل حريصـا منذ مباشرة اتصالاته بالـدولـة العثـمانيـة على ان يقرن تلك الاتصالات الدبلوماسية بتحريك النشـاط الصهيـونى العملى فى الـدولـة وفى فلسطين على الخصوص . . ولـذلـك قرر الاعتـماد على جمعيـة الاستعـمار اليهودي فى انشاء المشاريع

المـاليـة هناك . . وكتب فى يومياته بتاريخ ١٨٩٧/٣/١٠ «تتفاوض جمعية الاستعمار اليهودى حاليا مع عائلة روميه اسمها سرسيق على ما اظن من اجـل شراء سبعـة وتسعـين قريـة فى فلسطين . . ويعيش هؤلاء الروم فى باريس وقـد خسـروا أحـوالهم فى القـمار . . وهم يريـدون بيع ممتلكاتهم ـ وهى ثلاثة بالمئة من مساحة فلسطين حسب قول يامبس ـ بسبعة ملايين فرنك . .

لقـد تحولت جمعيـة الاستعـمار اليهودى عن الارجنتين ولم تعد تستثمر امـوالهـا الا فى فلسطـين . . وقـد تابـع هرتـزل هذه الصفقـة عدة سنوات وسجل فى يومياته بتاريخ ١٩٠٢/٦/٤ وفى رسالة كتبها «لريناخ» المؤرخ اليهودي الفرنسى بيع «آل سرسيق» اراضيهم فى فلسطين .

المشروعـات الصهيونية

واستطـاعـت الحـركة الصهيونية ان تقيم بعض المشاريع فى فلسطين في تلك الفترة وتؤسس بعض المستعمرات . . ومع ان حجم نشاطها ، كان محدودا الا انه لم يخل من اثار خطيرة . . ويكفي انه كان البداية فى الغزوة الصهيـونيـة الاستعـمارية . . ومما لاشك فيه ان موقف عبدالحميد الرفض الصلب ، قد ضيق من مجال النشاط الصهيونى الاستعماري فى فلسطين ، وكبح جماح الغزو . . ولكن مما لاشك فيه ايضا ان فساد الادارة العثمانية قد أفسح مجالا للنشاط الصهيونى كى يتغلغل . .

فلقـد كان فسـاد الادارة العثـمانيـة وراء السماح ببيع الاراضى العربية للحـركـة الصهيونية وبانشاء مشاريع صهيونية فى فلسطين . . وقد حدث

هذا الخلل على الرغم من معارضة عرب فلسطين . .

فلقد اشار هرتزل الى هذه المعارضة فى احدى يومياته عام ١٨٩٩ وقدم لنا مثلا لفساد رجال الادارة بمتصرف القدس آنذاك وقد وصفه فى يومياته بتاريخ ١٨/٣/١٨٩٩ على لسان صحفى يهودي قدم من القدس «ان متصرف القدس رجل لطيف وأنه سأله لماذا لايقوم بتحرير جريدة باللغة العربية»؟!

واهتم هرتزل بهذا العرض لارتباطه بمشروع بنك كان يسعى لانشائه «فسوف يكون فى صالح البنك ان تنشأ جريدة تنطق باسمه بالعربية وتنال رضى المتصرف وتؤثر فى الناس التأثير اللازم» . .

وكان فساد الادارة العثمانية التى مثلت تركة مثقلة هو الاصل . . ولم يخل الأمر من ظهور استثناءات وقفت موقفا صعبا فى وجه الغزو . . ولقد مثل هذا الفساد «احمد رشيد بك» الذى عين متصرفا للقدس عام ١٩٠٤ فأيد التهجير اليهودي علانية . . ولم يعبأ بتنفيذ القوانين العثمانية . . وتم عزله عام ١٩٠٦ نزولا عند الضغوط العربية . .

ومما يذكر ان نجيب عازوري صاحب كتاب «يقظة الامة العربية» عمل كمسئول فى الادارة العثمانية بمتصرفية القدس، بين عامى ١٨٩٨ و ١٩٠٤ وسجل فى كتابه الذى اصدره عام ١٩٠٥ فى باريس وبالفرنسية الخطر الصهيونى الذى يتهدد فلسطين والامة العربية . . وتنبأ بمستقبل الصراع فى المنطقة حين قال :

«هناك حادثان هامان من طبيعة واحدة ولكنهما متعارضان وهما يقظة الامة العربية، والجهد اليهودى الخفي لانشاء ملك اسرائيل القديم من

جديد وعلى مقياس اوسع، ان مصير هاتين الحركتين هو الصراع» . .

ومن امثلة الاستثناء فى رجال الادارة العثمانية «على اكرم بك» الذى عين متصرفا للقدس عام ١٩٠٦ واستمر فى هذا المنصب حتى عام ١٩٠٨ حيث قامت الثورة على عبدالحميد.

«فقد وقف «على اكرم» وقفة صلبه فى وجه الغزو الصهيونى . .

مسئولية عبدالحميد

يستبين لنا على اضواء ما سبق، ان عبدالحميد الذى وقف موقفا مشرفا من حيث المبدأ من قضية الغزو الصهيونى لفلسطين واستحق أن يسجل ذلك كله لا مفر من أن يتحمل قسطه من مسئولية ترك المجال مفتوحا دون حدوث لتغلغل لأن عبدالحميد هو الحاكم وهو على قمة تلك الادارة . . ولا شك ان مما يخفف من مسئوليتة انه ورث جانبا كبيرا من الادارة الفاسدة، ضمن التركة المثقلة التى اخذها من اسلافه . . ولكنه أيضا زاد فيه بسياسته الاستبدادية .

ونستطيع ان نفهم ـ بعد هذا العرض ـ موقف الصهيونية المعادى لعبدالحميد وتآمرها عليه فى الداخل والخارج . . فلقد مثل فى شخصه عقبة كاداء امام الإطماع الصهيونية ومثل فى سياسته وكونه رمزا للجامعة الاسلامية ولوحدة الدولة العثمانية عقبة كاداء امام تلك الاطماع .

فكان سعى الحركة الصهيونية للتخلص منه، ولاستعمار الوطن العربي حتى لا تتحقق فيه اليقظة العربية الحديثة هدفها فتكون العقبة الاشد صلابة التى تقضى على الحركة الصهيونية .

ولابـد من الاشـارة فى ختام هذه الدراسة ان التغلغل الصهيونى ازداد فى السنـوات التى تلت سقـوط عبـدالحميـد . . ورحب الصهـاينـة بهذا السقـوط الـذى نجحـوا بتـدبـيره ، وبـالعهـد الجـديـد الـذى برزت فيه شخصيات يهودية متعاطفة مع الحركة ، وعلى رأسهم عضوان فى البرلمان هما «نسيم روسـو» و«نسيم عازليـاح» وقـد تمكن «جـابـوتنسكي» الـزعيم الصهيونى من كسب تعاون تلك الشخصيات . .

وهكذا ساء وضع مقاومة الغزو الصهيونى فى فلسطين ، وترحم الكثير على عبـدالحميـد ، وتـرددت القصـة التى تقـول أن أحـد الثـلاثة الذين أوفـدهم مجلس النـواب العثمانى لخلع عبدالحميد عام ١٩٠٩ كان يهوديا يدعى «قـره صوافـدي» وان عبدالحميد سبق وان طرده من مجلسه فى يلدز حين حاول التأثـير عليـه لاسكـان اليهـود فى فلسطـين . . وازداد الترحم على عبدالحميد بعد تخبط العهد الجديد الذى خلفه ، فى سياسة التتريك وعجـزه عن الحفـاظ على الدولة ، ثم بعد فشل قيادات الحركة العربية فى الـوصـول الى استقـلال بلاد العـرب ، ووقـع الـوطن فى قبضة الاستعمار الغـربي ، وصـدور تصـريـح «بلفـور» الـذى وعـد الصهيـونيـة بالـوطن القـومى . . والـذى فشلت كل جهـود هرتـزل للحصـول على مثله من السلطان عبدالحميد . .

في الطريق إلى قمة فاس

(١)

تتطلع الانظار الان الى موتمر القمة العربى الذى سيعقد فى مدينة فاس بالمغرب الشقيق . . خصوصا بعد الحوادث التى وقعت للبنان الشقيق . . ولشعب لبنان وللاخوة الفسطينيين . . حيث عملت اسرائيل بكل ما لديها من قوة وامكانيات للقضاء على الاخوة المناضلين من أبناء فلسطين المغتصبة . . وأجبرتهم على مغادرة لبنان .

والمملكة العربية السعودية بقيادتها الرشيدة وقفت وما تزال تقف فى وجه كل الاعتداءات التى يتعرض لها شعب لبنان والشعب الفلسطينى الشقيق .

ان الذين عايشوا قضية العرب الاولى . . قضية فلسطين . . ورصدوا تطور حوادثها على امتداد اكثر من ثلث قرن . . وتبينوا طبيعية القوى الاقليمية والدولية التى تعاملت مع هذه القضية سلبا وايجابا لايمكن ان يغفلوا الدور الرائد والمؤثر على امتداد الفترة الزمنية ذاتها . «فمنذ ان أعلن جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز مؤسس هذا الكيان ببيانه الشهير الموجه الى القادة العرب اثناء حرب ٤٧ ـ ٤٨ طالبا منهم الاعتماد على شعب فلسطين فى تحرير بلاده . . وان يقتصر الدور العربى على تجهيز هذا الشعب بالمال والسلاح . . دون ان تتدخل السياسات العربية المتناقضة فى تقرير إرادة هذا الشعب» . كان رحمه الله يدرك مدى الاخطار

التى يمكن ان تترتب على دخول اطراف عربية . . تزعم لنفسها الحق فى تقرير مصير هذا الشعب . . فى وقت لم تكن تلك الاطراف تملك حرية اتخاذ القرار السياسى بعيدا عن نفوذ الدول الكبرى . . ولم تستطع الكيانات العربية التوصل الى صيغة عمل موحد يلم شملها ويوحد صفوفها على طريق التحرير واسترجاع الحقوق المغتصبة والكرامة القومية السليبة .

واليوم ونحن نرقب الموقف . . نتتطلع الى قمة فاس والحوادث ماثلة امام القمة . . حوادث لبنان . . والقضية الفلسطينية التى نتحدث عنها اليوم . . ومع المواقف التاريخية .

ان المتتبع لتاريخ القضية منذ اوائل هذا القرن على الاقل والناظر بعين الحقيقة والواقع . . سيجد انه ما ان اعلن وعد بلفور عام ١٩١٧م والذى نص على جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود حتى انطلق العرب متظاهرين يقودهم متزعموهم معلنين غضبهم على هذا الوعد الامر الذى اضطر لاجله صاحب الثورة العربية آنذاك الى الاستفسار من حلفائه عن حقيقته . . وما مصير اتفاقهم معهم . . وكان ما كان بعد ذلك مما لم يعد خافيا على احد . . ودخل الحلفاء القدس واعلن قائد جيوشهم نهاية الحروب الصليبية . . ووقعت البلاد والعباد بين براثين حلفاء الامس الذين بدأوا عمليا تنفيذ الوعد المذكور . . فهل كان هدف اشعال الثورة من قبل الحلفاء بعيدا عن هذا ؟؟

ويجد الدارس لتاريخ القضية بعد ذلك كيف ان الانظمة العربية التى شكلت آنذاك وتسلمت الحكم باسم فلسطين كان لابد لها ان تعلن تبنيها

لفلسطين والمحافظة على عروبتها ومقدساتها . . واندفعت الجمعيات والاحزاب العربية آنذاك الى اتخاذ نفس الموقف . . فاننا لا نكاد نرى حاكما ولا حزبا منذ ذلك الحين وحتى الان الا وفلسطين القضية التى يقتات بها ويتسلق عليها وتدخل فى شعاراته المرفوعة ويعلن العمل على تحريرها وصون مقدساتها .

لكن هذا الدارس لتاريخ القضية سيفاجأ بأمور كثيرة تدعو الى العجب ولا تنسجم مع المعلن من الشعارات والاهداف ولا الحماس المتدفق امام الجماهير . . انه سيرى القضية المقدسة لم تبق واقفة فى مكانها الذى كانت عليه فى اوائل هذا القرن بل انها آخذة بالتراجع المريع الذى يتناسب عكسا على درجة الحماس والشعارات المرفوعة بل تسير الى قبرها على اكتاف هؤلاء المشيعين . . ولا نريد ان نذهب بعيدا ويكفى ان نضرب الامثلة لتأييد ما نقول من مسلل التاريخ القريب . فعندما صدر قرار التقسيم عن الهيئة الدولية عام ١٩٤٧م والذى ينص على اقامة كيان لليهود ودولة للعرب . . ورفضه العرب آنذاك وقفت الأنظمة الحاكمة والاحزاب ـ وبقوة ـ معلنة سخطها ورفضها واحتجاجها على القرار المذكور . . وحدثت بعد ذلك مباشرة نكبة عام ١٩٤٨م حيث احتل اليهود اكثر من نصف ارض فلسطين ـ زيادة على ما اقره لهم التقسيم ـ وشرد اكثر من مليون نسمة من اصحابها الاصليين .

واشتد التباكى على فلسطين واهلها . . واتهمت الانظمة الحاكمة آنذاك . . وكانت قضية الاسلحة الفاسدة وما الى ذلك . . وحدث مسلل الانقلابات العسكرية وجميعها بلا استثناء رفعت تحرير فلسطين شعارا

وهـدفـا تلتـزم به أمـام الجـماهير التى اعلنت سخطها على تهاون الحكام السابقين . . وعدم بذلهم ما يستطيعون . . وعدم قيامهم بالواجب الملقى على عاتقهم . . بل العكس ان ما فعلوه حقيقة لا يجدى شيئا ولا يتناسب مع ما اعلنوه من اهداف وشعارات .

وجـاءت المـرحلة التالية . . واحتل اليهود بعد ذلك وقبل النكبة الثانية التى حدثت فى عام ١٩٦٧م المنـاطق المنـزوعـة السـلاح والتى نصت اتفـاقيـات الهـدنـة فى رودس عام ١٩٤٩م على إنشائهـا بين العـرب واليهـود . . ومـر على هذا الاحتـلال وصحف تلك الايام ومنابر الخطاب آنـذاك كانت تضـج بالتهديدات بالمحافظة على عروبة فلسطين . . وكان الاعتداء الثلاثى عام ١٩٥٦ والذى تم بنتيجته فتح خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية . . وقضى على نواة الجيش الفلسطينى وحركة الفداء فى قطـاع غزة . . ووضـع البـوليس الدولى فى الاراضى التابعة للعرب لا تلك التى يحتلهـا اليهـود . . وازداد بعـد ذلـك الصـراخ بعروبة فلسطين وضـرورة عودتهـا الى الامة . . وتم تكوين منظمة التحرير بقرار من مؤتمر القمـة بعـد القـرارات التى كان قد اتخذها بضرورة منع تحويل نهر الاردن عن طريق تحويل الروافد . . وفوجىء العالم بعد ذلك بقليل بما قيل وأثناء انعقـاد المؤتمـر الفلسطينى وبالحرف الواحد امام هؤلاء الفلسطينيين «ان كنت بقول لكم عندى خطة لتحرير فلسطين يكون بضحك عليكم» .

اى بعـد كل هذا وليست لدينـا الخطـة للتحـريـر هذا مع الاصـرار فى وسائل الاعلام المختلفة والمنابر الخطابية المتعددة على جعل فلسطين هى حجر الاساس من اجل استدرار عطف الجماهير وتبرير كل ما يريد تبريره

من تصرفات مادية ومعنوية . .

وجاء عدوان الخامس من يونيو واحتل اليهود ما بقى من ارض فلسطين واضافوا اليه المزيد من اراضى الاقطار المجاورة . . وتم تشريد المزيد من السكان . . وخلفوا الكثير من المآسي والأرامل والثكالى والأيتام . . وثار الجدل حول ما يطرح من شعارات اهو وحدة الصف ام وحدة الهدف . .

وبدأت الانظمة العربية آنذاك تهتز من هول النكبة التى ايقظت الشعور العربى . . وطرح شعارات العمل الفدائى والمقاومة الفلسطينية سبيل التحرير . . وحرب التحرير الشعبية وليست الانظمة وفتحت الابواب التى كانت موصدة من قبل امامها تلجها بكل يسر وسهولة . . وكان ما كان بعد ذلك من استغلال للعمل الفدائى وجعله اداة بيد متزعمى المنطقة . . كأن التحرير الكامل شعار وهدف تجرى المساومات عليه . . ثم انتهى بعد ذلك الى ازالة آثار العدوان واسترجاع الاراضى المحتلة عام ١٩٦٧م .

كان الاصرار على عدم الاعتراف بشرعية الاحتلال اليهودى ودولة اسرائيل . . وأصبح الشعار المطروح هو الاعتراف بدولة اسرائيل فى حدودها التى اغتصبتها عام ١٩٤٨م بل ان اصوات الكثير من العرب اصبحت تتعالى مبشرة بالتعايش المرتقب والمأمول بين العرب واليهود في شتى المجالات .

واخيرا جاء العدوان الشرش على لبنان وشعب لبنان . . وعلى الاخوة الفلسطينيين . . جاء هذا العدوان ليحدد امامنا بوضوح اهداف اسرائيل وما ترمى اليه .

لقد خرجت اسرائيل بعدوانها على لبنان وشعب لبنان والاخوة الفلسطينيين على كافة القوانين الدولية . . قتلت النساء والاطفال والشيوخ . . ودمرت العمارات الكبيرة على سكانها وقتلت المرضى فى المستشفيات والمعوقين فى منازلهم ومعاهدهم . . وادرك العالم كله حقيقة نية اسرائيل وما تبيته من حقد ضد الانسانية وضد القيم .

وبعد حوادث لبنان لابد وان يتغير الموقف بما يحفظ كرامة الأمة . . ان المتتبع لحوادث قضيتنا المقدسة وفردوسنا المفقود لا يسعه وهو يرصد هذه الحوادث فى الفترة التى نعاصرها ونعيشها بقلب واع وفكر متيقظ الا ان يحدد ان الحلول المطروحة على ساحتها لا تعدو واحدا من ثلاثة :

١ـ الحل الاول : دولة ديمقراطية تشمل العرب واليهود جميعا على كافة التراب الفلسطينى .

٢ـ الحل الثانى : اقامة دويلة على الاراضى الفلسطينية التى سيجلو عنها العدو فى الضفة الغربية وقطاع غزة .

٣ـ الحل الثالث : تشكيل حكومة فلسطينية فى المنفى .

هذه الحلول المطروحة على ساحة القضية المقدسة هل هى يا ترى او ان حلا منها يحقق ما تصبو اليه امتنا وما تعمل جاهدة من اجله ؟ .

الجواب لا . . ان ايا من هذه الحلول المطروحة لا يحقق الهدف الذى تعمل امتنا جاهدة للوصول اليه . . والسبب واضح جلى . . خصوصا بعد ما شاهدناه من عدوان غاشم على لبنان وشعب لبنان . . والفلسطينيين .

ـ ان طرح هذه الحلول وبهذه الصيغ يدل دلالة قاطعة على عدم فهم

طبيعة الصراع بيننا وبين الصهاينة والذى بدونه لا تكون الرؤيا واضحة . . ولا يمكن بعد ذلك وضع الحل الصحيح للقضية .

ان وضع اى حل ولاية قضية لا يمكن ان يكون صحيحا الا بعد الالمام الكامل والمعرفة المتكاملة الشاملة لشتى جوانب القضية . . فكيف اذا اردنا ان نضع الحل لقضيه هى أقدس قضايانا بل هى أهم قضايانا وأولها . . فلا بد اذن من تحديد طبيعة الصراع بيننا وبين عدونا من خلال الرؤية الدينية اليهودية التى هى وليدة التاريخ الطويل لارض الميعاد وهيكل سليمان . . لنتمكن بعد ذلك من وضع الحل الصحيح الذى ينهى هذا الصراع . . وعلى الوجه الذى يحقق لنا كل اهدافنا ويقوى سلطاننا على ديارنا ويطرد مغتصبيها منها . .

ان الصرارع القائم اليوم وعلى ارضنا هو صراع بين حضارتين ووجودين ولا يمكن لاحدهما ان يبقى مع وجود الاخر .

انه صراع لمحو حضارتنا العربية الاسلامية ووجودنا على ارضنا التى امتزجت بدماء اجدادنا الغر الميامين الذين مهدوها لنا واوصلوها الينا لنحافظ عليها . . وندفع كيد الكائدين . . وطمع الطامعين .

ولقد فهم اسلافنا ايام الصليبيين هذه الحقيقة التى نطرحها ووعوها تماما وانطلقوا منها لمقاومة الغزو الصليبى . . والعمل على زحزحته من المواقع التى سيطر عليها فى غفلة من الزمن وتطهيرها من رجسه . . هذه النظرة هى التى مكنتهم من بناء ذاتيتهم والمحافظة عليها تجاه ذاتية العدو . . وهى التى جعلتهم يحافظون على مقومات امتهم ووجودها . . وهى التى اعطتهم القدرة على المدى البعيد لايجاد الحل الصحيح

لقضيتهم وتنفيذه.

ونحن الان فى القرن العشرين حيث يتميز الانسان ببعد نظره ويعتمد كليا على التخطيط العلمي القائم على اساس من الواقع الذى يحياه والوسائل المتاحة لتغيير هذا الواقع.. علينا نحن ابناء هذه الامة المنكوبة.. واصحاب الفردوس المفقود ان نضع الحل الصحيح فى مؤتمر فاس بعد معرفة العدو وخططه الاستراتيجية.. معرفة كاملة مع عدم إهمال واقعنا الذى نعيشه ونحياه.

وكل حل يوضع دون ان يحقق هذا الشرط الاساسى وهو معرفة العدو على حقيقته والاحاطة الكاملة بخططه واستراتيجيته ورؤيته الدينية سيكون مصيره الفشل ولن يحقق لنا أبدا الهدف الذى نصبو إليه والذى اقدم اخواننا المجاهدون دماءهم فداء لتحقيقه.. ونكون قد خنا هذه الدماء التى قدمت وهى تعلم انها لن تضيع هدرا بل ستكون مشاعل على الطريق الموصل الى الحق السليب والوطن المسستباح. لذا وحتى نكون أوفياء لهذه الدماء الزكية التى روت تراب الوطن دماء الآباء والأجداد على مر الدهور.. وحتى نتمكن من وضع الحل الصحيح للقضية والوصول الى تنفيذه علينا ان نعى الحوادث من حولنا.. وان نقابل الرؤية الدينيه عند اليهود بما هو اقوى منها مستفيدين من تاريخنا القديم والحديث وان نعرف طبيعة الصراع مع عدونا.. وان نلتقى كما قال القائد المفدى والملك الامين فهد بن عبدالعزيز فى طريق التضامن والتكاتف.. عندها فقط نكون قد وضعنا ايدينا على الحل العادل والدائم لقضيتنا المقدسة.. فهل من مذكر؟

بطولـة رغـم المحنـة :

بعـد نهايـة الحـرب العـالميـة الثـانيـة قام العـرب فى فلسطين يطالبون بريطـانيـا بانهـاء انتدابها على وطنهم واقامة حكومة وطنية من ابناء البلاد تحقق السيادة والاستقلال.

وقـام كذلـك اليهـود ايضـا يستنجـزونهـا وعـودهـا ويضغطون عليها بمختلف الـوسـائـل لارغـامهـا على تسليم فلسطين اليهم . . ومن اهم وسـائلهم آنـذاك نفـوذهم المتعاظم فى الولايات المتحدة الامريكية . . ثم الارهاب الذى شنته عصاباتهم على قوات الاحتلال الانجليزى.

عنـد ذلـك قامت بايفاد لجنة انجليزية امريكية لبحث المشكلة ووضع تقرير يتضمن وسيلة علاجها . . وقد تم ذلك عام ١٩٤٧م حيث قدمت اللجنـة تقـريـرهـا والـذى اوصى بتقسيم فلسطـين الى دولتـين عربيـة ويهـوديـة . . وقـامت هيئة الامم المتحدة باقراره واذاعته على العالم فى عام ١٩٤٧م وقبل ذلك كانت الجامعة العربية قد عقدت اجتماعا لمجسلها فى عاليـة بلبنـان . . كان من قراراته تأليف قيادة عربية عامة وامداد فلسطين بالعتاد والذخائر والاسلحة اللازمة لهم . . وتشكيل لجنة عسكرية تشرف على ذلـك . . ولمـا اعلن قرار التقسيم اعلنت اللجنـة السياسية للجامعة العربية انها ستضع قراراتها موضع التنفيذ خاصة بعد رفض العرب جميعا وعـرب فلسطـين لتقسيم بلادهم . وقـام شعب فلسطـين ينظم نفسـه وتشكلت منظـمات عديـدة منهـا : النجـاده . . والفتوة . . ثم فرق الجهاد المقدس التى كان يقودها الشهيد عبدالقادر الحسيني.

وارادت الجامعة العربية تنظيم مقاومة شعب فلسطين فى الداخل فقامت بتعيين الفريق طه الهاشمي واللواء اسماعيل صفوت ومعهم عدد من الضباط العراقيين والسوريين ومهمتهم التنظيم والتدريب . . لكن المبادرة بقيت فى ايدى القيادات المحلية فى فلسطين والتى اخذت تباشر نشاطها فى مناطق مختلفة من فلسطين ضد الانتداب البريطانى وعصابات اليهود ومن اشهر هولاء القادة عبدالقادر الحسينى قائد منظمة القدس . . والشهيد حسن سلامه قائد المنطقة الوسطى .

ولقد كان عبدالقادر الحسيني قائدا عصاميا ماهرا فى كل المعارك التى خاضها منذ ان اشتعلت الثورة فى فلسطين عام ١٩٣٦م ضد بريطانيا واصابته بجروح وخروجه الى بغداد ثم سوريا وعودته عام ١٩٣٨م الى فلسطين ليهاجم المستعمرات اليهودية والجيش الانجليزى وانسحابه الى العراق ودخوله الكلية العسكرية واشتراكه ضد الانجليز فى ثورة رشيد عالى الكيلانى عام ١٩٤١م والقاء القبض عليه وسجنه لمدة سنتين والافراج عنه وسفره الى الحجاز ثم الى مصر وقيامه بتدريب وجمع السلاح وعودته الى فلسطين ليقود كتائب الجهاد المقدس رغم قلة الامكانيات وحتى استشهاده فى معركة القسطل بيد اليهود . . وكان هناك يحاول الحصول على طلباته من الأسلحة والمعدات الحربية . . وحينما سمع النبأ المزعج قفل راجعا بعد ان يئس من الحصول على طلباته التى قدمها الى اللجنة العسكرية التى كانت الجامعة قد شكلتها . . ولم تكد قدماه تطأ ارض القدس الشريف حتى جمع حوله نفر من جنوده المخلصين واتجه بهم نحو القسطل وليس معهم من السلاح الا الخفيف ولم يزد عددهم على

خمسين مجاهدا فروا الى الله لاستعادة القسطل نظرا لاهميتها الاستراتيجية وموقعها المشرف على طريق القدس وتل ابيب . . وفى قلب كل منهم غصة ولوعة وحرقة من تقصير لجنتهم العسكرية من القيام بواجبها . . ولكن ذلك لم يفت فى عضدهم ولم يقلل من عزيمتهم واتجهوا نحو تل القسطل بعزيمة لايفلها الحديد وبقيادة واعية تتقدمهم حاملة سلاحها . . وتمكن رحمه الله من استعادة التل وهناك على قمته أصيب بقنبلة من قنابل الاعداء وسقط شهيدا بعد ان رآى استرداد القسطل ونصر الله فى ١٩٤٨/٤/٧م .

اما حسن سلامه فلم يكن كذلك احسن حظا من صاحبه حيث استشهد فى معركة رأس العين عام ١٩٤٨م بعد ان ابلى البلاء الحسن فى ادارة الدفاع عن يافا وقيادته المعارك العديدة فى منطقة تل ابيب .

هذه القيادة التى تقدمت لحمل الراية وبذل النفس والنفيس على الرغم من المحنة التى كانت تعيشها . . لكنها لم تيأس ولم تقنط ولم تترك مجالا الا ولجأت اليه وقامت به من أجل تأمين ما يلزمها فى جهادها ضد الاعداء . . ولما لم يتحقق لها ما تريد . . قاتلت بما توفر لها وتقدمت الصفوف وضحت واستشهدت . ولم تترك للتاريخ ان يسجل اى تقاعس او استسلام او تهاون من هؤلاء الشباب الذين باعوا انفسهم لله دفاعا عن شرفهم وعقيدتهم ووطنهم .

أقوال للتاريخ :

● ان اهداف الصهيونيين هى ابادة العرب جميعا واقامة هيكل سليمان

محل المسجد الأقصى .

دكتور ليدر «رئيس اللجنة الصهيونية» .

● يا عرب فلسطين اننى لن اكون مسئولا عن ذبح العرب اذا لم توقع شروط الاستسلام لليهود قبل السادسة مساء .

«قائد حامية حيفا البريطانى»

● لقد فشل هجومنا الاول ولم تستطع وحداتنا اختراق تحصينات العدو وانسحبنا من الارض التى خضبناها بدمائنا وكانت هجمات العرب عنيفة بحيث تداعت وحداتنا تحت وطأتها . . ثم كررنا على العدوولكنه هزمنا فى الجولة الثانية كما هزمناه فى الجولة الاولى . . لقد هاجمنا يافا خمس مرات فى يومين ولكنه رددنا على اعقابنا وبلغ من صلابة حماة يافا ان فكرنا فى العدول عن اقتحامها واصدرنا الامر بالانسحاب .

«ناحيم بيجن فى حديثه عن دفاع عرب يافا عنها عام ١٩٤٨م»

● انه ليستحيل علينا ان ننقذ ـ غرناطة ـ ولكن مايزال ثمة بديل للنفوس النبيلة ذلك هو موت مجيد . . فلنمت دفاعا عن حريتنا وانتقاما لمصائب غرناطة . . وحاشا لله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها .

«فارس غرناطه الشهيد موسى بن ابى غسان ١٤٩١م»

● هل يلام العرب والمسلمون اذا اعتقدوا انها حرب صليبية بعض أسلحتها اليهود . . وكلمة اللنبى فى القدس لا يزال رنينها مجلجلا فى الآذان وصداها متجاوبا فى الاذهان .

«البشير الابراهيمي ـ البصائر الجزائرية ١٩٤٧م»

● ان الشعـور الـدينى هو مصـدر الصهيـونية والحافز لقيامها هذا الشعور النـاجم عن التقـاليـد والمعتقـدات اليهـودية والمبنى على اقدم الذكريات للبلاد التى نشأت فيها الحياة اليهودية الاولى والتى مارس فيها اليهود حريتهم .

«حاييم وايزمان»

● سأل انشتـاين بن غوريـوم يوم جاء يطلب الـدعم لاقـامـة وطن قومي لليهـــود فى فلسطـين . . ومـاذا عن الفلسطينيـين . . ماذا ستفعلون بهم؟ فأجـابـه بن غوريـون . . اين هم؟ هل هم موجـودون؟ وفى ذلـك الحين اطلق شعاره المعروف شعب بلا ارض لارض بلا شعب .

«انشتاين فى مذكراته»

في الطريق إلى قمة فاس

(٢)

من منطلق الايمان بقضايا امتنا المصيرية كان ولايزال قائدنا المفدى الملك الأمين فهد بن عبد العزيز يدعو الأمة العربية والاسلامية الى توحيد الصف وجمع الكلمة . . وتحقيق التضامن . . وكان الفهد القائد ولايزال يهتم بقضايا الأمة العربية والاسلامية يعمل من أجل وحدة الكلمة وبناء المجتمع المتمسك بعقيدته . . ومثله وقيمه . . المتزود بسلاح العلم والمعرفة والايمان . . والفهد المفدى يوصى أبناء الأمة بضرورة رصد كافة الحوادث التى تمر علينا . . وأن تكون أمتنا على علم بحقائق الأمور . . لتحدد موقفها من قضايانا المصيرية .

ومن الضرورى ونحن نجابه عدونا اسرائيل . . أن نكون على معرفة صحيحة بما يتكون منه هذا المجتمع المعادى . . وماهى نقاط القوة والتماسك فيه . . وماهى نقاط الضعف والتفكك أيضا حتى نكون على بينة من كل خطوة تخطوها أمتنا فى معالجة هذا الورم السرطانى . . واستئصال هذا الوجود الدخيل فى قلب وطننا .

وبما أن عدونا يعتمد كثيرا على قوته البشرية . . اضافة الى اعتماده على قوته المادية وغيرها . . فعلينا أن نمعن جيدا فى هذه القوة البشرية لديه . . وأن نعرف عوامل ترابطها وتجاذبها فنعمل على اضعافها . . وأن نعرف عوامل تفككها وتنافرها فنعمل على خلخلتها .

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن قوة اسرائيل البشرية ليست مقصورة على أولئك اليهود الذين استوطنوا بالعدوان فى فلسطين . . فإن كل يهودى فى شتى أرجاء الأرض يعتبر عنصرا بشريا يدعم اسرائيل لا بقواه المادية والمالية والاعلامية فحسب . . بل أنه يدعمها أيضا بوجوده البشرى اذا اقتضت منه الأمور ذلك وسنحت له الظروف أو استدعته الحوادث . . وما أكثر أولئك الذين لبوا نداء اسرائيل فى أزماتها فتقاطروا اليها . . كما أن كل يهودي مهيأ نفسيا للمجىء الى فلسطين ممنيا نفسه ـ بالعودة وما استمرار الهجرة الى فلسطين الا شاهد على ذلك .

كل هذا اذن يقتضينا على الأقل أن نعرف تكون المجتمع الاسرائيلى وهو مجتمع وليد جديد . . مم يتكون ؟ ومن أين جاءته هذه العناصر؟ وما الذى حفزها الى الغزو؟ وما الذى يجمع بينها؟ وما الذى يباعد بينها؟

والواقع أن التعرف على التكوين البشرى للمجتمعات المعادية قائم ومطبق منذ القديم . . فما من قائد توجه لقتال عدوه الا حرص على معرفة قوى هذا العدو البشرية . . من عددها . . وتآلفها . . ونفسياتها وعتادها الخ . . ولذلك كانت العيون توجه لاستقصاء هذه المعلومات . .

ولكن هذا التعرف على تكوين المجتمع البشرى أصبح حديثا . . علما قائما بذاته تهتم به الدول والدراسات . . وأصبح يعرف ـ بعلم السكان ـ وبدأت المؤسسات تصدر حوله الدراسات المستفيضة . . فتقيس المستقبل على الحاضر والماضى . . وتستخلص النتائج التى تتوقع الوصول اليها . . وتحسب حسابها فلا تفاجأ بأزمة ولا بقوة غير منظورة أو مقدرة .

وفى حدود موضوعنا هذا صدرت دراسات عديدة حول تكوين

اسـرائيـل البشـري . . منهـا دراسـة للجامعة العربية بعنوان . . « الهجرة اليهودية الى فلسطين» ـ لأليأس سعود .

ـ التمييـز ضد اليهـود الشـرقيـين ـ وهـذا يدل على أن الاهتمام بالتكوين البشـري لعـدونـا بدأ يظهـر وينتشـر في الأوسـاط الفكـريـة والمؤسسات عنـدنـا . . كما أن اسـرائيـل سبقتنـا فى الاهتـمام بهذا الموضوع فأصدرت دراسـات متعـددة فى علم السكـان تبحث فى تكـوين مجتمعها . . وماهي المخاطر التى تعترضه منها بحث للوكالة اليهودية ـ الهجرة ومشكلة الطبقة الـوسطى في اسـرائيـل ـ و ـ أضواء على سكان اسرائيل ـ ل . ب ـ جيل ـ وأضـواء على السكـان والـدخـل للفترة ٦٥ ـ ٧٥م ل . ن ـ هاليفى ـ وما أكثـر الـدراسات التى أصبدرتها اسرائيل حول المجتمعات العربية والدول العربية الى حد أن تنشأ كليات فى جامعاتها للاهتمام بقضايا كل دولة من الدول العربية .

تعتـبر فلسطـين المحتلة من أكثـر البلدان كثـافـة فقـد بلغت كثافتها قبيل حرب يونيو ١٣٢ / كم . . وهناك منطقة الشريط الساحلى الممتد من حيفا الى عسقـلان يقيم فيهـا حوالى ثلثى سكـان اسـرائيل وتصل الكثافة في منطقة تل أبيب الى ١٦٧٥ نسمة كم٢ ـ وهي من أعلى الكثافات في العالم . .

والمجتمـع البشـرى فى فلسطين المحتلة يتكون من عرب ويهود ويقسم العرب فى الاحصاءات السكانية الى مسلمين ومسيحيين ـ ودروز . . كما أن اليهـود الى يهود ولـدوا فى فلسطـين والى يهود وافـدين من القـارات أو الدول التى جاؤوا منها . .

كان عدد اليهـود فى فلسطـين قبيـل قيام اسرائيل حوالى ـ ٦٥٠ ـ ألفا وبلغ عددهم في نهايــة عام ١٩٦٧ حوالى (٢,٣٨٤,٠٠٠) مليـونـين وثلاثمائة وأربعة وثمانين ألفا . . أى انهم بلغوا أربعة أضعاف عددهم عند قيـام الـدولـة في أقـل من عشـرين سنة . . وزاد عددهـم عن ثلاثة ملايين نسمــة في نهايــة عام ١٩٨١م وهـذا ناشىء بشكـل واضـح عن الهجـرة المستمـرة والكثيـرة خصـوصـا بعـد الحـروب التى خاضتهـا اسرائيل مع العرب . . بينما كان عدد العرب الذين بقوا فى فلسطين بعد الاحتلال عام ١٩٤٩م ـ ١٦٠ ـ ألفـا وبلغ عددهم في نهايــة ١٩٦٧م ـ ٣٢٥ ألفـا ـ لم يدخـل في هذا العـدد سكان القدس العربية التى ضمها اليهود ولاسكان الضفة الغربية وغزة ـ وهذا يعني أن العرب تضاعفوا مرة واحدة في خلال عشـرين سنـة مقابل مضاعفة عدد اليهود أربع مرات فى الفترة نفسها . . والسبب في ذلك ان هناك توافد يهودي بالاضافة الى التزايد الطبيعى عند العرب .

ويبـدو أن الحـد الـوسطى السنوى فى هذه الفترة للزيادة الطبيعية عند العرب يصل الى ٨,٥ ـ ثمانية آلاف وخمسمائة ـ وقد وصلت هذه الزيادة حقيقة عام ٦٦ الى حوالى ١٣ ألفا وكانت النسبة المئوية للزيادة الطبيعية عند العرب فى السنة حوالى ٤٪ .

وأما فى الجانب اليهودى فان صافى الهجرة اليهودية فى هذه الفترة ٤٨ ـ ٦٧م بلغ ـ ١,٩٩,٠٠٠ ـ مليـونـا وتسعـة وتسعـين ألفـا ـ وهذا يعني أن ضعفي سكان اسرائيل اليهود عند قيامها جاؤ وها وافدين . . وان الزيادة الطبيعية لمن كان في فلسطين منهم قبل عام ٤٨ ولهؤلاء المهاجرين بلغت

فى هذه الفترة حوالى ٦٨٠ ألفا ـ أى ضعف عدد اليهود فى بداية الفترة . . ولقد حسبت النسبة المئوية للزيادة الطبيعية السنوية لليهود فى اسرائيل فكانت حوالى ١,٧٪ مقابل ٤٪ للعرب وتدنى هذه النسبة المئوية للزيادة الطبيعية لدى اليهود فى اسرائيل راجع الى أن اليهود القادمين من أوربا وأمريكا لاتبلغ عندهم هذه النسبة ١٪ ونسبة الزيادة الطبيعية لدى المولدين فى اسرائيل ١,٩٪ وهى عند القادمين من بلاد الشرق تصل الى ٣٪ الا أن اقامة هؤلاء فى اسرائيل أثرت فيهم فانخفضت عندهم الخصوبة ونسبة الزيادة الطبيعية مع الزمن.

وبالمقارنة بين النسبة المئوية للتزايد الطبيعى لدى العرب والنسبة المئوية للتزايد الطبيعى لدى اليهود يتبين أن العرب يمكن أن يتضاعف عددهم فى خلال ٢٠ ـ ٢٥ سنة ـ بينما يحتاج اليهود الى أكثر من خمسين سنة حتى يتضاعف عددهم فى فلسطين . . اذا لم يكن هناك الا عامل الزيادة الطبيعية . . وهذا ناشىء عن كثرة التوالد لدى العرب وقلته لدى اليهود . . فنسبة الأطفال اليهود دون ١٥ سنة ـ أى الذين ولدوا بين عامى ٥٠ ـ ٦٥ ـ حسب الدراسة المعتمدة ـ الى عدد اليهود فى فلسطين هى ٣٢,٥٪ أى أقل من ثلث اليهود هم الأطفال دون الخامسة عشرة . . بينما تصل هذه النسبة عند العرب الى ٥٠٪ وهى عند المسلمين خاصة ٥٣٪ وعند المسيحيين ٤٠,٥٪ وعند الدروز ٤٩,٥٪ .

وهذا التفاوت بين النسبة عند العرب وبينها عند اليهود عائد الى أن الخصوبة (وهى المواليد الأحياء لكل ألف انثى عند اليهود متدينة تصل الى ٩٥ طفلا فى السنة وقلتها عند اليهود ترجع الى اليهود القادمين من

أوروبا وأمريكا تصل هذه الخصوبة عندهم الى ٤٧ طفلا فى السنة فقط وعند اليهود القادمين من آسيا وأفريقيا ١٤٧ طفلا.

ولعل هذا الاختلاف بين العرب وبين الغربيين . . يرجع الى عوامل متعددة منها العوامل الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . . وإن نظرة سريعة يلقيها أحدنا الى عدد أفراد الأسر الفلسطينية اللاجئة وكثرة الأطفال فيها تؤكد وجهات النظر السابقة.

من هذا كله يتخوف بعض المسؤولين اليهود والمخططين بشريا لهم من هذا التكاثر السريع عند العرب وهم يرون ان انخفاض الهجرة أو انعدامها سيؤدى مع الزمن الى تزايد نسبة العرب فى المجتمع الاسرائيلى . . وازداد هذا التخوف بعد أن ضمت اسرائيل مدينة القدس العربية وماحولها من القرى العربية الى الأرض المحتلة سابقا . . وبذلك يصل عدد العرب الى أكثر من ٤٠٠ ألف ـ ومن المحتمل أن يكون هذا التخوف من العوامل الرئيسية التى تمنع اسرائيل من ضم الضفة الغربية وقطاع غزة كما فعلت بالقدس . . ولازالت اسرائيل تسمى هذه المناطق الأراضى الخاضعة للادارة الاسرائيلية أو الأرض المدارة . . وذلك لأن هاتين المنطقتين مزدحمتان بالسكان العرب . . فلو ضمت هذه الأرض كلها الى اسرائيل وسرت عليها الأنظمة والقوانين الاسرائيلية لقفز عدد العرب الذين يكونون جزءا من الدولة الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلى الى أكثر من مليون نسمة.

اذا كان العامل الطبيعى فى التزايد السكاني فى فلسطين المحتلة ليس فى صالح اليهود لما سبق أن تحدثنا عنه . . فان اسرائيل تعرف ذلك منذ

البداية وتعمل لسد هذه الثغرة . . والتعويض عن ذلك النقص بما يكفي ويـزيـد لتأديـة مهام أخرى . . وهى ملء الأرض التى تحتلها وتفرغها من أهلها . . انها تلجأ الى استحضار اليهود من أرجاء الأرض للاستيطان العدوانى .

بدأت الغـزوة الاستيطـانيـة اليهـودية لفلسطين مبكرة فعمل لها زعماء الصهيـونيـة منـذ عهد الدولة العثمانية في زمن السلطان عبدالحميد ورغبوا اليـه أن يسمـح لهم بالاستيطـان فى فلسطين مقابل تسديد الديون المترتبة على الـدولـة العثـمانية . . ورغم رفضه هذا العرض واصداره قانونا يحظر على اليهود دخول فلسطين للاقامة فيها . . فإن بعض المتطرفين والحكومة التى جاء بها الانقـلاب الـذى دبـره اليهـود على السلطـان عبـد الحميد أفسحـوا المجـال أمـام اليهـود للهجـرة الى فلسطـين وهكـذا وصلت فى السنـوات العشـر التى سبقت الحـرب العـالميـة الأولى حوالى ٤٠ ألف وافـد . . وصـار عدد اليهـود في فلسطـين مع بدايـة الحرب العالمية الأولى حوالى ٨٥ ألفا انخفض عند نهايتها الى ٥٥ ألفا .

ومن هذا الـرقم . . ومن هذا التـاريـخ بدأت قضيـة فلسطين تتأزم إذ قدم بلفـور وعـده للزعيم الصهيـونى ـ روتشيلد ـ بتأسيس الوطن القومى لليهود فى فلسطين . . وبدأت بعد الانتداب البريطانى على فلسطين كل من الحكـومـة الـبريطانية والوكالة اليهودية تشجيع الغزو . . وتعمل على تنفيذه . . فتقوم بريطانيا بتعيين مندوبها السامى الأول ـ هربرت صموئيل اليهـودى ـ الـذى قام بمهمتـه الصهيونية على أكمل وجه . . وكان يصدر القـوانـين التى تكفل للوافدين اليهود حق الدخول الى فلسطين والاقامة

الـدائمـة فيهـا . . وأكثـر من ذلـك كانت السلطة البريطانية تقدم لليهود الوافدين الأرض ليعملوا فيها وهذه الأرض من أملاك الدولة العامة حتى بلغت المسـاحـة التى قدمتهـا لهم حكـومـة الانتداب البريطانى (٥٠٠) كم٢ وهى ربع ماكان يملكه اليهود فى عام ١٩٤٧م . . كما كانت الوكالة اليهـوديـة تقدم للوافدين المساعدات المالية للنقل والسكن تصل الى أكثر من ٥ آلاف دولار للأسرة الواحدة.

وبهذه الجهود الشريرة التى تضافرت وصل عدد اليهود فى فلسطين الى أكثـر من ٦٠٠ ألف يهودى ـ أى أن عدد اليهـود فى فلسطين تضاعف الى عشـرة أضعـاف ماكـان عليه فى مدى ربع قرن . . وماكان لعدد اليهود أن يتضاعف مرة واحدة بالزيادة الطبيعية وحدها فى هذه الفترة لولا التدفق الاستيطانى .

وكـانت أكـبر المصـادر التى أمدت الغزوة في هذه الفترة هى ـ بولندا ـ فقـد زاد عدد القـادمـين منهـا عن ١٣٠ ألف يهودى ـ ومن هؤلاء المجـرم الارهـابى ـ بيجن ـ ثم المـانيـا التى جاء منهـا حوالى ٤٠ ألف يهودى ـ والاتحاد السوفيتى الذى زاد عدد الوافدين منه الى فلسطين عن ٣٠ ألفا ـ ورومانيا ٢١ ألفا واليمن ١٥ ألفا . .

وكـانت أكثـر السنوات تدفقا بالغزاة فى هذه الفترة هى السنوات التى سبقت الثورة الفلسطينية الكبرى ففى عامى ٣٤ ـ ٣٥ ـ بلغت أكثر من ١٠٤ آلاف يهودى وهذا هو الذى فجر الثورة والاضراب الشهير قبلها فى عام ١٩٣٦م

كما أن أقـل الأعـوام تسللا هى الأعـوام التى تقع فيها الثورات والتى

تليها . . والأعوام الأولى من الحرب العالمية الثانية قد انخفض التوافد فى عام ١٩٢٨ م الى ألفي مستوطن . . وفي عام ١٩٣٧م وصل عدد الوافدين الى ١٠ آلاف بعد أن كان في عام ١٩٣٥م أكثر من ستين ألف وفي عام ٤١م وصل عددهم الى ثلاثة آلاف فقط . . وينبغي ألا يغيب عن بالنا أن هذه الأرقام منقولة عن مصادر اسرائيلية ـ الوكالة اليهودية ـ أو مصادر بريطانية ـ وهى أرقام رسمية لاتشمل الذين كانوا يدخلون سرا . .

وكان أكثر من نصف الوافدين من طبقة العمال فقد زاد عددهم في هذه الفترة عن ١٧٥ ألفا وحوالى ربع ريعهم من أصحاب الأموال الذين يملك الواحد منهم مالا يقل عن ٢٥٠ جنيه فلسطينى فى ذلك الوقت.

بعد أن تمكنت القوات الاسرائيلية من أبعاد أبناء فلسطين الذين احتلت ديارهم . . وبعد أن توقفت الحرب ووقعت اتفاقيات الهدنة أوائل عام ١٩٤٩م بعد كل هذا بدأت السلطات الاسرائيلية تعمل جاهدة على ملء المدن والقرى العربية التى أفرغت من سكانها وكانت الوكالة اليهودية تهيىء لها المهاجرين من أوروبا . . ومن أول مافعلته السلطة الاسرائيلية أن أصدرت قانونا للاستطيان سمته ـ قانون العودة لأنها تزعم أن اليهود لايخرجون ولكن ـ يعودون الى أرض الميعاد . . أقر هذا القانون سنة ١٩٥٠م وينص على مايلى :

١ ـ كل يهودى له الحق فى العودة الى البلاد كيهودى عائد.

٢ ـ الاستيطان تكون بتأشيرة وهى تمنح لكل يهودى عبر عن رغبته في الاستقرار فى اسرائيل.

٣ ـ يعتبر وافدا أيضا كل يهودى قدم الى البلاد قبل صدور هذا القانون . . وكذلك كل يهودى ولد فى البلاد قبل أو بعد نفاذ هذا القانون.

في الطريق إلى قمة فاس

(٣)

كانت اسرائيل والوكالة اليهودية تهدفان الى أن يصل عدد اليهود فى فلسطين الى حوالى «٥ ملايين» نسمة، ولكن الغزوة لم تكن تسير بعد انشاء الدولة اليهودية بانتظام وبغزارة فكانت تمر سنوات تنشط فيها بشكل ملحوظ بينها كانت تنخفض أحيانا. . وكانت أكبر غزوة شهدتها فلسطين المحتلة فى السنة التى تلت التقسيم. . ففى عام ١٩٤٩م بلغ عدد القادمين «٢٤٠» ألف بينما كان عددهم فى العام السابق للتقسيم لايزيد عن ٥٠ الفا.

وفى عام ١٩٤٨م بلغ عددهم مئة ألف، لأن هذا العام عام حرب تطلب مجىء عدد كبير ممن يصلحون للقتال أما بعد توقيع اتفاقيات الهدنة فقد شعر اليهود فى خارج فلسطين أن جوا من الأمن والاطمئنان يتوفر لهم. . ثم أن التآمر الدولي الذى تألب على القوات العربية حفز اليهود على أن يزيدوا عدد تدفقهم دون خوف أو قلق. . وتتابعت أعدادهم فبلغت فى عام ١٩٥٠م ١٧٠ ألفا وفي عام ١٩٥١م ١٧٥ ألفا.

وهكذا بلغ عدد المستوطنين اليهود فى فلسطين فى أربع سنوات بعد قيام اسرائيل ٦٨٥ ألفا، أى أن عدد السكان اليهود قد تضاعف فى أقل من أربع سنوات. .

وكانت مصادر التدفق لهذه الموجات الضخمة من مخيمات اللاجئين

اليهـود فى أوروبـا الغـربيـة التى أنشئت لليهـود الفـارين من الدول التى احتلتها القوات النازية . . وقد بلغ عدد هؤلاء اليهود اللاجئين في أوروبا الغربية حوالى ٤٠٠ ألف . .

والمصدر الثاني فى هذه الفترة هو أوروبا الشرقية . . والثالث هو بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا .

وكانت التدفقات من رومانيا أكبر فى هذه الفترة من أوربا اذ بلغ عدد القادمين منها الى فلسطين ١١٨ ألفا ثم تليها بولونيا ١٠٦ آلاف وبعدها بلغاريا التى وصل منها ٣٧ ألف يهودى .

وأما أكبر غزوة استيطانية فعلا فى هذه الفترة فقد كانت من بلد عربى هو العـراق، فقـد بلغت رقـما قياسيا ١٢٣ ألفا فى سنتين متتاليتين : ٥٠ ، ١٩٥١م، ففى سنـة ٥١ وحـدهـا وصـل من العـراق ٨٦ ألف يهودى . . وكيف يتمكن مثـل هذا العـدد الضخم من الخـروج دون موافقة السلطة الحـاكمـة فى العـراق عنـدئـذ . . والبلد العـربى الثانى فى امداد اسرائيل بالمستـوطنـين هو اليمن . . فقـد وصـل منه حوالى ٤٤ ألف يهودى . . أما الجزائر ومصر والمغرب فقد وصل منها على التوالى ٢٤ ، ١٧ ، ١٢ ألفا . .

وأما الدول الغربية ودول أمريكا فان عدد القادمين منها كان قليلا جدا تراوح طوال السنوات الأربع بين مئتي وافد من كندا وألفين من فرنسا . . ولم يزد هذا العدد عن ١٤٠٠ من الولايات المتحدة .

وهـذا كله يعنى أن المجتمـع الاسـرائيلى بدأت تغلب عليـه الصفـة الشرقية . . فقد بلغ عدد القادمين من آسيا وأفريقيا ٣٢٨ ألفا مقابل ٣٤٢ ألفا من أوروبا وأمريكا .

فاذا علمنا أن معظم هؤلاء الوافدين من أوروبا كانوا من دول أوروبا الغربية تبين لنا أن أكثر من ٧٠٪ من هؤلاء كانوا من مجتمعات شرقية أو شبيهة بها من حيث التخلف وفى عام ١٩٥٦م بلغ حوالى ٥٥ ألف مستوطن . .

وبشكل عام بلغ عدد اليهود الذين وصلوا الى فلسطين المحتلة من أول عام ١٩٥٦م الى نهاية عام ١٩٦١م حوالى ٢٥٠ الفا . . وهذا يساوى ثلاثة أضعاف عدد الوافدين الذين دخلوا البلاد فى غضون السنوات الأربع السابقة من ٥٢ : ٥٥م ، وهذا يعنى أن المعدل السنوى للسنوات الست من ٥٦ الى ٦١م بلغ أكثر من ٤٠ ألف بينما كان هذا المعدل للسنوات الأربع السابقة لها ٢٠ ألف مستوطن، وهذه الزيادة الكبيرة فى المعدل السنوي للقادمين ترجع الى الشعور بالأمن الذي وفره لليهود وجود القوات الدولية وماحققته اسرائيل فى حرب السويس بمعاونة بريطانيا وفرنسا . .

والملاحظ فى هذه الفترة من عام ١٩٥٧م الى عام ١٩٦١م أن نسبة القادمين من أوروبا وأمريكا الى القادمين عامة بدأت ترتفع وتزيد عن ٥٠٪ وقد ترددت هذه النسبة بين ٥٥٪ سنة ١٩٥٨م، و٧١٪ سنة ١٩٦٠م . . بينما كانت النسبة الكبرى للمستوطنين من آسيا وأفريقيا في الفترة السابقة من عام ١٩٥١م الى عام ١٩٥٦م فتراوحت هذه النسبة بين ٧١٪ سنة ١٩٥١م و٩٣٪ سنة ١٩٥٥م.

ويبدو أن احساس المسؤولين في اسرائيل بحاجتهم الى ذوي الخبرة الفنية والمستويات العالية دفعهم الى الاكثار من يهود أوروبا الغربية . .

يضـاف الى ذلـك أن اليهـود الغـربيـين تأثروا بنتائج حرب السويس . . وأحسوا بالأمن والاطمئنان بسبب وجود البوليس الدولى بين مصر واسرائيل . .

والملاحـظ أن الحـوادث السيـاسية الهامة فى العالم العربى كانت تؤثر أيضا سلبا أو ايجابا فى اعداد القادمين الى فلسطين من اليهود . . فاذا كان في الحـدث السيـاسي أضعـاف للجـانب العـربى أو نصر للجـانب الاسرائيلى كانت أعداد المستوطنين في الفترة التالية تتزايد . . وهذا يظهر واضحا بعد الحوادث التي مرت سنة ١٩٤٨م و١٩٥٦م ، ويبقى هذا الأثر بارزا فى الجـانب السلبي بعـد عام ١٩٥٨م الـذي أعلنت فيه الوحدة بين مصـر وسـوريـة فقد أثر هذا على اعداد المستوطنين فانخفض الى نصف المعدل السنوى للعامين السابقين . . فانخفض من ٧١ ألفا عام ١٩٥٧م الى ٢٧ ألفـا فى عام ١٩٥٨م وارتفـع في عام ١٩٦٢م الى ٦١ الف وافـد ثم الى ٦٤ ألفا عام ١٩٦٣م و٥٥ ألفا عام ١٩٦٤م وبعد ذلك بدأ هذا الـرقم بالتناقص التدريجى ، فدخل البلاد في السنوات ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧م على الـترتيب ٣١ ، ١٦ ، ١٤ ألفـا . . وهكـذا يكـون المعـدل السنوي لهذه السنوات الأربع ٦١ ـ ٦٤ عال اذا قورن مع المعدل السنوي للفترات السابقة باستثناء الفترة التالية لقيام اسرائيل

أما المعدل السنوي للسنوات الثلاث التي سبقت حرب يونيو فقد كان منخفضا وهو حوالى ٢٠ ألفا سنويا وقد اقتر ن هذا الانخفاض فى المعدل السنـوي للاستيطان بتأزم الحالة الاقتصادية في اسرائيل وذلك بانخفاض قدوم رأس المال من الخارج وبتوقف حركة البناء وزيادة عدد العاطلين عن

العمـل . . وقـد وصلت نسبة العاطلين عن العمل الى القوة القادرة على العمـــل فى عام ١٩٦٦م الى ١٠٪ وفى أوائــل عام ١٩٦٧م وصلت الى ١٣٪ بينـما كانت هذه النسبـة «نسبـة العاطلين عن العمل» سنة ١٩٦٤م حوالى ٣٪ فقط.

كان من المتوقع أن تتزايد أعداد القادمين الى فلسطين المحتلة بعد أن انتهت حرب يونيو الى ما انتهت اليه . . فقد اتسعت رقعة الأرض التى تحتلهـا اسـرائيل أربعة أضعاف مساحتها السابقة . . وعلى الرغم من أن عشــرات الآلاف من الشبــاب اليهــود قد تطـوعـوا للالتحـاق بالجيش الاسرائيلى قبيل حرب يونيو لمساعدة اسرائيل الا أن تتبع اعداد الوافدين فى عام ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩م يبين لنا أنها كانت قليلة نسبيا وأقل بكثير مما كان متوقعا لها بعد الحرب وانتصار اسرائيل فيها . .

فالمستوطنون بعد العدوان حتى أواسط عام ١٩٦٨م لم يزيدوا عن ١٩ ألف الا أن هذا العدد ارتفع عام ١٩٦٨م بالذات فوصل الى ٣٠ ألفا.

أما الأعوام التالية لعام ٦٨م فقد شهدت ارتفاعا فى أعداد القادمين وذلك راجـع الى استمـرار بولونيا بالسماح بالمغادرة . . ثم سماح الاتحاد السوفيتي ليهـوده بالمغـادرة بعد عام ١٩٧٠م . . وهذا مالم يكن يتوقعه العرب ، ولا الذين كتبوا عن الاستيطان اليهودي . من الكتاب العرب والفلسطينيين.

فقـد سمـح الاتحاد السوفيتيى لليهود السوفييت بالمغادرة الى فلسطين المحتلة بعد أن قامت الوكالة اليهودية واسرائيل بحملة دعائية كبيرة حول هذا المـوضـوع . . وبعـد أن تدخـل «نيكسـون نفســه» فتقـاطرت أفواج المغادرين من الاتحاد السوفيتى ووصلت الى أكثر من ٢٥٠٠ شهريا وزاد

عددهم في النصف اول من عام ١٩٧٢ الى أكثر من ١٥ ألف مغادر. .
والجدير بالذكر أن في الاتحاد السوفيتى حوالى ٢,٥ مليون يهودي . .
واذا ألقينا نظرة عامة على المجتمع الاسرائيلى ـ السكان في الأرض المحتلة ـ فاننا نجد خليطا من مجتمعات وعقليات ولغات وألوان وعادات وتقاليد وقوميات متعددة ومختلفة ، فهم قد اجتمعوا من أكثر من أربعين بلدا . . ويتكلمون أكثر من عشرين لغة ولهم أكثر من لون وعنصر . . وعاداتهم وتقاليدهم تغلب عليها عادات وتقاليد البلاد والأمم التي جاؤوا منها . .

ان مثل هذا المجتمع لايمكن الا أن يكون فيه ثغرات كثيرة وواسعة يمكن للعرب أن يدخلوا منها ويمكنهم أن يدقوا فيها أسافين تفتت المجتمع الاسرائيلى . . وتؤدى الى هدمه أو زعزعته . .
والقادة الاسرائيليون كانوا يأملون أن تنصهر هذه النوعيات المختلفة من الوافدين فى البوتقة الاسرائيلية ويزول التباين والتمايز فلا يبقى شىء من التمييز والايثار . . ولكن آمالهم هذه لم تتحقق على الرغم من مضي عشرات السنين على محاولات الصهر . . لأن هناك عوامل قوية تؤدى الى هذا التفكك والتخلخل يضاف اليها استمرار الاستيطان الذى يأتي بعناصر جديدة فتزيد التناقض . .

وانطلاقا من هذا يجب علينا أن نعرف نقاط الضعف فى المجتمع الاسرائيلى لنستخدمها على أوسع نطاق لتؤتي أكلها :
١ ـ ان من أبرز نقاط الضعف في مجتمع اسرائيل وجود العرب فيه . . فهؤلاء العرب يشكلون خطرا يتغلغل فى أعماق اسرائيل ويعتبر بعض

الاسرائيلين وجودهم هذا كالقنبلة الموقوته . . والتي لا يعرف متى ستنفجر . . وقد كان المسئولون الاسرائيليون يخشون فى حرب يونيو أن يقوم هؤلاء العرب ببعض أعمال ضرب مؤخرة الجيش الاسرائيلى . . ولكن الذى حدث أنهم لم يفعلوا شيئا من هذا . . مما دفع وزير الدفاع الى الثناء عليهم لما أبدوه من هدوء ومحافظة على الأمن . . ولعل الأسباب فى ذلك عائدة الى أنه ليس هناك تنسيق بين الدول العربية وبينهم ، أو الى أن الزمن الذي انتهى فيه الحرب لم يمكنهم من أن يفعلوا شيئا . . ولذلك وخشية من هذا الخطر المجهول فإن كثيرا من المسئولين الاسرائيلين لا يريدون لهذا العدد أن يزداد ويتضاعف .

ثم أن العرب في الأراضى المحتلة يشعرون بأن معاملتهم تختلف عن معاملة اليهودي من حيث الأجور والتعليم والوظائف . . وعلى الدول العربية أن تبذل جهودها فى سبيل كسب أكبر عدد منهم . .

٢ ـ وهناك فى المجتمع الاسرائيلى نفسه مظهر من مظاهر التمييز وهو أنه يتألف من فئتين يهوديتين :

أ) فئة اليهود ـ الفرديين ـ وهم اليهود الشرقيون الذى قدموا الى اسرائيل من البلاد العربية والأفريقية والآسيوية . . وهم أكثر تدينا وتمسكا بالتقاليد والطقوس الدينية من غيرهم . . كما أن مستواهم العلمي والاجتماعي أدنى . .

ب) وفئة اليهود ـ الاشكنازيين ـ وهم يهود أوروبا الشرقية والغربية ويهود روسيا وأمريكا وهؤلاء أكثر ثقافة . . وعاداتهم مطبوعة بالطابع الأوروبى . . وهم أقل تمسكا بالطقوس الدينية . .

٣ ـ وهناك تمييز آخر يقوم على أساس القومية والبلد الذى جاء منه المستوطن . . فاليهود جميعا ينظرون الى اليهود الذين جاؤ وا من البلاد العربية نظرة أدنى من نظرتهم الى من جاء منهم من سائر البلاد . . ولذلك فإن يهود، كل بلد فى اسرائيل يشعرون بالترابط والتقوقع . . فالذين جاوؤ ا من العراق مثلا يحسون بالتعاطف فيما بينهم والانفصال عن يهود جاؤ وا من بولونيا . . ويهود المانيا يميزون أنفسهم عن يهود اليمن وهذا يدفعهم الى التقارب فى مساكنهم لتقوى بينهم الصلات . .

ولقد دفع هذا التمييز بعض الوافدين منهم الى القول : « انني كنت أشعر وأنا في بلدي السابق بأنني يهودي . . وأما بعد أن جئت الى اسرائيل فقد صرت أشعر بأننى أنتمى الى بلدى السابق» .

ويعد هذا الأسلوب الذي تكون به المجتمع الاسرائيلى . . أجدني أتساءل : ماذا قدمت الهيئات والمنظمات الأهلية والرسمية فى البلاد العربية من دراسات حول هذا المجتمع الدخيل؟!

اننا نترقب عملا جادا من الهيئات العربية المعنية . . كما أن الأنظار تتجه الى مؤتمر فاس . . فلعل مؤتمر القمة خصوصا بعد حوادث لبنان . . يدرك أبعاد المؤامرة . . ويقف على حقيقة آلام أمتنا فيعالجها بواقعية واخلاص . . وإنا لمنتظرون . .

ماذا عن أحداث لبنان ؟

المشكلة اللبنانية بدأت فى أوائل السبعينات تفرض نفسها على السياسة العربية وان كانت الجذور اعمق من ذلك بكثير . . فالمواطنون اللبنانيون يتكونون من اكثرية اسلامية تزيد عن ٦٥٪ من السكان اقلية مسيحية تقل قليلا عن ٣٥٪ . . ومعروف ان المسلمين ينقسمون الى فئتين هم السنة والشيعة واخيرا ألحق الدروز انفسهم بالطائفتين الاسلاميتين من حيث التيار السياسي . . واما الفئة الاخرى فئة المسيحيين فتتكون من مجموعات كثيرة هم الموارنة والكاثوليك والروم الارثوذكس والبروتستانت والارمن . . وهؤلاء الاخيرون حديثوا الوفود الى لبنان ولا يزالون يشكلون مجتمعا خاصا بهم اقرب الى الانغلاق عليهم من الانفتاح على الاخرين . .

المسلمون وهم الاكثرية نظروا الى العجلة السياسية والنفوذ الحكومي فوجدوا انفسهم من ذلك كله صفرا وان كان رئيس الوزراء منهم وكذلك رئيس مجلس النواب . . ولكن رئيس الوزراء لايستطيع ان يبرم امرا بغير موافقة رئيس الجمهورية بل انه لا يرأس مجلس الوزراء وانما الذى يرأسه دائما هو رئيس الجمهورية . . والشيء نفسه ـ اعني البعد عن السلطة ـ منطبق على رئيس مجلس النواب . .

والنتيجة ان مسألة السلطة جميعها متجهة فى يد الفئة المارونية فمنهم

رئيس الجمهورية . . ورئيس الجيش . . ورئيس المحكمة العليا . . محكمة التميز ـ ورئيس الامن الداخلى . . كما ان اهم الوزارات التنفيذية تقع فى ايديهم . . ومن ثم فقد صار لبنان ذو الأغلبية المسلمة يحوط ببحر من الشعوب الاسلامية ، لا يشعر المسلمون فيه بأية مشاركة فى الحكم . . مما حدا بهم الى رفع شعار المشاركة . . وكتبوا فى ذلك طويلا على صفحات الجرائد ورد عليهم بعض المسيحيين ردودا تتصف بالعنف اكثر منها بساحة الحوار ومن عجب انه كان فى مقدمة هؤلاء الصحفى غسان تويني ـ صاحب جريدة النهار . . ومندوب لبنان فى مجلس الامن لسنوات طوال والوزير الحالى . . وكان فى قلمه ضراوة رغم كونه لا ينتمى الى الطائفة المسيحية ذات النفوذ الكاسح واعنى بذلك الموارنة . . ورغم ان زوجته درزية المذهب وليست مسيحية . . والدروز يقعون كما أسلفنا سياسيا فى نطاق التيار الاسلامى . . استغل هذا الشعار استغلالا عنيفا ولم يحقق للمسلمين فيه قيد شعرة من المشاركة فى الحكم .

العجيب فى الامر ان المسلمين وهم الاكثرية الساحقة لم يطلبوا الاستئثار بالحكم او بأكثر المناصب واخطرها وهذا حق لهم باعتبارهم الاغلبية . . ولكنهم كانوا من التواضع بحيث طلبوا المشاركة فقط .

ولما لم يستجب لهم بدأت الصلات الطبيعية بين ابناء الوطن الواحد تتعرض للتمزق واصاب النفوس الكثير من الكدر وانقسم الزعماء على انفسهم وحدث تراشق مشهور بين رئيس الوزراء آنذاك ـ صائب سلام ـ وبين كمال جنبلاط الذي كان يقود الشارع السياسي ـ حسب التعبير اللبنانى ـ ولعل الحرب الجزئية التى حدثت فى شهر مايو سنة ٧٣م فى

بيروت الغربية المسلمة وبين الجيش اللبنانى كانت بداية لهذا التمزق بشكل معلن بين نظام الحكم الذى يسيطر عليه الموارنة . . وبينم الأغلبية المسلمة المجردة من السلاح إلا قليلا .

وحدث بكل اسف ان كان لبعض الحكومات العربية ذات الايدلوجيات الغربية عنها وكلاء من اللبنانيين انفسهم ـ ولا اريد ان اقول عملاء ـ وهذه الدول معروفة بطبيعة الحال ، يضاف الى ذلك انه كان للدولتين الكبيرتين ذات المذهبين المتناقضين المتضادين ـ امريكا وروسيا ـ نفوذ ورجال مزودون بالمال والسلاح . . وهناك سبب لا استطيع ان اغفله وهو ان لبنان بنظامه الاقتصادى المنفتح حقق ازدهارا وضع النظام الاقتصاد السوري المنغلق وما تبعه من كساد فى سوريا من حرج شديد مما حرض سوريا على العمل على ضرب هذا النظام المزدهر رغم انه بحكم الصراع الداخلى كان فى طريقه الى الضمور والتقهقر . . وانتهى الامر بالحرب الاهلية اللبنانية وتفصيلاتها معروفة لدى القراء . . وبخاصة ما يتعلق بضرب الفلسطينيين فى تل الزعتر من اكثر من جانب ـ جانب سافر العداء وجانب آخر مستتر . . وان كانت الظروف قد كشفته فيما بعد . . هذا عن حوادث لبنان . .

أما عن الصمود الفلسطينى فى بيروت فان المتابع لمجريات الامور كان يتوقع هذا الصمود لعدة اسباب منها :

ان الحرب الجزئية سنة ٧٣م فى بيروت الغربية كان صمود المسلمين فيها ضد الجيش اللبناني مرتبط أشد الارتباط بتأييد الفلسطينيين اللبنانيين المسلمين المعتدى عليهم . . ومنذ تلك الفترة صار الفلسطينيون هدفا

للسلطة اللبنانية المارونية . . فكان عليهم ان ينتبهوا للامر ـ وقد فعلوا ـ ويحصنوا انفسهم . . بالسلاح الذى يصدون به اية هجمة مفاجئة وهو عين ما حدث فى «عين الرمانة» فى ابريل سنة ٧٣م . . اوما عرف بعد ذلك بالحرب الاهلية اللبنانية . . اضيف الى ذلك ان الجمهرة الفلسطينية التى كانت تقيم فى لبنان واكثر تجمعها فى صيدا وبير وت كانت تحس بانها ضيف غير مرغوب فيه . . وان بعض السلطات اللبنانية كانت تتعامل مع اسرائيل وتتعاون معها لضرب الفلسطينيين فى بير وت مثلما حدث فى الغارة الشهيرة التى قام بها اسرائيليون ودخلوا الى قلب بير وت وقتلوا فيها ـ ابويوسف النجار ـ وكمال ناصر ـ وكمال عدوان .

ان الذى لايستفيد من المحن التى تمر به يفقد عنصر وجوده ، ولم يكن الفلسطينيون مستعدين لان يفرطوا فى وجودهم وبخاصة فى اماكن تجمعاتهم .

ومن ثم فقد درسوا ـ اليهودي ـ محاربا ومغامرا ، وكان موضع دراسة الفلسطينى المحارب لليهودى المحارب حينما التقيا وجها لوجه بالسلاح الابيض فى معركة الكرامة . . وكان المحاربون اليهود يتهاوون صرعى او يفرون مولين الادبار امام الفلسطينى الباسل فى تلك المعركة . .

لم يكن مستحيلا حينئذ أن يصمد الفلسطينى فى بير وت ـ اما اليهودى الاسرائيلى الغازى فقد جرب معارك السلاح الابيض مع الفلسطينى فى معركة الكرامة . ومن ثم لم يجرؤ ان يتقدموا الى بير وت الغربية وانما عمدوا الى الاسلوب الحقير الذى استعملوه دائما فى تاريخهم وهو الغدر وساعدهم على ذلك مواقف امريكا وخضوع بعض الجيوش العربية

القريبة من المعركة . .

بعـد هذا الحـديث عن الصمود الفلسطيني فى لبنان، وفى وجه الغزاة اليهود . . هنالك سؤال يطرح نفسه . . وهو:

هل الجيش الاسرائيلى يتسلط الى الامد الطويل لضرب الفلسطينيين؟!

الاجـابـة على هذا السؤال تكشف الكثير مما قد ينبغي ان تفهمه الدول العربية التي تمشي في ركاب روسيا بصفة أخص.

نسـاءل انفسنـا مم يتكـون الجيش لكي يخوض معـركـة؟! الاجـابـة الطبيعيـة . . ان الجيش يتكـون من رجال هم القادة والضباط والجنود . . ومن عتـاد بري وبحـري وجـوي فى شكـل دبـابـات وطائرات وصواريخ ومـدمـرات وبـوارج . . فاذا ما استطلعنا التكـوين البشـرى للجيش الاسـرائيلى وجـدنـا الغالبية الساحقة منه من ـ الروس ـ وهذا ما يجب ان يعـرفـه الفلسطينيـون والعرب . . ذلك ان الاحصائيات الرسمية الدولية تقـول ان عدد الغـزاة من روسيـا وولايـاتها التى تعرف بالاتحاد السوفيتى يتراوح بين ٣٥ الفـا و ٦٠ الفـا من الغـزاة الذين اكثرهم من الشباب . . وقـد ادوا الخـدمـة العسكرية فى الجيش الروسى ـ ومن ثم فان روسيا تزود الجيش الاسـرائيلى بالـرجال عن عمد وعن قصد . . اذ ليس من المعقول ان دولـة كبـيرة مثـل روسيـا تسمح لهذا العدد من المهاجرين كل سنة من الشباب بالذهاب الى اسرائيل ولا تتوقع انهم سيكونون جنودا فى جيشها لضـرب الفسطينيـين والعرب الذين هم افتراضا اصدقاء لروسيا . . واما العتاد بكل ضخامته وهليمانه وجبروته فهو بكل اسف هدية من امريكا او

شبيه بالهدية . . ومن ثم فان الفلسطينيين يواجهون بالجندي الروسي والسلاح الامريكى باستثناء النسبة القليلة من يهود المشرق واولئك القادمون من الغرب . . وهنا انبه بشدة الى ضرورة ان يلتفت الفلسطينيون والانظمة العربية الموالية لروسيا الى حقيقة الموقف الروسى فى ضوء هذه المعلومات التى هى في الواقع اقرب الى المسلمات منها الى شىء آخر.

بعد الاجابة على السؤال السابق. نتحدث عن موضوع توزيع الفلسطينيين على الدول العربية . . وفى الحقيقة ان التوزيع نوع من التمزيق وكان على الدول العربية مجتمعة ان تناقش هذا الموضوع وان تتعاون مع الفلسطينيين فى المحافظة على كيانهم وتجمعهم بدلا من أن تحول القضية الى مشكلة توزيع الفلسطينيين.

ان الدول العربية بدلا من ان تدافع عن الوجود الفلسطينى فى لبنان وكان الموطن المؤهل لاستيعابهم حتى يعودوا الى أرضهم انشغلت بعملية توزيعهم وتفريقهم هنا وهناك ولا استطيع ان اتنبأ خيرا لهذا التمزيق والتفريق وذلك ان هناك اكثر من دولة عربية مؤهلة بحكم موقعها واتساع رقعتها نسبيا ان تأوي هذه الجموع الباسلة لكيء تظل روح الجماعة قائمة بين الاجيال الفلسطينية المعاصرة . . وليست عندى اجابة عن امتناع هذه الدولة او تلك عن استيعاب الفلسطينيين الخارجين من لبنان . .

ثم ماذا عن مذبحة صبرا وشاتيلا . . اننى كلما تذكرت هذه المذبحة وما رأيته على شاشة التلفزيون من أطفال أبرياء قتلى . . وأمهات برئيات صرعى . . وشيوخ لاحول لهم ولا قوة مجندلين مكومين . . ازددت احتقارا

لهؤلاء الأوغاد الأعداء الذين صنعوا هذه المذبحة بكل جرم ونذالة . .
لقد ذكرتني بالمذابح التى تعرض لها المسلمون فى الاندلس وما كان ابعشها واقساها كما ذكرتني بالمذابح التى قام بها التتار فى بغداد والتى وصفها المؤرخ ابن الاثير وصفا يشيب له الولدان . .

ولكن الموقف الكامن والدرس المستفاد من هذه المذبحة ان عدوين لدودين قد عقدا حلفا بينهما لقتل المسلمين من لبنانيين وفلسطينيين . . اما هذان العدوان فهما الصهيونية اليهودية . . والصليبيبة المسيحية فقد اشتركا فى المذبحة كل من اليهود والصليبيين الذي يحمل أكثرهم بكل أسف الأحقاد التى ظننا انها ذهبت وانمحت . . ولكنها بقيت بكل أسلحتها المسنونة تصرب المسلمين وتعلن عن نفسها مثلما فعلت فى بيت المقدس فى الحرب الكبرى . . ومثلما فعلت بقبر صلاح الدين ابان ضرب الفلسطينيين لدمشق مما يجعلنا ننتظر صلاح الدين مرة ثانية .

ومع ذلك وبرغم هذه المذبحة فان الفسطينيين بما جلبوا عليه من مواجهة للشدائد . . وبما تعرضوا له من تجارب دامية اليمة سوف ينتصرون بشرط :

ان يعرفوا انهم يحاربون كمسلمين .
وان يعودوا الى الله . . والا يعتقدوا فى روسيا كحليف او صديق . .
وان يعلنوا ان قضية فلسطين قضية اسلامية

وبشرط ان يتمثلوا القيم الاسلامية فى معاملاتهم وفى سلوكهم وفى حربهم . . ذلك ان الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن المؤمنين وقد وعد بذلك ووعده الحق .

اننا اذا نظرنا الى واقع الامة العربية اليوم لا نملك الا أن نقول بصراحة :

كانت الامة الاسلامية بناءا محطما ممزقا قبل الاسلام فلما جاء الاسلام بتعاليمه وتقويمه وتربيته حول هذه الامة المحطمة المضاربة المتطاحنة الى أقوى واسمى امة فى التاريخ بنفس العديد القليل من العرب . . فتحت الدنيا شرقا وغربا ورفرف علم الاسلام على اطراف الصين شرقا وشواطىء الاطلنطى غربا . . ومن ثم ومن منطلق هذا المثل التاريخى الحى . . علينا نحن العرب ونحن المسلمين ان نسلم وان نرجع الى الله وأن نجعل من الاية الكريمة التى نزلت فى هذا الصدد شعارا وهدفا وهى قوله تعالى :

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . . » .

اكرر . . ان علاجنا وعلاج الامة العربية فى التمسك بهذه الآية اعتقادا وتطبيقا . . وعلى المسلمين ان ينظروا الى عيوبهم ويعالجوها تصحيحا . . فالعيوب تمثل الداء . . ولا يعالج الداء بغير فهمه ومعرفته وتشخصيه فليكن المسلمون صرحاء بينهم وبين انفسهم . . وليخططوا نوعا جديدا من التكامل ان صح التعبير بين حكمائهم وعلمائهم وعقلائهم . . وليتناسوا البغضاء . . ولتكن لنا قدوة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى صحابته وفى اعلام المسلمين ولنتخلق باخلاقهم ولنسر على دربهم . . اننا لو اقدمنا على هذه التجربة ونفذناها . . فان مستقبل المسلمين يمكن ان تتغير صورته من القتامة الى الوضاءة ومن البؤس الى العز ومن الهزيمة الى النصر . .

● ان المتتبع لسير الحوادث فى المنطقة يتأك دون شك . . ودون أى عناء أن القضية الفلسطينية مازالت منذ تأسيس المملكة العربية السعودية . . ووضع القواعد الأولى لسياستها هى القضية الأولى فى قائمة اهتماماتها وهمومها، كما سيلاحظ الخط البيانى الذى يمثل حجم التأييد السعودى الدائم للقضية . . والعمل على طرحها وشرحها . . واكتساب المؤيدين لها . . والاقتراب بها شيئا فشيئا من الحل العادل الذى يرضى عنه الشعب الفلسطينى، ومنظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعى الوحيد.

● أقول هذا اليوم بعد أن أدرك الجميع الموقف المشرف الذى وقفته هذه المملكة تجاه الحوادث فى لبنان . . وتجاه العدوان الصهيونى الشرس على اخواننا اللبنانيين والفلسطينيين . . فالمملكة هى موئل العرب الكبير ولن تألوا جهدا . . ولن تدخر وسعا فى سبيل تقديم كافة الدعم المادى والأدبى لقضية العرب الأولى . ومساعدة الشعب الفلسطينى الشقيق على اجتياز المحنة، والمملكة هى أرض الرسالة ومهبط الوحى ستستمر فى انتهاج سياسة الصبر والجهاد فيما يتعلق بهذه القضية المصيرية التى تهم كل مسلم لانها تتعلق بواحد من أقدس ماورثه الخلف عن السلف . . وهو المسجد الأقصى . . أولى القبلتين . . وثالث الحرمين الشريفين . . كف الله عنه غربته ووحشته واعاده الى أهله شامخ البنيان، متين الأركان

مشعا بالنور فى كل مكان.

● وكما قال الفهد الأمين.. فإن الواجب الاسلامى يدعونا الآن قبل أى وقت مضى لوحدة الصفوف، واقتلاع بذور الخلاف والشقاق.. ومن أهم وسائل القوة والاستعداد أن تلجأ الأمة الاسلامية الى التضامن الاسلامى الحقيقى لأن ذلك ضرورة لخوض معركة الشرف والمصير.. ومن أقوى الأسلحة للانتصار على الأعداء ولجم الصهاينة البرابرة.. والاستعمار الغاشم.. التضامن الاسلامى من أقوى أسلحة النصر.. وهو ضرورة لخوض المعركة.. التضامن الاسلامى ليس شعارا يرفع وإنما هو عمل يمارس على صعيد الحياة الاقتصادية.. والاعلامية والثقافية والاجتماعية ـ والفكرية.. وعلى كل الأصعدة التربوية.. التضامن الاسلامى لابد له من مسار صحيح سليم.. حين يكون هناك خطة لكل الدول الاسلامية تلتزم بها.. يكون هناك خطة لكل الدول الاسلامية تلتزم بها.. يكون هناك تخطيط للدعوة الاسلامية تخطيط واحد ينطلق من مفهوم واحد للاسلام.. ويرتكز على كتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾.. لأنه لايوجد أحد يختلف عن هذين المصدرين الشريفين على الاطلاق..

● يجب علينا أن ندرك بأن قضية فلسطين ارتبطت بالاسلام منذ بزغ نوره فى مكة المكرمة قبل أربعة عشر قرنا حيث شاءت قدرة الله سبحانه وتعالى أن يكون اسراء المصطفى عليه الصلاة والسلام اليها ـ الى بيت المقدس ـ ومنها كان المعراج **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع**

العليم﴾ الاسراء (١).

● وشاءت ارادة الله كذلك أن تتم لها القدسية بالاسلام ومن هنا جاء قوله ﴿ﷺ﴾ (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد.. المسجد الحرام.. والمسجد الأقصى.. ومسجدى هذا).

● آية كريمة.. وحديث شريف ربطا بين قلوب سبعمائة مليون مسلم وبين بيت المقدس الذى أصبح مهوى أفئدة المسلمين يقدسونه ويشدون الرحال اليه ويضعونه الى جانب مكة المكرمة والمدينة المنورة.

● هذه الصلة الروحية التى جعلها سبحانه وتعالى بين المسلمين وفلسطين حدت بالرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ حين استتب الأمر.. أن يشرع فى التمهيد لتطهير بيت المقدس وتأمين ظهر ديار الاسلام فبعث عليه الصلاة والسلام سنة ثمان للهجرة بأول قوة اسلامية الى بلاد الشام وجعل على رأسها مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فإن أصيب فعبد الله ابن رواحة رضى الله عنه..

● سارت القوة الاسلامية وعددها لايزيد على ثلاثة آلاف للاحتكاك بقوات البيزنطيين التى تسيطر على بلاد الشام.. هذه المسيرة الأولى لكتائب الفداء خارج شبه الجزيرة العربية أكدت حقيقة القوة الكامنة فى هذا الدين.. تلك القوة التى تدفع المسلم الى الفداء والاستشهاد فى سبيل الله..

● ومازالت القوة سائرة حتى وصلت ـ مؤته ـ قرية قريبة من الكرك وهناك وجد المسلمون أن الروم قد جمعوا لهم جمعا عظيما منهم ومن العرب

المتنصره . . فتشاور رجال القوة فيها يفعلونه : ايرسلون لرسول الله ﴿ﷺ﴾ يطلبون منه مددا . . أم يقدمون على الحرب؟ فقام عبد الله ابن رواحة وقال : ياقوم والله ان الذى تكرهون هوماخرجتم له . . خرجتم تطلبون الشهادة . . ونحن لانقاتل بقوة ولا بكثرة . . مانقاتل إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فإنما هى احدى الحسنيين . . أما الظهور واما الشهادة . .

فقالوا : صدق والله ابن رواحة ، وزحفوا للقاء الأعداء ودارت رحى معركة فدائية بين قلة قليلة مؤمنة . . وكثرة كثرة كافره . . معركة غير متكافئة استشهد فيها القواد الثلاثة زيد وجعفر ثم عبد الله ابن رواحة رضى الله عنهم وتسلم الراية خالد بن الوليد الذى قام بتنفيذ خطة حكيمة للانسحاب وانقاذ القوة من هزيمة محققه وفناء أكيد . . وعاد الجيش الى المدينة المنورة . . وحين دنت القوة من المدينة قابلها رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجمع من المسلمين الذين أخذوا يحثون التراب على الجيش قائلين : يافرار . . ورد رسول الله بقوله : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله) .

● أى شجاعة أعظم من تلك الشجاعة التى تجعل الناس لايتأثرون لفقد ذويهم . . لقد كانت هذه المعركة محكا امتحنت فيه الروح المعنوية لدى المسلمين وأثبتت استعدادهم للبذل والتضحية فى سبيل الله . . وهما الركن الأساسى فى البناء الحربى الاسلامى الخالد الذى شيده المسلمون خارج الجزيرة ولقد كانت هذه المعركة عاملا من عوامل اصرار الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على تطهير الأرض المقدسة من أعداء

الدعوة المتربصين بها . . ولم تؤثر على الروح المعنوية للمسلمين فتجعلهم يستسلمون لليأس .

● فكانت غزوة ـ تبوك ـ وكانت قيادة الرسول ﴿ﷺ﴾ لها بنفسه . . ثم كان أمره عليه الصلاة والسلام بتجهيز جيش يقوده اسامة بين زيد بن حارثة وانتقل الرسول ﴿ﷺ﴾ الى الرفيق الأعلى وجيش اسامة يتأهب للسير شمالا . . وبايع المسلمون الصديق خليفة عليهم وكان أول عمل قام به أمره أن يواصل بعث اسامة لتحقيق المهمة التى أمر بتحقيقها . . واشتبك اسامة مع قبائل العرب التى أسهمت فى معركة ـ مؤته ـ وناوشها وأدبها ثم عاد الى المدينة المنورة منتصرا . . وتابع خلفاء رسول الله ﴿ﷺ﴾ خطته فى القضاء على أعداء الاسلام وتطهير الأرض المقدسة .

● وفى زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه تم حصار بيت المقدس واستماتت الروم فى الدفاع عن المدينة بيد أن الدعوة الجديدة وماتزرعه فى نفوس اتباعها المؤمنين من قوة خارقة وطاقة لا حد لها قد انتصرت على عناد الروم ودب اليأس فى قلوبهم وطلبوا التسليم للخليفة الذى سمعوا بعدله . . وأطل صفرونيوس البطريرك على الحاضرين من فوق أسوار المدينة وقال لهم : نريد أن نسلم . . فقدموا له أمير الجيش . . فقال اننا نريد الأمير الأكبر أمير المؤمنين . . فكتب أمير الجيش الى الخليفة قائلا : ان القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون أن يكون ذلك ليدك شخصيا .

● فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة قاصدا بيت المقدس ومعه راحلة واحدة وغلام . . فلما صار فى ظاهرة المدينة قال لغلامه : نحن

اثنـين والـراحلة واحـدة . . فإن ركبت أنـا ومشيت أنت ظلمتك . . وإن ركبنا الاثنين قصمنا ظهرها . . فلنقتسم الطريق مثالثة . وأخذ عمر يركب مرحلة ويقـود الـراحلة مرحلة . . والغـلام يركب مرحلة ويقـود الـراحلة مرحلة . . وتمشى الراحلة أمامهما . . متخففة من حمل أحد مرحلة . .

وهكذا استمر عمر يقتسم الطريق مثالثة بينه وبين غلامه وبين راحلته من المـدينـة حتى بلغ جبـلا مشـرفـا على القـدس . . وصادف ان كانت ببلوغـه قد انتهت مرحلة ركـوبـه . . فكـبر من فوق الـراحلة ولما فرغ من تكبيره . . الجبل اسمه جبل المكبر حتى يومنا هذا ـ قال لغلامه . . دورك فاركب . . فقـال الغـلام : يا أمـير المؤمنين لا لاتنزلن ولا اركبن . . فانا مقبـولـون على مدينـة فيهـا مدنيـة وحضـارة . . فيها الخيول المطهمه . . والعـربـات المذهبة . . فإن دخلنا على هذه الصورة هزئوا بنا وسخروا من أمرنا . . فقال عمر : دورك . . لوكان الدور دورى مانزلت ولا ركبت . . أمـا الـدور دورك والله لانـزلن ولتركبن . . ونزل عمر وركب الغلام واحد عمـر بمقـود الـراحلة . . فلما بلغـا سور المـدينـة وجد نصاراهافى استقباله خارج بابهـا المسمى ببـاب دمشق وعلى رأسهم البطريرك صفرونيوس . . فلما رواه أحـدا بمقـود الـراحله وغـلامه فوق رحلها اكبروه . . وخروا له منحنيـين فانسى الغـلام عليـه بعصـاه من فوق رحلهـا وصـاح فيهم . . ويحكم ارفعوا رؤوسكم فإنه لاينبغى السجود إلا لله .

● لقد ظلت فلسطين عربية مسلمة منذ الفتح الاسلامى العمرى لها سنة ١٥ هـ باستثنـاء فترة الحـروب الصليبيـة الـذى استطـاع خلالهـا دعـاة التعصب الغـربى أن يستولـوا على بيت المقـدس ويؤسسـوا مملكـة فيها

وحين اجتمعت كلمة المسلمين وعزموا على تطهير البلاد المقدسة قادهم صلاح الدين الأيوبى وانتصوروا فى الحرب المقدسة التى كانت أبرز معاركها حطين ٥٨٣هـ - ١١٨٧م وبعدها حرر صلاح الدين بيت المقدس فى يوم الجمعة ١٧ رجب ٥٨٢هـ . . وعامل البطل المنتصر العدو المنهزم معاملة كريمة تعيد الى اذهاننا صورة المعاملة العمرية فى صدر الاسلام . . ولم يعاملهم بالمثل ويفتك بهم كما فعلوا بالمسلمين يوم احتلوا بيت المقدس وقتلوا تسعين ألفا من المسلمين العزل من السلاح بما فيهم الأطفال والنساء والشيوخ .

● ولابد هنا من التذكير وأخذ العبرة من الحرب الصليبية والتى يجب على كل مسلم أن يعيها الا وهى - أن فلسطين لم تعد الى حوزة المسلمين والعرب الا بتوحدهم وانضواتهم تحت راية واحدة . . لقد سجل الانجليز هذه العبارة فى دائرة المعارف البريطانية طبعة ١١٩١م

ورغم أن قادة الحملة الصليبية الأولى لم يستثمروا خلافات المحمديين كما ينبغى فإن الحقيقة تدل على أن الخلافات قد خدمت الصليبيين الى حد كبير . . ان وضع امراء سوريا غير المتحدين والفرقة والانقسام بين الفاطميين جعلت من الممكن الاستيلاء على المدينة المقدسة وتأسيس مملكة بيت المقدس . . وحين قامت قوة الموصل ١١٣٠م وكان فى مقدورها ان توحد سوريا . . وحين أمكن على يد صلاح الدين توحيد سوريا المتحدة مع مصر قضى على الصليبيين بالشرق .

● هذه هى الحقيقة الخالدة والعبرة الواضحة التى يجب على العرب المسلمين اليوم فى مختلف أقطارهم وبعد ان ضاعت الأرض المقدسة

وضاع معها بقاع أخرى عزيزة من وطننا الكبير.

● ولابـد لنـا فى هذه الأيـام العصيبة التى تمر بها أمتنا بحضارتها ووجودها ومقـومـاتهـا فى أصعب امتحـان، فإمـا أن نثبت فنبقى . . وامنا أن نيأس فننتهى . . لابـد لنـا من الاعتبـار بماضى أمتنـا واسـلافنا وترسم خطاهم وادراك الحقيقة التى أدركوها فحققت لهم النصر على الأعداء . . ومكنت لهم فى الأرض إلا وهى الثقـة المطلقـة بنصر الله . . والايمان المطلق بالفوز باحدى الحسنيين الشهادة أو النصر ومايترتب على ذلك من بذل وتضحية وثبات فى وجه الأعداء مهما كانت قوتهم.

● عـــود على بـــــدء !

ان الـــذى تنتظـــره الأمـة جيـل يرتفـع الى مستـوى المـواجهـة حيث التحـديـات الشـرسة من هنا وهناك . . وإن الجيل لابد أن يكون من أول مقوماته وخصائصه اقبال على الجهاد فى سبيل الله حيث اليد التى تحمل السـلاح بايـمان وشـوق الى الجنـة . . ومن وراء اليـد عقل مستنير وقلب مشـرق بالايـمان والاخلاص وعبثا نحاول أن نواجه التحديات بلا انسان . . على صعيـد عالمنـا الكبـير ـ يحس بحـريتـه وكـرامته . . ويهرول الى المعركة بحافز الايمان . . مبتسما للموت ابتسامة خبيب . وقتيبه والمثنى . . يضىء جبينـه شعـاع من قول الله الغالب على أمره ﴿انفروا خفافا وثقالا وجـاهــدوا بأمــوالكم وأنفسكم فى سبيــل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمـون﴾ ـ ﴿ ان تنصـروا الله ينصـركم ويثبت أقـدامكم﴾ وقـول امام

المتقين صلوات الله وسلامه عليه فيما صح عنه (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وماعليها . . وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها . . والروحة يروحها العبد فى سبيل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وماعليها) .

(ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار) .

(مامن مكلوم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك) .

● وهنيئا لأحباء الله المنقادين لأمره وأمر رسوله جهادهم فى كل ميدان وصبرهم على لاواء الطريق . ويانعم مايلقون فى الجنة دار الكرامة من الرضى والفوز بلقائه سبحانه . . فى منازل الشهداء فى سبيل الله .

● وأحباء الله هؤلاء الذين يستبشرون بيعهم الذى بايعوا به ، اذ اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . . اذا لم يغبطوا على جزيل العطاء . . وواسع الفضل . . فمن هم أولئك الذين يغبطون ؟ (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمه من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

● الا أن الشجاعة فى صدق الانتماء الى الرسالة التى جاء بها محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه والتزام أحكام الاسلام على وعورة الطريق وتنوع الملابسات . . ومايكون من العوائق التى تعمل من داخل النفس . . أو من خارجها ان الشجاعة فى ذلك لهى خير ضمان لسلامة كيان الأمة فردا وجماعة فى الداخل لأنها تكون يومئذ كالبنيان المرصوص

يشد بعضه بعضا . . كما انها الدرع الحصينة فى ميدان مواجهة العدو لأنها تفوت عليه فرص الانقضاض من خلال ثغرات التخلخل . . ومرض التشكك بالراية التى يكون الجهاد فى ظلها . . ويبذل مايبذل فى حمى رسالتها . .

■ هذا الكلام قلته الف مرة ومرة . . ولن امل تكراره . . وان غاظ بعض الـنــاس من الاخــوة العــرب . . واحــرج بعض الصــدور فى العــالم الاسلامى . . لان تكرار الحق ينبغى الا يكره . . والا يمل . . لان الوضع العـربى . والـواقع الاسلامى فى هذه المرحلة الخطيرة والحساسة فى تاريخ الامم . . اصبح ممزقا مهلهلا مفتتا . . ووصل الحال الى درجة كبيرة من التمزق والصراعات والاقتتال فى صف الامة العربية والاسلامية .

■ فى هذا المقال سوف ابدأ بدعوة صادقة صريحة . . الى تجمع المسلمين وتضــامنهم وتكــاتفهم . . ولم الشمـــل . . وجمـــع الكلمـــة . . ووحـدة الصف . . البداية كانت من المملكة العربية السعودية . . والمكان هو مكة المكـرمـة . . العـاصمـة الاولى للمسلمين فى العالم . . فى الثانى عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٤هـ بعث جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود الى زعماء العالم الاسلامى بالبرقية التالية :

«خـدمـة للاسـلام والحرمين الشريفين . . واصلاحا للامور التى تهم المسلمـين جميعـا . . ووفاء بعهودنا التى قطعناها على انفسنا . . وميلا منا فى تكـاتف المسلمـين وتعـاضـدهم . . رأينا الوقت المناسب لانعقاد مؤتمر عام يمثـل البـلاد الاسـلامية والشعوب الاسلامية . . يكون فى العشرين من ذى العقـدة سنـة ١٣٤٤هـ . . وقـد ارسلنـا الـدعـوة لكـل المسلمين

وملوكهم . . واملى ان مندوبيكم يكونون حاضرين فى التاريخ المحدد . .
والله يتولانا جميعا بعنايته». ١٢ رمضان ١٣٤٤هـ عبدالعزيز آل سعود.

■ وعلى اثر هذه الدعوة المباركة . . انعقد المؤتمر الاسلامى العام فى مكة المكرمة ابتداء من من السادس والعشرين من ذى العقدة ١٣٤٤هـ . . واستمر حتى الرابع والعشرين من شهر ذى الحجة ١٣٤٤هـ. وخلال جلسة الافتتاح وجه جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه خطابا تاريخا هاماً قال فيه :

«أيها الاخوان . . انكم تشاهدون باعينكم . . وتسمعون بآذانكم ان الآمن فى هذه البلاد بدرجة الكمال التى لم يعرف مثلها ولا ما يقرب منها منذ قرون كثيرة . . بل لا يوجد ما يفوقها فى أرقى ممالك الدنيا نظاما وقوة. ولله الفضل والمنة . . ففى بحبوحة هذا الامن الذى لا يتيقد الا بأحكام الشرع ادعوكم الى الائتمار والتشاور فى كل ما ترون من مصالح . . يطمئن بها العالم الاسلامى باقامة شرع الله والتزام احكامه وآداب دينه .

ايها المؤتمرون الكرام . . انكم احرار اليوم فى مؤتمركم هذا . . ولا تقيدكم حكومة البلاد بشىء وراء ما يقيدكم به دينكم من التزام احكامه .

ان المسلمين قد اهلكهم التفرق فى المذاهب والمشارب . . فائتمروا فى التآلف بينهم . . والتعاون على مصالحهم ومنافعهم العامة المشتركة . . وعدم جعل اختلاف المذاهب والاجناس سببا للعداوة بينهم «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف

بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتـه إخـوانـا وكنتم على شفـا حفـرة من النـار فأنقـذكم منهـا كذلـك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . . ولتكن منكم امـة يدعـون الى الخـير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئـك لهم عذاب عظيم» . . واسأل الله عز وجـل ان يوفقنى وايـاكم لاقـامـة دينـه الحق . . وخـدمة حرمه وحرم رسوله ﷺ والتآلف بين جماعة المسلمين والحمد لله رب العالمين .

وفى ختام هذا الخطاب التاريخى الهام قال جلالته رحمه الله «نسأل الله تعـالى التـوفيق لنـا ولكم ولكافة المسلمين . . وأن يكون هذا المؤتمر مسرا للصـديق . . ومكبتـا للعـدو . . وان ينصر الله الاسلام ويعلى كلمته الى يوم الدين . . » .

■ هكذا كان عبدالعزيز آل سعود بعيد النظر . . فمنذ اكثر من نصف قرن من الـزمن . . انطلقت من رحـاب مكـة المكـرمة . . ومن رحاب بيت الله العتيق . . دعـوة خادم الحـرمـين الشريفين عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه . . تدعـو الى التضـامن والتـآلف والتآزر . . وجمع الكلمة . . ووحدة الصف . . . ولم الشمل . . وتدعو الى نبذ الخلافات . . والاعتصام بحبل الله المتين . . وعدم الفرقة والشتات .

■ واستمـدت تلك الـدعـوة القـويـة جذورهـا واصـولها من شعاع دعوة الاسـلام التى انطلقت من هذه الارض المبـاركة . . لتحرير الانسانية من عبودية الجهل . . وظلمات الكفر . . وبراثن التمزق والتفرق . . استمدت جذورهـا وأصـولهـا من العقيدة الاسلامية . . وتطبيق الشريعة الاسلامية

السمحــاء الصــالحـة لكـل زمـان ومكـان . . ففى ظل وحـدة المسلمـين وتضامنهم وتكاتفهم وتآخيهم . . قامت لهم قائمة . . وأصبح لهم شأن . . وأمكن لهم بنــاء اكـبر حضـارة انسـانيـة فى التـاريـخ . . وهى الحضــارة الاسـلاميـة الـزاهـرة . . التى امتـدت عبر مئات السنين . . ولم تمزقها الا الفرقة والخلاف .

■ على مرأى ومسمـع من التـاريخ وجه عبدالعزيز آل سعود الدعوة لعقد المؤتمـر الاســلامى العــام فى مكـة المكـرمـة عام ١٣٤٤هـ . . وفى عام ١٤٠١هـ تبنى أبنـاؤه من بعـده الـدعـوة لعقـد مؤتمـر القمـة الاسلامى الثـالث فى مكـة المكـرمـة من منطلق الـدين والعقيـدة . . والحرص على مستقبــل الامـة العـربيـة والاسـلاميـة . . جددوا الـدعـوة الى التـآلف والتضـامن والاخـوة ونبـذ الخـلافـات والتصـدى للتحديات والمؤامرات الملحــدة . . واستقبلت رحــاب مكـة المكـرمـة جموع الملوك والـرؤسـاء المسلمـين . . وشهـد الحـرم الشريف بكل طهره وقدسيته وجلالة وروعته اجتماع القلوب والافئدة .

■ وانطلق الفهـد العظيم فى مؤتمـر القمة الاسلامى الثالث . . يدعو الى الأخـوة الاسـلاميـة . . الى التضـامن الاسلامى . . الى جمع الكلمة . . الى وحدة الصف الى التآلف . . الى التصدى لمؤامرات الاستعمار ودسائسه .

■ من منطـلق الــديـن والـعقيــدة والحــرص على مستقبــل العــرب والمسلمـين . . تبنى عبـدالعـزيـز آل سعود هذه الدعوة . . وتبناها الشهيد فيصـل وخـالـد بن عبدالعزيز أيضا . . واليوم يتبناها قائد المسيرة العربية

والاسلامية فهد بن عبدالعزيز.

■ ماذا حدث اليوم للأمة العربية والاسلامية. . إننى أشعر بالمرارة تمزق نفسى. . والالم يعصركيانى. . وانا ارى واشاهد اليوم سحب الضباب. . وكتل الدخان. . وليل الظلام يخيم فوق الامة العربية والاسلامية. . واتساءل بكل الاسف والاسى. . ما فائدة المسلمين اليوم؟ وما الذى يعود عليهم بعد ان أصبح عددهم يزيد على تسعمائة مليون مسلم. . ما فائدة هذا العدد الكبير. . وما فائدة الامكانيات المادية والبشرية الهائلة التى يتمتعون بها دون سائر الشعوب؟ ما فائدة كل هذا وقد أصبحت هذه الملايين شيعا واحزابا وتكتلات يعادى بعضها بعضا. . ويقاتل بعضها بعضا. . ماذا حدث للعالم الاسلامى الذى يغطى معظم أنحاء الدنيا. . ويشمل كافة أجزاء الأرض جميعا. . من أقصى الشرق فى الصين الى اقصى الغرب فى أوروبا. . وشمالا فى بخارى وبلاد التركستان. . وجنوبا فى تمبكتو ومالى وبلاد السنغال. . ماذا حدث للعالم الاسلامى؟ وكل الحروب المدمرة الان لا تدور الا بين المسلمين. . ولا تسيل الدماء غزيرة الا فى البلاد التى يعيش فيها المسلمون. . ولا تقع الاضطرابات والانقلابات والفتن والمحن. . وتضارب الشعوب بأفدح الخسائر الا فى بلاد المسلمين.

■ ماذا حدث للامة العربية والاسلامية من مآسى ومحن؟ وهل يشعر الانسان بالفخر والاعتزاز وهو يرى اليوم شعوبا اسلامية تغوص فى بحور الدماء، وتسبح فى دوامات الفتن والخلافات والنزاعات والفرقة والتطاحن المدمر المهلك. . وشعوبا اخرى يلفها الضياع فى احداث الثورات. .

وحركات غوغائية فوضوية طاش صوابها . . وضاعت أهدافها وغاياتها . . ان كل ما يجرى اليوم يبعث بالكآبة . . ويثير الانقباض . . ويزرع اليأس . . وينشر الخيبة والضياع والضباب والظلام .

■ مأساة دامية فى افغانستان . . عقيدة اسلامية تتعرض للاندثار والتلاشى . . شعب مسلم تسفك دماؤه . . وتزهق أرواحه . . ويحصد حصدا بالمنجل . . والمطرقة . . بالقذيفة والصاروخ . . حرب عدوانية غير متكافئة بين شعب ملسم أعزل . . وشيوعية ملحدة غادرة . . تستهدف القضاء على الدين والعقيدة . . واحتلال الأرض . . واذلال الشعب المسلم المسالم . . واكثر من ثلاثة ملايين مسلم يعيشون لاجئين فى باكستان . . والبقية هناك مدافعة عن الدين والعقيدة والاسلام بالبندقيه ضد أسلحة الدمار . . والقنابل والصواريخ . . وأحدث ما توصل إليه العالم من أسلحة وذخيرة ومعدات . . يستخدمها الشيوعيون لضرب شعب أفغانستان المسلم المسالم .

■ ثورة فى ايران تطحن نفسها فى الداخل . . وتطحن شعبها فى الخارج . . وتثير ضد نفسها المشكلات والقلاقل . . لاسباب وهمية بعيدة كل البعد عن روح الاسلام ومبادئه وتعاليمه السمحاء . . حمامات الدم . . وغياهب السجون . . والمشانق المنصوبة . . والزنزانات المظلمة . . والمذابح التى يروح ضحيتها الأبرياء من الشعب الايرانى المسلم . . والاضطهاد والجوع والتعذيب والارهاب والتنكيل . . ارضاء لرغبات طائشة . . لزعامة ساقطة موهومة . . تحكم الشعب بالحديد والنار.

■ عالم عربى مزقته الخصومات والنزاعات والخلافات . . وصار فريسة لكل معتد . . وضحية سهلة لكل مغتصب . . وها هى اسرائيل تحتل الارض العربية . . وتدنس المقدسات الاسلامية فى القدس الشريف . . وتحتل المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . . وتعيث فى الارض فسادا . . تقتل البنات . . وتجهض النساء . . وتدمر الأخضر واليابس . . وتذل الارادة العربية . . والكرامة العربية . . وهى عصابة من شذاذ الآفاق . . واحط أجناس الأرض قاطبة . . أصبحت اليوم تعبث بمقدرات الأمة العربية والمقدسات الاسلامية . . وكل هذا بسبب الفرقة . . والخصومات والنزاعات .

■ مأساة دامية تتعرض لها القضية الفلسطينية . . وقتال عنيف بين فصائل المقاومة الفلسطينية . . ودماء تسيل بين الاخوة رفاق السلاح . . واصحاب المصير المشترك . . والهدف المشترك . . ودون شك فان استمرار التمزق والقتال سوف يؤدى الى مزيد من التمزق والتقاتل . . وهذا الامر اسوأ واعنف ما تواجهه الثورة الفلسطينية . . ويعتبر من الظواهر المؤسفة والسلبية فى عمق القضية الفلسطينية العادلة . . وهى قضية الامة العربية فى الاصل والأساس . . كما ان التمزق بين صفوف الثورة الفلسطينية يؤدى الى استسلام اولئك الذين يعيشون تحت ضغوط الاحتلال فى الضفة الغربية وغزة .

■ لبنان الذى تحتله اسرائيل الان . . وتهدد وتتوعد . . وتطبق على انفاسه . . وتقبض على رقبته بعد ان انهكته الحروب الطائفية . . واشتعال الحروب الاهلية . . وتدمير العمران . . وتفتيت القوة . .

وتشتيت الجهـود . . واراقـة الدماء . . واضعاف روح الدفاع والمقاومة عن الارض والسيـادة . . ومواجهة العدو المتغطرس . . ما يساعد بصورة أكبر على استمـرار الاحتـلال الاسـرائيلى . . ويجعـل خطر تقسيم يخيم على لبنان . . وكان المفروض بعد هذه الحروب الاهلية والصراعات الطائفية . ان يبـدأ لبنـان ويضمد جراحه . . ويلم الشمل ويوحد الصف . . ويجمع الكلمـة ويتحـرك بايجـابيـة نحو ازالة جميع العقبات التى تقف امام عودة الوفاق الوطنى والمصالحة الوطنية .

■ شعب ارتيريا الذى يعيش أكبر مأساة عرفها شعب مسلم فى حياته . . فهـو الان يتعـرض للقتـل الجماعى . . والتشريد والعدوان . . لانه يدافع عن معتقداته . . ويتمسك باسلامه .

■ وهنـاك الان مأسـاة دمـويـة اخرى . . وهى الحرب الراهنة التى يدور رحاها ويشعل اوارها بين العراق وايران . . وهى حرب لا علاقة لها بشيعة ولا سنـة . . وانـما الفتيـل الـذى اشعـل الحـرب بين الـدولتين المسلمتين المتجاورتين . . هو ان كل منهما تريد ان تكون حارسة النفط الذى نضب اكثـره وجف اغلبـه . . واستنـزف الجـزء الأكـبر منـه فى شراء الأسلحـة والذخيرة التى يتقاتلون بها . . هذا النفط الذى لن يدوم أكثر من عشرين سنـة قادمـة . . حسب تقديرات خبراء البترول فى العالم . . يزداد خلالها الاغنيـاء من شعـوب العـالم غنى وثـراء وقـوة وسطـوة ونفـوذا . . لأنهم يستـوردون البـترول ويشـترونه ويحسنون استعماله واستخدامه . . ويزداد الفقراء من البلاد العربية والاسلامية فقرا . . لأن حكامهم يضيعون ثمن البـترول فى شراء اسلحـة الـدمـار التى يحاربـون بها منـذ اكثر من ثلاث

سنــوات . . بلا توقف او هدنــة وهــوادة . . مما يسبب استنــزاف موارد البلدين . . وتوقف مسيرة التقدم العربى والاسلامى على طريق التنمية والرخاء .

■ هذه هى معالم الصورة الكئيبه المؤسفة والمؤلمة . . التى نرى فيها الأمة العـربيـة والاسـلاميـة اليوم . . واين تكون هذه الصورة المؤسفة المخزية عنـدمـا يعود الانسان بذاكرته قليلا الى امجاد الماضى البعيد للامة العربية والاسلامية . . وهى فى أوج عظمتها . . وقمة أمجادها . . وذروة حضارتها وازدهـارهـا . . تقود العالم . . وتشع النور . . وتنشر العلم والثقافة والمعرفة بين ربوع الأرض قاطبة . . وتسود حضارتها الاسلامية كل الآفاق .

■ اين نحن اليـوم من المعـارك الفكرية الكبيرة التى كانت تدور بين كبار المسئـولـين فى اوربـا . . وعمالقة المفكرين فى العالم العربى والاسلامى . . فهذا هو وزير خارجية فرنسا مسيو هانوتو تدور بينه وبين الامام محمد عبده معركة فكرية حول روح الاسلام الحنيف وتعاليمه . . والعقيدة الاسلامية السمحاء .

■ السياسى والمؤرخ الفرنسى يقول ان الشعوب الاسلامية التى حكمتها فرنســا فى الجـزائـر وتـونس والمغـرب وأفـريقيـا . . لا تستطيـع أن تنهض وتستيقظ إذا بقيت متمسكة بالعقيدة الاسلامية التى يزعم إنها تسلم امر الانسان للقضاء والقدر . . وهى التى تنزل من مكانته . . وتقلل من اهميته .

■ ولكن شامخـة المفكـر الاسـلامى الكبير الامام محمد عبده يرد عليه . . ويسـوق الحجـة وراء الحجة . . ويورد الدليل تلو الدليل . . يوضح له ان

جوهر العقيدة الاسلامية كما قررها الله سبحانه وتعالى . . وليست كما شوهها الناس . . هو الذى يرفع مكانة الانسان . . ويعلى شأنه . . ويرفع قدرته . . ويفرض عليه حق الاختيار وحرية الارادة .

■ معركة فكرية عظيمة . . وحوار رائع . . ونقاش مثمر بناء . . تجلى فيه الصراع العنيف بين الاسلام الخالد . . والاستعمار فى العصر الحديث .

■ وهذا هو امام الدعوة الاسلامية الشيخ محمد الحسنى رحمه الله تعالى يحدد ملامح ومقومات العالم الاسلامى فيقول : ندعو الى تكوين شخصية اسلامية قوية بارزة . . تتجلى فى دوائر الحكم كما تتجلى فى دور العبادة . . تتجلى فى البرلمان كما تتجلى فى المسجد . . تتجلى فى أوساط التربية واجهزة الاعلام كما تتجلى فى كلام الواعظين . . وجهاد المصلحين . . وجهود الدعاة والعاملين .

■ وحينئذ يكون العالم الاسلامى كله كتلة واحدة . . ذات شخصية إسلامية مستقلة . . لا يصنع مؤسسته . . ولا يقيم ادارة . . ولا يقف موقفا إلا وفي بحوثه . . حريص على شخصيته . . محافظ على سماته وملامحه . . متمسك بأهدافه وغاياته . . مسلم فى السلم والحرب . . مسلم فى الغنى والفقر . . مسلم فى الحكم والادارة . . مسلم فى الاعلام والتربية . . مسلم فى الصناعة والعلم .

■ وقائد المسيرة الاسلامية خادم الحرمين الشريفين جلال الملك فهد بن عبدالعزيز يبذل كل جهوده . . ويحبذ كل قوته وقدراته كقوة محركة فعالة لها وزنها فى المجال العربى والاسلامى والدولى لرأب الصدع . . ولم

الشمـل . . وجمـع الكلمـة . . ووحدة الصف من خلال رؤ ية متبصرة . . وتجـربة عميقة وادراك واع . . وسياسة محنكة وخط واضح . . الى ضرورة ايجـاد صيغـة تنهى بكـل حسم الاقتتـال الـدائـر الان بين فصـائل الثورة الفلسطينيـة . . والعـودة الى وحـدة الحركة الفلسطينية . . بما يحقق هدف عودة حقـوق الشعب الفلسطينى . . وحق تقـريـر مصـيره . . وسـرعـة التوصل الى تصور محدد لانسحاب اسرائيل من لبنان . . وعدم اعطاءها ذريعـة لتأجيـل الانسحـاب . . وتـوقف الحـرب الاهلية والطائفية وعودة الشعب اللبنـانى الى الـوفـاق الوطنى والمصالحة الوطنية حتى يعود الامن والسلام الى ربوع لبنان . . وهو من اجل وحدة الصف العربى وتضامن العـالم الاسـلامى يدعـو ويعمل من اجل بذل جهود مكثفة لوقف الحرب الـدائـرة الان بين العراق وايران . . ولابد من وقف نزيف الدم على جميع الجبهـات العـربيـة من اجـل تحريـر الارض . . واسـترجـاع المقـدسات الاسلامية . . وهى المعركة الاولى للامة العربية والاسلامية .

■ وحيئنـذ يشعـر الانسان المسلم بشعور الفخر والاعتزاز . . يوم ان تزول الفـرقـة . . وتتـلاشى الخـلافات والنزاعات المدمرة . . ويتحقق التضامن الاســلامى . . وليس شعـور الغضب والسخـط الـذى كان يتحـول الى سخـريـة مريـرة فى نفس جمال الـدين الافغـانى منذ مائه عام فيقول : ان الغـربيـين يستمـدون افكـارهم الخـاطئـة عن الاسـلام من مجرد رؤ يتهم المسلمين ! ! واذا اردنا ان ندعو للاسلام فليكن اول ما نبدأ به هو أن نؤ كد للغربيين اننا لسنا مسلمين ! !

■ واعـود فاقـول الامـل يخبـو كثيرا ولكنه لم ينطفىء . . والهدف قد ابتعد

وابتعد. . ولكنه مايزال يلوح فى الافق. . فهل تعود الامة العربية والاسلامية الى رشدها. فتجمع كلمتها. . وتوحد صفوفها. . وتلم شملها. . من أجل معركة المصير وتحرير الارض. . وتحقيق السلام والامن والرخاء على ارضها. . وبعث الحضارة الاسلامية الزاهرة كما كانت من جديد؟!

■ هل تستعيد الامة العربية والاسلامية عزتها وسيادتها وقيادتها للعالم؟ هل تتحقق الصحوة الاسلامية التى يدعوإليها الملك فهد بن عبدالعزيز؟ هل تتلاشى الصورة القاتمة الكئيبة لواقع الأمة العربية والاسلامية المرير؟ هل يكون الغد يوما آخر؟ ارجو وآمل ذلك من أمة سادت الدنيا بقوتها وحضارتها فى الماضى العريق.

أين مؤتمراتنا من قضايانا ومشكلاتنا ؟

الشيء الذى يثير الانتباه . . ظاهرة المؤتمرات الكثيرة فى العالم الاسلامى بين الحين والآخر . . من مؤتمر للدعوة الاسلامية الى مؤتمر للاقتصاد الاسلامي . . ومؤتمر للمسجد ورسالته . . ومؤتمر الفقه الاسلامى . . ومؤتمر الجغرافيين المسلمين . . ومؤتمر الجامعات الاسلامية الى جانب الملتقيات الدورية للفكر الاسلامي . .

فإلى أى مدى تعتبر هذه المؤتمرات ظاهرة صحة في عالم المسلمين اليوم . . وهل تشكل بمجموعها ثمرة ليقظة المسلمين وتعاظم المد الاسلامى فى العالم والعودة الى الاعتزاز بالاسلام والوقوف على كنوزه؟! والى أى مدى استطاعت هذه المؤتمرات الكثيرة أن تلمس مشكلات المسلمين الحقيقية اليوم . . وتخلص نفسها والمسلمين من التوغل فى بحث المشكلات التى لم يبق لها في حياة المسلمين إلا قيمة تاريخية فى حاضر العالم الاسلامي ومستقبله .

ان الأمر الذى لاشك فيه أن هذه المؤتمرات جميعا حتى التخصصية منها بما تتيح من فرص للقاءات جانبية تعرض لمشكلات المسلمين فى شتى أقطارهم يقف عليها الأخوة المؤتمرون عن قرب يتبادلون فيها الرأي ويتم من خلالها التعارف بين المسلمين والتعرف الى مشكلاتهم وما يعانون من التآمر العالمي على قضاياهم فى الداخل والخارج تأتي بالخير الكثير . .

والله نسأل أن تكـون هذه المؤتمـرات محققـة لآمـال المسلمـين . . معـالجة لآلامهم . . وأن تكون على مستوى العصر وتحدياته والمسلمين ومشكلاتهم .

فى عام ١٣٩٥هـ وبالتحديد في الفترة من ١٥ وحتى ٢٠ رمضان عقد في مكـة المكـرمة مؤتمر احياء رسالة المسجد واشتركت فيه وفود من مختلف أنحاء العالم . . وأكدت هذه الوفود بأن احياء رسالة المسجد مهمة صعبة وخطيرة اذا عرفنا أهدافها العريضة وماتمثله في تاريخ العقيدة والدعوة من التـزام وسعى وجهـود توظف كلهـا لخدمـة الأجيـال الاسـلامية والنشء المسلم ودعـوتـه الى ارتياد المساجد حتى يعتادها ويقضى أكبر وقت ممكن من أوقات فراغه فى المسجد . .

● وكما جاء فى بحوث مؤتمر رسالة المسجد . .

فالمسجـد هو المنطلق الأول لتكـوين الفـرد المسلم بأبعـاده الانسـانية والاجتـماعيـة والفكـرية . . وهو الذى يصون كرامة الانسان ويرشده الى أمثل الطرق فى حياته اليومية التى يعايشها ويأمل فيها الاستقرار والأمن لما يستوعبه من دروس ومايكتب من ارشاد وتوجيه في صلته بالمسجد ورجال المسجد .

وترتبط المسئولية في احياء هذه الرسالة على رجال الدعوة من مفكرين وعلماء ومـدرسـين وأصحـاب المال والقلم . . لأن كل الطاقات المتوفرة في محيطنـا الاسـلامى عليهـا مسؤوليـة أداء هذه الرسالة مهما كانت ظروفها المادية والحياتية . . فلا مندوحة أمامها من أن تعطى الحق المطلوب منها في سبيل الفرد والأسرة . . والمجتمع والأمة .

● وفى هذا المجال لا أنسى أن أذكر تلك الكلمة البليغة التى ألقاها صاحب السمو الملكى الأمير أحمد بن عبد العزيز نيابة عن المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز فى أول مؤتمر عقد في مكة المكرمة عام ٩٥هـ.

قال سموه الكريم :

ان المساجد لم تعمر لهياكلها ومظاهرها . . أو تكون مآثر وشواهد حضارة فن معماري وطراز هندسي . . وليست هى كمعابد أقامها الأولون أو يقيمها بعض المستجدين في الديانات الأخرى وأهل الكتاب . . انما المساجد لما وضعت له وهى اقامة الصلاة بها خمسا فى اليوم الواحد جماعة يلتقى فيها المؤمنون بالجسد والروح نحو هدف واحد ومعتقد ثابت . . عبادة الرب عز وجل . . وتذكيرا لمنهج الاسلام وأخلاق المسلم . . يغشونها تاركين أحوال دنياهم بعد نداء الحق . .

ويقول سموه الكريم فى خطابه :

ان أهم رسالات المسجد هى لقاءات المؤمنين فى رحابه خمس مرات يوميا فى عبادة وتذاكر . . وتراحم . . لقاءات محبة وتعاطف . . وتعاون . . متماسكين كصفوفهم فى الصلاة متجهين للعزيز الحكيم نابذين كل ضغينة أو حقد . . مترجين الغفران والرضوان وخير العمل . . ثم ان للمسجد رسالات عبر عصور الاسلام وسنينه الأولى وحتى وقتنا الحاضر . ففيه تقام الدروس . . وتلقى العظات وتناقش أمور المسلمين دينا ودنيا . . ويلتقى فيه يوميا أبناء الحى القريب منه فيزداد تعارفهم وتعاونهم وتماسك مجتمعاتهم وتآزر . . لأن فى لقاءاتهم بأرجائه فيه الخير والصلاح .

وبعـد . . فلئن كانت المسؤوليـة على قدر المعـرفـة . . فإن الأحداث التى تمر بالأمة تشعر بعظيم المسؤولية التى ألقتها الأيام على العواتق كل في حدود الرعاية التى ولاه الله أمرها . . وعلى هذا . . فإن أولئك الذين يحملون عبء الـريـادة على طريق الأمـة بما توفـر لهم من المعـرفـة وألوان الثقــافـة . . مطـالبـون بأن يهبـوا قدراتهم لهذه الأمـة وفي سبيـل الله عز وجـل . . وكم يكـون التكـامل واضحا . . والثمرات النافعة مضمونة اذا ضم هؤلاء الرواد الى ثقافة العقل ـ ثقافة القلب . . فزانت أعمالهم تقوى الله عز وجل . . فلا هم لهم الا أن يحققوا مافيه الخير لأمتهم . . وأن يكون ذلـك في حيـز القبـول عنـد من تعرض الأعمال بين يديه فى ساعة لا قدمـا العبـد فيهـا حتى يسأل عن أربـع . . عن عمـره فيم أفناه . . وعن شبابه فيما أبلاه . . وعن عمله ماذا عمل به . . وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه .

لقـــاء فى منازل أدباء مكـــة المكرمـــة ! !

دخل التلفزيون العربى السعودى الى منازل أدباء مكة المكرمة حيث سجـل الأستـاذ حمد القاضي لقاءات أدبية وفكرية مع أدباء الرعيل الأول في مكـة المكرمة . . الأستاذ الشاعر حسين سرحان . الأستاذ الأديب أحمد السبـاعى . . الأستـاذ محمـد سعيـد العامودى . . الأستاذ الشاعر حسين عرب . . الأستاذ ابراهيم أمين فوده . . كما سجل عدة لقاءات في جدة في منازل الأدباء أذكر منهم الأستاذ عبد القدوس الأنصارى . .

الأستـاذ عبـد الله بلخير . . الأستاذ محمد حسين زيدان . . ويواصل

الأستاذ حمد القاضي زيارته لمدينة مكة المكرمة لاجراء المزيد من اللقاءات الفكـريـة والأدبيـة فى هذه المـدينـة التى تضـم نخبـة ممتـازة من أدباء هذه المملكـة الفتيـة . . بعـد أن التقى أخى الأستـاذ حمد القـاضي مع هؤلاء الأخـوة . . قال لي . . انهم تاريـخ هذه المملكـة المشرق . . انهم الصورة الحيـة للماضى . . والحـاضـر . . والمستقبل . . انهم العطاء الكبير . . ان الأجيال الطالعة تتحسس طرائقها بمزيد من الوعي الذى يتعشق الكلمة الهادئة . . والفكرة الناضجة . . وان الرعيل الأول من أدباء هذه المملكة قدموا الكثير لأبناء هذه المملكة الفتية .

نـــدوة « التقنية » . .

● يقـول : جورج سارتـون !! سبق للعـرب أن قادوا العـالم في مرحلتين طويلتـين من مراحـل التقـدم الانسـاني حوالى ألفى سنة على الأقل قبل اليـونـان . . ثم فى العصور الوسطى مدة أربعة قرون تقريبا . . وليس ثمة مايمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم ثانية فى المستقبل القريب أو البعيد . .

ويقول الدكتور أحمد عبد الرحمن . . ان العرب وقد أمسكوا الآن بزمام الأمـور في استغـلال ثرواتهم البـترولية سوف يجدون ان صيـانـة تلك الثـروات وتأمـين عائـدهـا لن يدوم أويؤمن فقـط بالاستثـمار في المشاريع العمـرانيـة وانـما باستثـمارها في انماء العقول العربية خاصة أصحاب تلك الثـروات أنفسهم ليـواصلوا التنقيب والبحث لتطـويـرها وتوسيع مجالات استخدامها فالبلاد الصناعية لن تستمر الآن جادة فى ذلك مثلما كانت أيام احتكـارهـا لتلك الثـروات . . وانـهـا لحقيقـة تاريخيـة ان العرب لم يخلدوا

حضـارتهم الحـديثـة وهى أعظم حضارة بالصاروخ أو العمران الزائل . .
وانما خلدوها بما أوغلوه من ايمان في القلوب . . وعلم فى العقول . . ونور
في الأفئدة .

● وقـد كان لهذا المنهج الجـديـد الـذي اتبعـه العـرب أثـره على مسيرة
الحضـارة الانسـانيـة فى القرون التى تلت فقامت عصور النهضة الفكرية
والعلميـة فى أوروبـا التى بددت ظلم القـرون الـوسطى واشتعلت على
أثرها الحركة الصناعية ثم الحركة التكنولوجية الحديثة . وما تعاظمت هذه
الحـركـات والحضـارات أو تداولت لولا التحـول الـذى أحدثه العرب فى
صيـاغـة الـتراث الحضـارى الانسـانى بغـرسـه فى النفـوس وصياغته فى
الانسان بدل نقشه على جدران الصروح وأعمدة الهياكل . .

● قصـدت في حديثى هذا أن أبـرز عظمة من الماضى كدرس للمستقبل
وان أؤكد حقيقة مازال يجلوها التاريخ وهى ان العرب ان شاءوا أن يقودوا
العـالم مرة أخـرى وان يعيـدوا أمجـادهـم فلابد أن يلجأوا لصياغة الانسان
العربى مرة أخرى وأن يغرسوا فيه التكنولوجيا الحديثة . . علما وفكرا لا أن
ينقلوهـا مجرد صروح من الأسمنت أو بروج من الحـديـد . . ولنـذكر دائما
المثـل الـذى يقول «اذا اعطيت رجلا سمكة فقد ضمنت له قوت يومه أما
اذا علمته كيف يصطاد السمك فانك تضمن له القوت طوال حياته» .

شيء من الذاكـــرة

● تقـول الكـاتبـة الـبر يطانية ـ كاترين هواينهورن ـ بأنها اشتكت شخير
زوجهـا وزفـيره أثنـاء النـوم الى أحـد الأطبـاء فكـان جوابـه ان المشكلة

سيكـولـوجيـة تتصل بعلاقتها بزوجها . . وتعلق الكاتبة بأنه ليست هناك مشكلة سيكـولـوجيـة أوغير سيكـولـوجية بينها وبين زوجها وان علاقتهما لايشـوبهـا أي شيء يعكـر صفوها . . ولكن القضية هي قضية أطباء هذا الجيـل الذين يرجعون كل شيء لايعرفونه أولايجدون الوقت لاستكشافه الى مشكلة نفسيـة تماما كما كان أطبـاء القـرون الـوسطى يرجعـون كل مايجهلون من أمـراض الى الأخـلاقيـات والقيم وكـما كان أطبـاء القـرن التـاسـع عشـر يرجعـون كل ما يفشلون فى علاجـه الى مشكلة النظـافـة البـدنيـة . . وكـما كان أطبـاء أوائـل هذا القـرن يرجعـون كل شيء الى الامسـاك وهكـذا يجد الأطبـاء فى كل عصر وزمان مشجبا يعلقون عليه أوزار جهلهم ومشجب هذا الزمان المرض النفسي . . ترى ماذا ستكشف عبقرية الطب من المشاجب فى الأجيال

وداع شـــاعر

● قال الشاعر قلت في وداع شاعر . . وحنينه الى وطنه . .

تمر أمام ناظريه طيوف الأحلام .

وتتضـارب في أغـوار روحـه أشـواق حائـرة . . وتنتصب فى قلبـه الأخيلة المرفرفة بالنور . . تقتحم جدارن العزلة والضياع . . وتقفز فوق الريح كى تصل به الى الأرض التى تجذبه والى الدنيا التى تملأ رئتيه بنسيمها ونداها .

● ينظر بلهفة الى الأفق البعيد . . وينتقل بلحظة من عالم مظلم صاخب الى ركن صغير ضاحك . . أبصر فيه النور الخافت . . واطلق منه الهمسة الأولى . . وامتص من ثديه عصارة الحياة المفرحة .

هى الروض والأزهار فيه تفتحت

تريك عقود الدر كيف تنظم

ذكرت بها عهد الطفولة والصبا

وأنى عليها من بعيد أسلم

عشقت بها الشلال والجدول الذى

يغنى ويشدو والقلوب تترجم

وفى حسنه يشدو الهزار مغردا

ومن حوله أطياره تترنم

جمال من الابداع صيغ رواؤه

وعشاقه أحشاؤهم تتضرم

اذا ذكرت أرض سموت الى الذرى

وفى حسنها يغفو الخيال ويحلم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

■ اخواني الأحباء.. في بداية حديثي هذا اليوم أشكر رابطة العالم الاسلامي على ما تبذله من جهود في سبيل نشر الدعوة، وبناء المجتمع الاسلامي القوي، المتمسك بعقيدته.. وقيمه.. ورسالته الخالدة.

■ اخواني.. دلت كل التجارب في الماضي والحاضر أن الاعتزاز الأصيل بالانتماء الى هذه الأمة في مقومات وجودها وخصائص ثقافتها وفكرها دليل الصدق والرجولة، والبعد عن المسخ الذي يدبر له الاعداء صباح مساء.. وعنوان القدرة على الاستمرار في حالة الشدة والكرب تماما كما هي حال السعة والرخاء..

الا ان الشجاعة في صدق الانتماء الى الرسالة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام.. والتزام الاسلام على وعورة الطريق وتنوع الملابسات.. وما يكون من العوائق التي تعمل من داخل النفس أو من خارجها.. ان الشجاعة في ذلك لهي خير ضمان لسلامة كيان الامة فردا وجماعة في الداخل (لأنها تكون يومئذ كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا).. كما أنها الدرع الحصينة في ميدان مواجهة العدو (لأنها لا تفوت عليه فرص الانقضاض من خلال ثغرات التخلخل.. ومرض التشكك

بالراية التى يكون الجهاد فى ظلها . . ويبذل ما يبذل فى حمى رسالتها) . . واكثر من هذا . . أن الأمة باستقامتها على هذه الطريقة تفوز بقدر ليس بالقليل من ميراث النبوة . .

■ والشباب أيها الاخوة . . فى أى أمةٍ من الامم وفى أى مجتمع من المجتمعات هم أمل الحاضر وثروة المستقبل . . ورجال الغد وعلى أكتافهم تقوم النهضة . . وتسير خطوات التنمية . . وتكتمل بهم مرحلة التكوين والبناء . . والشباب حيوية دائمة . . ونشاط متواصل . . وحماس متأجج . . وحركة دائبة وهم الذين ينتظرهم المستقبل بعين الأمل والترقب والرجاء . . لكى يأخذ منهم العمل . . والنشاط . . والعطاء . .

■ ولا يخفى على كل مخلص أن بناء الشباب وتكوينه ليس من الأمور الصعبة دائما اذا ما كان التخطيط له نابعا من فكر سليم وقلب مخلص . . وتجربة ثرية . . وتبعا لذلك فليس كل من جلس على مكتب وقرأ بعض الكتب مؤهلا لأن يخطط لبناء الشباب وتكوينه . . وهنا أحب أن أنبه الى أن (مهمة المفكرين المسلمين فى بناء الشباب وتكوينه أيسر بكثير من مهمة المفكرين فى البلدان غير المسملة) . . لأن النبع الذى نستطيع أَنْ نأخذ منه ونستهدى به فى بناء شبابنا هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتاريخ السلف الصالح من أبناء هذه الأمة الاسلامية .

■ واحب أن أضيف : أن كل تخطيط لتكوين الشباب فى بلادنا يكون بمعزل عن هذه المصادر الاسلامية محكوم عليه بالفشل ، مقضي عليه بالفساد ، لأن المسألة هنا ليست مسألة نظرية ، وانما هى تجارب سابقة قام بها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فى تكوين شباب المسلمين الأولين

من الصحابة وأبنائهم . . وأتمَّ هؤلاء الصحابة والتابعون المهمة، فكانت النتيجـة العلميـة التـاريخيـة الصـادقـة التى لا يمارى فى صدقهـا عدو أو صديق، أن فتح هؤلاء الشباب أكثر من نصف الأرض المعمورة آنذاك فى بضعـة عقـود من السنـين! ! ولن يكـون الأمـر أمر فتح فحسب وإنما كان تطبيق العـدل. . ونشـر القيم الـرفيعـة . . والاغـتراف من ينابيع المعرفة والوصول بالمجتمعات الاسلامية علماً وعملاً وفكراً إلى الآفاق التى يعرفها كل من له قليل دراية بتاريخ المسلمين . .

فحينما نقول: ان التربية والتكوين للشباب ينبغى أن يصدر عن المعين الاسـلامى، فاننـا نتمثـل بهذه النـماذج البشـريـة الاسلامية التى يضيق الحصر عن ذكر عشر معشارها . . فاذا ما سرنا فى نفس الدرب أو بعضه، أسهمنا اسهاما جديا ومثمرا فى تكوين شبابنا . . هذه واحدة.

■ القضيـة الثـانيـة: ان كثيرا من شبابنا قد غزوا فى تفكيرهم بمذاهب وافـدة علينـا غريبـة عنا، ولقد تمكنت هذه الأفكار والمذاهب من بعضهم على ساحــة الـوطن العـربى، بحيث صارت مرضـا عضـالا، وبحيث جعلت البعض منهم يحول ولاءه من وطنه وعقيدته الى وطن آخر. . والى عقيدة أخرى. . ولو أننا أحسنا شرح هذه المذاهب الوافدة، وأبنا أنها غير صالحـة فى بلادهـا بالنماذج الحية وبالمقارنات العلمية. . وفى نفس الوقت أصلحنا من ذوات شؤوننا وتوخينا أسباب العدل بالقدر المستطاع لما أمكن لهذه المـدارس أن تقف على قدميهـا أو أن تستقـر فى أفكـار أبنـائنـا ليـوم واحـد. . ولكن يبقى علينـا أن يجتهـد المخلصـون من مفكـرينا فى القيام بمناقشة هذه المذاهب فى يسر وحيدة. . وأن يجد من بيدهم الأمر فى تيسير

الحيـاة الاقتصـاديـة وتمكين الناس من ضروريات الحياة والاقتراب اليهم اكثـر واكثـر. . هذا اذا ما اجتمـع هذان العـامـلان . . أعنى أولى الأمـر والمفكـرين . . يشكـل ذلـك صرحـا قويا فى تجنيب بعض الشباب الذين انحـرفـوا هنـا أو هنـاك وهذا التجنيب فى حد ذاته يعتبر عاملا من عوامل التكوين والبناء . . وذلك حسب النظرية المنطقية ! !

تقول : (تجنب الضرر يعتبر نفعا)

■ هنـاك نقطـة ثالثـة يمكن أن تسهم فى بنـاء الشبـاب وتكوينه تنبه اليها الكثـير من الحكـومـات العـربية وهى (العناية بالشباب فى هذه الدولة أو تلك بانـشـــاء وزارة أو مجلس يســمى كلاهما بوزارة الشبـــاب أو المجلس الأعلى للشباب) وهذا فى حد ذاته عامل نافع ، ولكن زيادة النفع تكون بحسن التخطيــط ودقـــة التنفيـذ . . فهـل قامت هذه الـوزارات أو تلك المجـالس برسـالتهـا فى حسن اعـداد الشبـاب وتكـوينـه فى نطاق تخطيط سليم . . وممارسة واعية . . أخشى أن تكون اجابتى بغير الايجاب وذلك من منطلق معـــايشتى لكثـير من هذه المؤسســات فى كثـير من أقطـارنـا العربية . . والاسلامية .

■ ان واحدة من هذه المؤسسات لم تجعل أساس انطلاقها فى اداء رسالتها منطلقـا روحيـا دينيـا أو حتى ثقـافيـا ، وانـما انطلق من منطلقـات تمارين بدنيـة . اورسم أو تصـويـر أو موسيقى ورقص من النـوع المفسد للذوق ، الى غير ذلـك من هذه العـوامـل التى ثبت علميـا أنهـا أدت الى عكس الهدف المقصود منها . .

■ واننى أعجب كل العجب أن تهتم هذه المجـالس (مجـالس الشباب فى

العالم العربى والاسلامى) بالألعاب البدنية والنحت والرقص والغناء، ولا تهتم بالمحافل الثقافية والأندية العلمية والجماعات الأدبية، حتى أنه فى أغلب بلادنا العربية لا تزيد ميزانية الثقافة والفكر والأدب فى هذه المؤسسات عن عشر معشار ما يخصص للبدنيات وتابعاتها من تلك التى ذكرناها.. وهذا مكمن الخطر.. فمؤسسات الاصلاح انقلبت دون أن تشعر الى مؤسسات سلبية.. وأتحرج أن اقول مؤسسات هدم وتقصير..

■ هناك أيضا عامل خطير جدا أسهم فى تصدع مجتمعنا وفقدانه توازنه.. وهو اطلاق التعليم العالى لكل من يريد أن يلتحق به.. اننى اعرف أن كثيرا من الناس لن يرضوا عن هذا الذى أقرره هنا.. ولكنها الحقيقة المرة التى ينبغى أن نواجهها بشجاعة.. وأول ما تطلب الشجاعة.. الأدبية.. تطلب من أمثالنا نحن الذين اشتغلنا بالفكر.. وممارسة الكتابة..

■ لقد ثبت بالدليل العلمى أن ما يسمى (بجامعات بالأعداد الكبيرة) لا تعطى العلم بالقدر الذى يخرج متخصصا وهذا شىء طبيعى فليس من المعقول أن كل واحد من عشرين طالبا يأخذون من الأستاذ نفس القدر من العلم والتوجيه الذى يأخذه كل واحد من الف طالب.. هذا شىء..

■ والشىء الاخر: أن كل من هم فى مرحلة الشباب يشعرون أن الالتحاق بالجامعات بالنسبة اليهم قد صار مسألة موت أو حياة.. فدخلوا جميعا الجامعة وتخرجوا.. وكل واحد منهم يعتبر نسخة من زميله

فى ذلك القدر القليل الذى حصلوا عليه من العلم . . وكلهم بلا استثناء يريدون أن يكونوا موظفين يجلسون على مكاتب ! !

■ وفرغ المجتمع من أصحاب الحرف والصناعات . . ومجتمع يخلو من أصحاب الحرف والصناعات يعتبر مجتمعا غير متوازن ، والمجتمع غير المتوازن مصيره الى تحت لا الى فوق . .

■ والنتيجة أن المجتمع فقد توازنه ، لأنه قبل ذلك أهمل العقل ، ومن ثم فقد التخطيط السليم . . فلا مناص لنا ولا مفر من أن نعيد النظر فى التخطيط لبناء الشباب وتكوينه وتثقيفه وتعليمه فى نسق يخدم جزئيات المجتمع وكلياته . . ومعروف أن شباب اليوم شيوخ الغد . . واذا أصلح حال الشباب . . ضمنا صلاح الأمة جميعا ممثلة فى شباب اليوم وشيوخ الغد .

■ اخوانى . . ان هناك الكثير من القيم التى افتقدها الشباب العربى فأدى ذلك الى تدهوره وقلقه وفشله فى حياته العملية والدراسية .

«أ» القيم الروحية او الدينية . . وهذه القيم تعصمه من الانحلال الخلقى . . والبطالة . . والجريمة . . والمخدرات ، والجنس . . والقلق . . وكلها تشكل ظواهر هدامة فى جسم المجتمع الشبابى .

«ب» القيم الاجتماعية . . فى نطاق التعامل بين الفرد والمجتمع والفرد والحكومة . . والفرد والمؤسسة التى يعمل بها ونتيجة غياب ذلك .

عدم اتقان العمل . . الرشوة . . قلة الولاء للدولة او المؤسسة . . اضطراب الأسرة . . والخلافات العائلية . . الطلاق وتشرد الاطفال الذين ينشأون على الفساد والحقد على المجتمع كله . .

«ج» القيمة الأخلاقية.. وهى مرتبطة بالقيمتين السابقتين الدينية والاجتماعية وهى ثمرة لها.. ايجابا وسلبا.. وتتمثل فى الصدق.. والامانة والوفاء والاستقامة وحسن الجوار والعناية بالكبير واحترامه.. والعطف على الصغير والأخذ بيده.. واهتمام الزوج بزوجته وأولاده.. واهتمام الزوجة بالزوج والأولاد.. وأكثر هذه العناصر مفتقد فى المجتمع الغربى لانكبابه على المادية.. وتنكره للروحية..

«د» برامج التعليم فى الغرب.. واهمال دور المدرسة فى تربية الطفل.. واهمال الجامعات لبرامج بناء الانسان روحيا وأخلاقيا.. وغمض عين المسؤولين عن الجرائم الاجتماعية والأخلاقية الناتجة من «ترك الحبل على الغارب» فى العلاقات العارية بين الطالبات والطلاب، ومساكنة بعضهم بعضا أعنى بالذكور والاناث.. وهنا يغيب دور الوالدين مثلما يغيب دور المشرفين والمربين.

«هـ» وسائل الأعلام: ودورها الخطير فى بناء المجتمع اذا صلحت.. وفى هدم المجتمع اذا انحرفت.. (ووسائل الاعلام هنا هى الاذاعة والتلفزيون والصحافة اليومية والأسبوعية والمسرح والسينما والفيديو والأغانى)..

■ غياب البرامج التربوية السليمة.. وانتشار البرامج الفاسدة شجع على الجريمة وتكوين العصابات للخطف والسطو والقتل والانحراف..

■ عدم أمانة الصحافة أدى الى تزييف الحقائق حول القضايا المعاصرة والتاريخية وشوهها فى عقول الناس فاختلفت أحكامهم.. وفسدت ضمائرهم..

■ سيطـرة عنـاصـر ذات أفكـار متعصبة على وسائل الاعلام حالت هى الأخـرى بين الحقـائق الناصعة والقضايا العادلة وبين أن تصل الى الرأى العام المحلى والعالمى.

«و» فى ميـدان علاقـة الشـرق بالغرب.. سيطرت فئة فى الجامعات على الـبرامـج المتصلة بهذا الموضوع فشوهت العلاقات التاريخية.. وأفسدت البرامج.. وزيفت التاريخ.. وخصوصا التاريخ الاسلامى.. وصورت أبطـالـه بصـورة غير كريمـة.. وقلبت حقـائقـه رأسـا على عقب.. فانسحب ذلك كله على العقلية الغربية.. ومن ثم كانت الفجوة الكبيرة فى العلاقات بين الطرفين.. ومن هذا المنطلق ظل الغرب بعيدا كل البعد عن فهم قضاياالعصر الملحة (مثل قضية فلسطين) حتى أعلنت النكبات والمذابح بشاعتها عن اطراف من عدالة القضية.. ولو أن الصحافة كانت منصفة.. ولو أن بعض هؤلاء الذين أشرنا اليهم من أساتذة روادالشرق الأوسط فى الجامعات كانوا منصفين لكان الحال غير ما هو عليه الان.

هذه لمحـة موجـزة عن الشبـاب الغـربى والقيم التى يفتقـدهـا هذا الشباب وأوردها بايجاز فى هذه المحاضرة..

اخوانى الأفاضل.. أما التربية الاسلامية فتستمد فلسفتها وطريقتها فى تكـوين المـواطن الصالح من فلسفة الاسلام.. ونظرته الى الكون.. والطبيعة والدنيا.. والاخرة.

■ فالاسـلام فى روحـه وجـوهـره ـ دين ودولة ـ سيف.. وكتاب.. ثكنة ومسجـد.. جامـع وجـامعة.. جسد وروح.. ايمان بالعمل المادى من أجـل الـدنيـا.. وايـمان بالعمل الروحى من أجل الآخرة.. ولذلك فلا

غرابـة أن يمتـاز الاسلام بضرب خاص من التربية تختلف فى أهدافها . . ووسـائلهـا . . وغـايـاتهـا . . عن أنـواع الـتربية الأخرى التى سادت فى حضارات مختلفة عبر العصور والسنين .

■ وفى ضوء هذه الفلسفـة الاسـلامية فى الـتربيـة فان مفهـوم المـواطن الصالح فى التربية الاسلامية يمكن تحديده كالتالى : هو الشخص الذى تـوازن فى تكـوينه النفسى أو الروحى أو الأخلاقى . . الجوانب المادية . . من صحـة بدنيـة . . وقـدرة على العمل . . وسعى فى مناكب الأرض . .

من أجـل الحصـول على الـرزق الحـلال الشـريف . . مع الجـوانب الـروحيـة . . من خلق . . وضمـير واستقـامـة . . وصـدق وأمـانـة . . ونـزاهـة . . وتقـوى . . وعبـادة بحيث لا يطغى فيـه الجانب المادى على الجانب الروحى . . ولا الجانب الروحى على الجانب المادى . .

ولذلك ينبغى عند تربيته . . وتكوينه . . واعداده للحياة . . أن يكون تعليمه فى الأسرة . . ثم المدرسة . . ثم الجامعة . . قائما على أساس هذا التـوازن الـدقيق بين مطـالب الجسم . . ومطـالب الروح . . بين مطالب الفـرد الخـاصة . . ومطالب المجتمع العامة . . أو بين التعليم النظرى من آداب وانسانيات . . ورياضيات وعلوم وبين التعليم التقنى والمهنى . . مما يتصـل بمختلف جوانب الحيـاة العمليـة . . من صنـاعـة وزراعـة وتجارة وغيرها من المهن والحرف . . التى تتصل بطلب الرزق والعيش فى الحياة الدنيا مما يحتاج اليه المجتمع فى نهضته الاقتصادية والعمرانية . . والصناعية . .

■ يقول سبحانه وتعالى . .

«وابتـغ فيـما آتـاك الله الـدار الآخـرة . . ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله اليـك، ولا تبـغ الفسـاد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين» . «القصص ـ ٧٧» .

■ يقول جل شأنه :

«يـا ايهـا الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيـع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمـون ـ فاذا قضيت الصـلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» . «الجمعة ٩ ـ ١٠ ـ»

■ ويقـول الـرسـول الكـريم ﴿ﷺ﴾ «ليس خيركم من ترك الـدنيـا للآخـرة . . ولا خيركم من ترك الآخـرة للدنيا . . ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه» .

■ ويقول عليه الصلاة والسلام «من أحب دنياه أضر بآخرته . ومن أحب آخرته أضر بدنياه . . فآثروا ما يبقى على ما يفنى»

«رواه احمد وابن حيان»

■ ويقول فى حديث آخر «أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم» .

■ ومن هذا : فان فلسفـة الـتربيـة الاسلامية فى تكوين الشباب وتكوين المـواطن الصـالح تهدف الى تكوين الفرد الذى يعمل لدنياه وكأنه يعيش ابـدا، ويعمـل لآخـرتـه وكأنـه يمـوت غدا . . هكذا فى توازن دقيق بين

مطـالب الـروح . . ومطـالب الجسم . . بدون اخلال ولا افراط أو تفريط (سواء فى الجوانب الروحية أو فى الجوانب المادية) . .

■ اخـوانى الأفـاضل . . لعل أهـم ميزة تنفرد بها التربية الاسلامية . . فى الفكر التربوى الانسانى بصفة عامة هى أنها تربية شاملة لمختلف جوانب الشخصيـة الانسـانيـة للانسـان المسلم . . وهـذه الخـاصيـة جاءتهـا من الاسـلام الـذى ينظـر الى الانسان الفرد كوحدة كلية لا تقبل التجزئة . . فالاسلام ـ باعتباره دنيا ودولة ـ يرفض رفضا باتا انقسام الذات الانسانية الى روح ومـادة . . والعنـايـة بأحـدهما على حساب الاخر . . كما فعلت الـتربيـة ـ الهنـديـة ـ والتربية ـ المسيحية ـ مثلا فى عنايتهما بالروح وحدها واهمال مطـالب الجسم أو كما فعلت بعض الفلسفات الـتربـوية المادية فى تركيـز عنـايتهـا على الجـوانب المـاديـة من حيـاة الانسـان واهمال جوانبه الروحية مثل «الماركسية» بحيث أصبح الانسان عملاقا فى عضلاته ولكنه وحشى فى روحه وأخلاقه . . وتلهفه على المادة والكسب المادى سواء كان بطريقة مشروعة أم غير مشروعة . .

■ فالاسـلام ينظـر الى الانسـان على أنـه كل لا يتجـزأ . . فالجـانب المـادى . . حاجـاته ومتطلباته . . وللجانب الروحى حاجاته ومتطلباته . . ومن هنا لايجوز للانسان المسلم أن يبخس للجسد حقا لكى يوفى حقوق الروح . . كما لايجوز له الاسراف فى مرضاة هذا ولا فى مرضاة ذلك . .

■ والقرآن الكريم صريح فى نهيه عن تحريم المباح . . قال تعالى «قل من حرم زينـة الله التى أخـرج لعبـاده والطيبـات من الرزق، قل هى للذين

آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون». الأعراف ـ ٣٢ ـ

■ كما ان القرآن الكريم صريح كذلك فى نهيه عن اباحة المحرم «قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن» «الاعراف ـ ٣٣ـ

■ وقد سارت الفلسفة الاسلامية فى التربية فى بناء الشباب المسلم وتكوينه . . وفى بناء المواطن الصالح على هذا النهج القرآنى الذى ينظر به الاسلام الى الشخصية الانسانية . . وهو التوزان الدقيق بين مطالب الروح ومطالب الجسم ولذلك دعا الى اعداد الانسان للحياة الدنيا . . والحياة الآخرة جنبا الى جنب بدون افراط أوتفريط فى أى منهما . . ولذلك فإن التربية الاسلامية في كل برامجها ومناهجها فى سائر مراحل التعليم تعنى بالتربية الدينية . . والتربية الخلقية . . والتربية العلمية . . والتربية الجسمية والتربية المهنية أوبتعبيرنا الحديث (التربية التقنية) دون أن نضحى بواحدة منها على حساب الأخرى.

■ ومن هنا كان من أهم خصائص التربية الاسلامية أنها قد جمعت فى تناسق . . وتناغم . . وانسجام رائع منذ أول ظهور الاسلام ـ بين تأديب النفس . . وتصفية الروح . . وتثقيف العقل . . وتقويم الجسم . . والعناية بكل ما يجعل حياة الانسان على وجه الأرض سعيدة ورغدة وطيبة . . يقول سبحانه وتعالى :

وكلوا واشربوا ولا تسرفوا. انه لا يحب المسرفين».

«الاعراف ٣١»

■ اخوانى الأفاضل : لقد نتج عن مبدأ شمولية التربية الاسلامية لكافة جوانب الشخصيـة الانسـانيـة للفـرد المسلم . . مبدأ آخر فى غاية الأهمية والخطـورة . . تمتـاز به الـتربية الاسلامية وهى أنها تتجه فى تربية الانسان الفرد من البداية ببناء نفسه من الداخل . . ثم تقويم بنائه الخارجى على أساسه فهى ترى أن البناء الداخلى للفرد أى تكوين ضميره الحى اليقظ وخلقـه الطيب الطـاهـر . . ونفسه المؤمنة المتشبعة بمعانى الأخوة والرحمة والعدل . . والاحسان والصدق والوفاء . .

لكل أبناء البشر (بقطع النظر عن اجناسهم) هو أساس العمل الناجح فى الحيـاة . . وأسـاس بنـاء المجتمع الخير فى هذا الوجود . . وأساس قيام الحضـارة الانسـانية الصحيحة على أسس متينة ولذلك تقوم نظرة القرآن التربوية على أربعة أركان هى كما يلى :

أولا : الايمان بالله ورسله وملائكته وكتبه . . وبالجنة والنار .

ثانيا : الخلق الطيب . .

ثالثا : العلم بمعناه الشامل لعلوم الدين وعلوم الدنيا .

رابعا : العمل الصالح للدنيا والآخرة فى وقت واحد .

■ يقـول الله تعـالى : «ان الـذين آمنـوا وعملوا الصـالحات يهديهم ربهم بايمانهم ، تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم» . . سورة يونس -٩-

فالايـــمان ومـوضعـه القلب هو الينبـوع الـذى تستقي منـه الأخـلاق الفاضلة . . والأخلاق الفاضلة تقود الانسان الى معرفة الحق والحقيقة . . وهذا هو العلم الصحيح والعلم المبنى على أساس من الايمان . . الراسخ . . والخلق القـويم يقـود الانسـان لا محالـة الى العمل الصالح . . الذى

يرضى الله ورسوله . . ويرضى الأفراد والمجتمع فى وقت واحد .

وهذه العناصر الأربعة (الايمان الراسخ - الخلق الطيب - العلم الشامل - العمل الصالح) اذا ما توفرت فى مجتمع مثل المجتمع الاسلامى فى عصر النبوة تؤدى الى قيام حضارة انسانية وارفة الظلال تقوم على أسس متوازنة من الجوانب الروحية . . والجوانب المادية . . توفر الخير والسعادة والاطمئنان لكافة ابناء البشرية .

■ وهكذا تترابط اركان النظرية التربوية فى القرآن الكريم ترابطا عضويا فى تكوين المسلم الصالح . . وبناء شخصيته من داخل نفسه حيث ينعكس البناء الداخلى على مختلف جوانب شخصيته من الخارج . . هذا المسلم الصالح الخير الذى منه ومن امثاله يتكون المجتمع الصالح . . والدولة الصالحة المصلحة التى تملأ الارض عدلا وسلاما . . وليس عدوانا واستعمارا . . او استغلالا وحروبا . . كما تفعل الدول الاستعمارية فى عالمنا المعاصر غربا . . وشرقا . .

■ فالتربية الاسلامية فى بناء الشباب وتكوينه . . هذه التربية فى برامجها الدراسية ومناهجها العلمية وأساليبها التربوية . . وطرقها فى التعليم والتكوين . . توجه عنايتها الى نفسية الفرد وضميره . . فى المقام الاول لكي تجعل الفرد المسلم يتعامل مع الله على أساس من الاحسان فى العمل . . فهو يعبد الله وكأنه يراه . . ومن هنا فهو لا يحتاج الى رقيب خارجى يحرسه ان يزيغ أو ينحرف هنا أو هناك لأن الرقيب موجود معه فى داخل نفسه ، فهو مثلا لا يسرق لانه يخاف من السجن او العقاب ولا يخون وطنه لنفس السبب ولا يتعدى على اموال الدولة والمجتمع خوفا

من العقـاب البشـرى على وجه الارض وانما هو لا يفعل ذلك لأنه يخاف الله سبحـانـه وتعـالى من جهـة . . ولان ضمـيره الحى اليقظ لا يسمح له بارتكاب أية خطيئة مهما كانت صغيرة سواء فى حق الله أو فى حق العباد .

■ ومن هنـا تتجـه التربية الاسلامية الى تكوين الضمير الانسانى للفرد عن طريق (غرس الايمان القوى بالله سبحانه وتعالى فى نفسه منذ البداية وتبنى على أسـاسـه كل عمـل تربوى آخر فى المستقبل) هذا الايمان الذى ينتـج عنـه الخلق الطيب . . والعلم الصحيـح . . ثم العمـل الصـالح فى الـدنيـا والآخـرة . . لانـه متى تكون هذا الضمير او القلب السليم تكونا صحيحـا منـذ البـدايـة . . استقـامت سيرة الفرد وحسنت أفعاله وطابت سيرتـه بين النـاس وبـالتـالى يصبـح فردا صالحـا يتكـون منه ومن أمثاله المجتمع الصالح . . والدولة الصالحة المصلحة .

■ فالـتربيـة الاسـلاميـة . . توجـه عنـاية كبرى الى إصلاح الفرد نفسا وروحـا وعقـلا وجسـما وحـواساً . . وعملا وصناعة وتجارة وحرفا كمقدمة لابد منها لاصلاح المجتمع . . باعتبار الفرد هو الخلية الاساسية التى يقوم عليها كيان المجتمع الكبير . . ثم باعتبار الانسان خليفة فى الارض قال تعالى :

واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسـد فيهـا . . ويسفك الدماء . . ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون» . . البقرة ـ ٣٠

■ اخوانى الكرام . . من المعلوم أن لكل تربية عقيدة ترتكز عليها وتستمد منها المبادىء . . والتوجيهات والمناهج والطرق والنظم العامة . .

والقرآن الكريم هو روح التربية الاسلامية . . ودستورها التى تستمد منه مبادئها . . واتجاهاتها ومناهجها وبرامجها الدراسية الى غير ذلك . . اما السنة النبوية فهى مفسرة وشارحة لما ورد فى القرآن الكريم .

■ والقرآن الكريم أعظم كتاب شامل لمناهج الدين والدنيا معا . . ولقد قامت على أساسه كل علوم اللغة . . والشريعة والثقافة فى اللغة العربية . . والحضارة الاسلامية .

■ ومن هنا كان القرآن ولا يزال جوهر التربية الاسلامية وروحها وعقيدتها الذى تستمد منه فلسفتها فى تكوين الفرد المسلم الصالح . . والمجتمع المسلم الصالح . . والدولة الاسلامية الصالحة والحضارة الانسانية الصالحة لحياة البشرية وسعادتها ورفاهيتها وخيرها وسلامها .

■ والتربية الاسلامية تعتمد فى تكوين الانسان الصالح او الفرد المسلم الصالح على القرآن . . ومنهج الدراسة فى هذه التربية التى صنعت الرجال وكونت القادة وأعدت الدعاة وأخرجت العلماء الفطاحل فى مختلف العلوم والفنون ـ هو القرآن ـ بالدرجة الأولى ثم السنة النبوية التى تعتبر شرحا وتفصيلا للقرآن الكريم .

■ اخوانى الأفاضل . . نجح الاسلام على مر القرون الطويلة فى أن يقدم نموذجا تربويا تعليميا متقدما ومتطورا فكان الأداة الأولى للتعبير عن العقيدة والوسيلة الفضلى فى نقل المعارف الانسانية كما نجح فى أن يصوغ من الانسان المسلم انسانا مميزا فى قيمه وأخلاقه وسلوكه . . ومن خلال المؤسسات التربوية المتعددة (المسجد والكتاب والشيخ والاستاذ والمدرسة بمعناها الشامل) كل هذه المؤسسات الاسلامية شكلت على

مر القرون نموذجا تربويا كاملا استطاع أن يخدم البيئة الاسلامية والعقيدة الاسلامية . . والحضارة الاسلامية بل والحضارة الانسانية بأسرها . .

■ ولازال علماء الغرب الى اليوم يذكرون فضل معاهد الأندلس فيما قدمته للحضارة الغربية الحديثة من ذخيرة لا تنضب منها ماهو منقول بأمانة وتطوير ومنها ماهو جديد مبتكر.

■ ولكننا مع تفكك الخلافة العباسية . . وتراجع الحكم العربى المركزى وانحسار المد العربى فى الأندلس وأخيرا مع انهيار الخلافة الاسلامية العثمانية . . تجاوزنا هذا كله دفعة واحدة باتجاه الغرب . . فاستعرنا المضمون واستعرنا الطريقة واستعرنا مصدر المعرفة . . وتراءى لنا ان الحل يكمن فى الغرب مصدرا ومضمونا وطريقة تعليم . .

■ عوامل شتى ومؤثرات كثيرة وضغوطات متنوعة كلها دفعت بنا ـ مع الأسف ـ الى التخلى عن النموذج التربوى الاسلامى . . واستعارة الحلول الخارجية . . وان كان المجال هنا لا يسمح لنا بالعودة الى وصف عصور التخلف وما وقع فيه المسلمون من تخلف علمى وباستعراض العوامل والمؤثرات المتأخرة جميعا . . فاننا نكتفى بالاشارة الى العناوين.

١) الانهيار السياسى والعسكرى للحكم الاسلامى العثمانى ، وهجمة الدول الغربية المستعمرة لاحتلال معظم أرجاء الوطن العربى . . وقيام هذه الدولة الأجنبية المستعمرة بفرض ثقافتها ولغتها ونموذجها الحضارى والتربوي .

٢) انبهار جموع رواد المتعلمين المسلمين أمام وهج الحضارة الغربية ، مما

زرع فى قناعة وفى ضمير كثير من هؤلاء انه ما من سبيل لتحسين أحوال العرب والمسلمين الا باقتباس أساليب الغير اقتباسا كاملا . .

٣) مجموعة الهزائم العسكرية والسياسية التى منى بها العرب طيلة العقود السبعة من القرن العشرين أمام الدول الغربية الغازية . . وعلى الاخص أمام اسرائيل .

■ كل هذه العوامل أدت بنا الى مزيد من التغريب . . ومع الانبهار والاندهاش أمام وهج الغرب استكنا الى لعبة الانجذاب المتراخى . . والمطمئن الى أن المصير مرتبط بالنهاية فى مزيد من الالتحام مع النموذج الحضارى الغربى . . فلكى نهزم الدول المستعمرة الغربية ولكى نهزم جيوشها وأساطيلها وأدواتها العسكرية المتقدمة . . لابد لنا من الانصهار الكامل مع عقل هذا الغرب ونتاجه ومعارفه وتوجهاته .

ومارس علينا الغرب بشراسة لعبة التجزئة لكل أرجاء العالمين . . العربى والاسلامى . . مارس التجزئة بكل أبعادها السياسية والجغرافية كما حاول بنجاح جزئى فى أكثر الحالات نشر أفكاره ومبادئه عن طريق لغاته المختلفة فنشر الفرنسية هنا . . والانجليزية هناك . . والطليانية والبرتغالية والأسبانية هنالك . . ثم راح يلعب لعبة التنصير أينما حل وأينما وجد . .

■ أيها الأخوة لقد حزب الأمر . . وأن لهذه الأمة أن تترجم المبادىء الى حركة وممارسة فى مواجهة قضاياها بناء أجيالها وأن تدرك أن الانسانية . . ونحن جزء منها ـ لن تحل مشكلاتها بصعود الانسان الى كوكب جديد . .

ولا أن يصل الانسان التقنى أكثر وأكثر الى مخترعات تدمر وأسلحة

تفتـك فالـذين وصلوا الى ما وصلوا بالعلم التقنى هم أنفسهم الـذين نذوق منهم الويلات صباح مساء.

وهم الـذين يظـاهـرون علينـا اعداءنا بغير هوادة.. ويمتصون دماء الشعوب الضعيفة بلا شفقة ولا رحمة.. وعلى أرضهم وقريبا من المعامل والمصانع والمؤسسات تهز المجتمع أبشع جرائم الخطف والسرقة والتدمير وماهو أشنع.

■ نعم عليهـا أن تدرك ذلـك عنـدمـا تعمـل بحـزم على بنـاء الانسـان المسلم.. وأن ذلك ما لم يكن فى ضوء الاسلام الذى يدعو الى العلم فى خدمة العقيدة.. والانسان.. ولا يتساهل بأخلاقيته على كل المستويات قيد أنملة.. ويدعو الى حراسة المبادىء بالفكر والقوة.. ما لم يكن الأمر كذلك فلا فائدة ترجى ولا ثمرة تجتلب، وانما هى نقلة من ضياع الى ضياع.!!

■ ايهـا الاخـوة: شىء وراء المعـرفـة تميـز به أصحاب النبي ﴿ﷺ﴾ فلم يكـونـوا يتلقـون عنـه المعلومـات وكفى، وانما كانت هنالك تزكية النفس وحملهـا الى حيث خشيـة الله والـوقـوف عنـد حدوده.. ومراقبته فى السر والعلن عمـلا بتلك القـاعـدة النـورانيـة من الحـديث الصحيـح فى بيان الاحسان.

«أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك».

يعظهم الـرسـول ﴿ﷺ﴾ فتـذرف لموعظتـه العيـون.. وتجـل لها القلوب.. وتفيض آثارها على جوارحهم وسلوكهم..

■ وحين اضاءت الحياة بلمساتهم.. وأشرقت بنظراتهم.. وتحول جدب

الأرض التى فتحوها الى ربيع يزهو ويثمر. حين حصل ذلك كله يوم انساحوا فى دنيا الناس فاتحين معلمين.. لم يكن ذلك بالمعرفة فقط.. وانما كان بالمعرفة وشىء وراءها فكان الصدق فى المواطن.. ومراقبة الله فى السر والعلن.. وملاحظة ان ماكان لله فهو المقبول.. وما كان لغيره فهو المردود.. وان لكل درجات مما عملوا، أحصاه الله ونوه.. لقد تحركوا ونور الخشية يضىء لهم الطريق.. وعلموا الناس وكان مع التعليم ندى اليقين باليوم الاخر، وان الكل معروض عليه سبحانه وتعالى.. وحملوا الى الناس معالم الخير.. وكل واحد منهم بايمانه وسلوكه صورة حية عن هذا الذى يدعو اليه ويعلمه الناس.

مرضاة الله.. الصراط.. الميزان.. وعذاب القبر.

والمسؤولية «وقفوهم انهم مسؤولون». «قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها» كل أولئك لم يكن فى حياتهم دروسا تلقى على الناس من اجل غرض من أغراض الدنيا ولكن كانت اليد الحانية التى فجرت الفطرة فى الناس.. وكشفت عن معادن الخير فيهم.. لأن كل رائد منهم كان الدعوة العملية.. لما يعلم الاخرين من مبادىء وأحكام، حتى قالت عائشة رضى الله عنها.. كان عمر قرآنا ناطقا.. ففى الكلمة التى ينطقون حياتها.. وفى الدعوة التى يدعون وجودها.. ولعل هذا من بعض أسرار ما كان الانسياح السريع لأنهم لم يعطوا الناس كلمات جامدة لا حياة فيها..

■ ولقد كان مما من الله به على الأمة أن جعل حملة رسالة نبيها اليها من هذا الطراز.. فهم أولا نقلة الرسالة الى الناس عن نبيهم عليه الصلاة

والسلام . . والصورة العملية لها . . وهم ثانيا قريبو عهد بالجاهلية مما يكشف عن هذا الذى صنعه الاسلام حين اشرقت على بطحاء مكة رسالة السماء . . واذا رأيت الذي كانت تصنعه . . أى الكتاب فيهم . . وموعظة الرسول عليه الصلاة والسلام رأيت أى معجزة قامت على الارض وايقظت حركة التاريخ . . وكشفت عن أهلية الانسان للسمو حين تلامس قلبه هداية الاسلام «الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، اذا فقهوا».

«فقهوا . . » على اطلاقها دون تحديد بمصطلحات جاءت فيما بعد . .

أخرج البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال :

خطب رسول الله ﴿ﷺ﴾ خطبة . . ماسمعت مثلها قط فقال : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» فغطى أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجوههم ولهم خنين» وفى رواية بلغ رسول ﴿ﷺ﴾ عن أصحابه شىء فخطب فقال :

« عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم فى الخير والشر . . لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا . فما أتى على أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوم أشد منه . . غطوا رؤوسهم ولهم خنين» . .

تلك هى الصياغة . . نفوس امتدت اليها يد محمد ﴿ﷺ﴾ تذكيراً بالآخرة . . ودفعا حازما الى ميادين الجد . . وايقاظا لعزائم الرجال المنوط بهم حمل تلك الرسالة أن يكونوا على مستوى المسؤولية تجاوزا للمحقرات وارتفاعا فوق التوافه والركام . . وقدره على مجاهدة النفوس أن تتقاعس عن المعالى . . وجهاد العدو . . ولسوف تبقى تلك النماذج برهان الأرض

لأهـل الأرض على امتـداد الزمن . . ان الاسلام رسالة الحياة للانسان ، وحجـة علينـا نحن الـذين نزعم واهمين . . فى جومن الانهـزام النفسى وطلب العافية ـ ان الاسلام تجريد لايقوى على حمله الانسان . . ان شيئا وراء المعرفة كما أسلفنا نلمسه فى هؤلاء الرواد الذين تلقوا عن رسول الله . . وقبلوا عن رسول الله . . أنه الندى الذى يعطى المعرفة حياتها . . ووجودها . .

ويجعـل من الانسـان قادرا على حمل العبء وأداء الـرسـالـة مهما غلا الثمن . . على طريق : أولـه الاستجـابة لدعوة الحياة ، وآخره الشهادة فى سبيل الله .

■ أما أنه ليس بدعا بعد ذلك أن نرى فى أعمالهم . . وتربيتهم وسلوكهم ماهـو صورة صادقـة لميراث النبـوة . . والـزرع الـذى أخـرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستـوى على سوقـه ، والحجـة بهم قائمة الى يوم الدين . . بما كان من حرصهم على الصيـاغـة نفسهـا التى كانت ذروة منهجـه عليـه الصلاة والسلام . .

■ أخـرج البيهقى وابن عسـاكـر عن جعفـر بن الزبرقان قال : بلغنى أن عمـر بن الخطـاب رضى الله عنـه كتب الى بعض عمالـه فكـان فى آخـر كتـابـه . . « حاسب نفسـك فى الـرخـاء قبـل حسـاب الشدة . . فإن من حاسب نفسـه فى الـرخـاء حسـاب الشـدة . . عاد مرجعـه الى الـرضـاء والغبطـة . . ومن ألهتـه حيـاتـه وشغلتـه سيئـاتـه عاد مرجعه الى الندامة والحسرة . . فتذكر ماتوعظ به لكى تنتهى عما تنهى عنه » .

■ وعلى هذا الطـريق من الفقـه الحقيقى لهذا الـدين الذى أكمل الله به

نعمته على الناس روى عن على رضى الله عنه فيما أخرجه أبو نعيم : قال «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك . . ولكن الخير أن يكثر عملك . .

ويعظم حلمك . . وأن تباهى الناس بعبادة ربك فإن أحسنت حمدت الله . . وان أسأت استغفرت الله . . ولاخير فى الدنيا إلا لأحد رجلين . . رجل أذنب ذنبا فهو متدارك ذلك بتوبته . . أورجل يسارع فى الخيرات . . ولايستقل عمله فى تقوى الله عز وجل» .

■ حتى فى ساحة الجهاد . . وبين الصفين . . حيث يبتسم المؤمن للموت . . ويتطلع الى الشهادة . . ويعيش لحظات هى الى الآخرة أقرب منها الى الدنيا . . لاينسى قائد « كأبى عبيدة» ان يذكر المقاتلين فى سبيل الله مايمكن أن يعتبر الأوليات والابجديات . . ذلك لأنه يرى من النصح لهم وهم على عتبته أن يغادروا هذه الحياة . . أُنهم قادمون على ربهم حيث توزن الحسنات والسيئات .

■ أخرج أبونعيم أن أبا عبيدة رضى الله عنه كان يسير فى العسكر فيقول : « الارب مبيض ثيابه مدنس لدينه . . الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين . . ادرؤوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات فلو أن أحدكم عمل من السيئات مابينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته . » .

وانظر الى هذه الكلمات الجوامع من عبدالله بن مسعود التى تقرأ فى ثناياها مايشعرك بأنها من ارث النبوة قال رضى الله عنه (مامنكم الا ضيف، وماله عارية . . والضيف مرتحل، والعارية مؤداها الى أهلها) .

وبعـد أيهـا الأخـوة انا لنسأل الله الرحيم الرحمن . . وندعوه وهو القاهر فوق عبـاده . . ونلجأ إليـه وهـو الـذى يتجلى علينـا بالـرحمة . . أن يفتح القلوب بهدايته من جديد، وأن يجعل من نور كلمات رسولنا الكريم غيثا يروى تلك النفـوس العطشى ويحملهـا الى مرابـع الخـير . . وأن يتجلى على هذه الأمـة بروح من عنـده يسـرى في كيـان الفرد والجماعة . . فتعود سيرتها الأولى على الجادة . .

جادة من قال عنهم (يحبهم ويحبـونـه، أذلـة على المؤمنـين أعـزة على الكـافـرين) . . وهنـالك تستأنف الطريق . . وتنهل من منابع العطاء . . وتأخـذ بأسبـاب القـوة فى القلوب والعقـول والأعـداد . . صنيـع سلفهـا الصالح وروادها الأولين . . كيما تتحرر من كل سلطان غير سلطان الله، ويكون لها التمكين فى الدين . . والأمن بعد الخوف . . وأداء رسالتها العالمين . .

اللهم لك الأمـر كله . . وبيـدك الخـير كله . . ندعوك . . ندعوك . . وزادنـا . . على مانحن فيـه ـ قولـه تعـالى (أمن يجيب المضطـر اذا دعـاه ويكشف السـوء) وشعـارنـا قوله الكريم : (واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب) انهـا اكف الضـراعـة من الضعفاء وأنت الذى بيدك الملك وأنت على كل شيء قدير . . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . .

ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة !

من أجل نعم الله على الانسان ان حباه بالقدرة على النطق والافصاح عما فى نفسه بالكلام .

فعبر الانسان عن مشاعره وأحاسيسه ، ونقل الى غيره الفكر الذى يجول بخاطره . فسهل عليه قضاء حاجاته ومصالحه .

ومع تطور الحياة تطور الكلام وتحسنت معانيه وزادت العناية به نطقا وكتابة وتعبيرا حتى يروق لسامعه أو قارئه . . وتنافس المتحدثون فى تحسين كلامهم والابداع فيه فنشأت علوم البلاغة . . لكى تضع الأسس والمعايير القياسية لاختيار الأسلوب والحكم على الكلام وهل تناسب الكلمات الغرض الذى وردت من أجله أم لا . . فلكل مقام مقال .

كما نشأ علم النحو ليمكن المتحدث أو الكاتب من التعبير بلغة سليمة خالية من اللحن الذى ـ كثيرا ـ ما ـ يضر بالمعنى .

ونشأ علم رسم الكلام (تعلم الاملاء) حتى يكتب الانسان مايريد أن يعبر عنه بصورة صحيحة خالية من الأغلاط .

وزادت المنافسة بين المتكلمين فى القدرة على التعبير أقصى غاياتها فأظهروا شتى فنون الابداع فى حلبات المباراة بالكلمات والتى كان من أهمها سوق عكاظ فى العصر الجاهلى . وكانت الكلمة توزن بمعيار دقيق ليأخذ قائلها حقه فى التكريم والتعظيم .

ولم يكن الشكـل والمظهـر كافيـا للدلالـة على عظمة الرجل بل يحكم على وضعـه الاجتـماعى وقيمتـه بين النـاس بحـديثه الذى ينطق به . كما لاتعرف قيمة الطبل الا بعد الدق عليه وسماع صوته . فربما ظهر أنه طبل أجوف .

ولم يقتصـــر أمـر احتفـاء النـاس بالكلمـة عنـد هذا الحـد بل أقـامـوا الاحتفـالات العظيمـة لسماعها وعقدوا الندوات والسهرات بل وحرصوا على التجمعات الموسمية فى الأسواق لسماع القصائد والخطب .

ولاعجب اذا ما ارتقت الكلمـة الى هذه المنـزلـة وأخذت لنفسها هذا الوضع . فكما أن الكلمة الطيبة تثلج الصدر وتهدى النفس وتريح القلب فإن الكلمـة الخبيثـة تعكـر الصفـو وتسبب الجفـوة وتحـدث الفرقة وتجلب الشقـاء والتعـاسـة بل قد تشعـل الحروب الطاحنة فى بعض الأحيان قال تعـالى الآيـات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، من سورة ابـراهيم . حقـا أن من الكـلام ماهــوطيب يشفى العلة ويـذهب الغمـة ويسعـد النفس ومنـه مايؤذى الشعور ويؤلم النفس بما يفوق ضرب السيوف وحقن الرماح يقول الشـاعر:

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتأم ماجرح اللسان

والى جانب العلوم السابقة والتى جاءت كلها من أجل تقويم الكلمة وتهـذيبهـا والارتقـاء بها يقف علم الأدب العـربى شامـخ الأنف مرفـوع الـرأس فقـد اضفى على الكلام بشتى الوانه وفنونه الروعة والجمال والرقة والعـذويـة ، وكـان مرآة عاكسـة لجميـع التجـارب والأعـمال التى يؤديها

الانسـان فصـاغ الكـلام نسيجـا مسبـوكـا مزخـرفـا بديعا محبوك اللحمة والسداة جيد الألوان متقن الصناعة.

وكان لزاما أن تتطور الكلمة وترتقى فى ظل ورعاية هذه العلوم والفنون التى ما نشأت الا من أجـل الارتقـاء بها. وصـال الأدبـاء وجـالوا وتفننوا فأبـدعـوا . . وحـاكـاهم المبتـدئـون، وقلدهم المتطفلون وكثرت الأقلام وتعددت المؤلفات بغثها وثمينها.

ولكن النـماذج الأصيلة من الأدبـاء احترمت كرامة الكلمة لأنها تعرف مكـانتهـا فتعـاملت معهـا فى اطـار الأدب وعـايشتهـا بالأدب، ورعتهـا بالمقومات والضوابط فلم تحد عنها.

وعنـدمـا ينظـر البـاحث أو النـاقـد فى انتـاج هؤلاء من الأدب وكيف استخـدمـوا الكلمـة وجـد الصـدق والجودة والروعة والعظمة الى جانب حسن العـرض وجمـال التنسيق فضـلا عن جودة المـوضـوع وجدية الرأى وحـداثـة الفكـرة، وشعـر القـارىء بجـمال الأسلوب واستقرار المعانى فى شعـوره ووجـدانه. ومثل هذه الكلمات هى التى تؤثر وتحرك وتوجه الرأى العـام وبهـذا يستحق الكـاتب أو الأديب أن يقـول أنـه فعل شيئا ذا شأن حيث استطاع أن يؤثر فى مجتمعه . .

وكـما أن الكلمـة المسمـوعـة يكـون لها تأثـيرهـا فى سامعها بقدر ايمان المتحدث بها لأن الأمر كما يقولون : ماخرج من القلب دخل الى القلب. وماخرج من اللسان لم يجاوز الآذان.

كذلـك حال الكـاتب الـذى ينتقى الكلمات والعبـارات التى ترضى القـارىء رغم أنـه لا يؤمن بها ولا يـرضى عنهـا فى قرارة نفسـه أو بمعنى

أوضح تكـون ميـولـه وأفكـاره واتجـاهـاتـه تخالف السلعة الكلامية التى يعرضها فى سوق الكلام للناس. فلايرى أحد فى كتاباته الا حروفا ميتة، كفنها الأوراق وقبرها دفتا الكتاب.

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» ؟ . .

قل لى بربـك . . من يرضى من النـاس أن يذهب لعلاج مرضه لدى طبيب هزيـل ضعيف أقعـدتـه نفس العلة وأضناه ذات المرض ولم يستطع أن يعالج نفسه فهل يأمل منه أحد الشفاء لعلة غيره؟

ان القائل يقول فى ذلك متهكما :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوى والطبيب مريض

وقديما قالوا للحسن البصرى ان فلانا يعظنا فلا يؤ ثر فينا كلامه وعندما تعظنا أنت يبكينا حديثك . . فما العلة فى ذلك؟

فكان جوابه : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة.

وقبـل ذلـك كله على الأديب أو المتحـدث وكل من صنعته الكلام أن يراعى أمـانـة الكلمـة وصـدقهـا فينتقيهـا ويتفحصهـا من حيث الهـدف والمضمون وماترمى اليه ولايلقى بالكلام على عواهنه بل يضع عباراته فى مكانها الصحيح المناسب حتى تؤتى ثمرتها وتكون هادفة ومفيدة.

والـذى يحترم الكلمـة التى ينطقها فإنما يحترم نفسه وأدبه وفنه . . وهو الـذى يواتيـه التجـديـد والابداع فلا يقدم لقرائه الا مايليق ومايفيد أنظار الناس ويحظى باعجابهم.

ولكى تكـون الكلمـة فى وضعها الصحيح على المتكلم أو الكاتب أن يلم بظـروف مجتمعـه من شتى الجوانب ويسعى دائما للمعالجة والاصلاح فإن العلاج بالكلمة أنجح من علاج البلسم والترياق.

وعليـه ان يتحسس الـداء ويشخص العـلاج وأن يكـون حديثـه راقيا بعيـدا عن السفـاسف والغث والضحـك والـركيك. . ويركز على الرقى بالأخلاق دائما. .

فانما الأمم الأخلاق مابقيت

فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولا يستسهلن إنسـان انتهـاج الكتـابـة مسلكا فان القدرة على التعبير وتصـويـر الأحـداث موهبة قبل أن تكون فطرة. . والمحدث الأديب عنده خلق وفن وذوق ولا يعـرف الـرقـاعـة والهمجيـة والعبث وليس فى كلامـه التسكع أو التهلهل لأن الأدب مبدأ ودراسة وفن صعب المنال. .

وحتى من أوتى هذه القدرات والمواهب لا يكون أديبا إلا إذا دخل فى مجال الثقافة وعركها، وجال فى بساتينها وتعمق فى شعابها. هذا اذا أراد أن يصنع من الكلام كلاما يقدمه للناس عليه أن يثقف نفسه أولا وقبل كل شىء.

رسَالة الأدب الاسلامى
وشرف الكلمة

منذ فجر التاريخ والانسان يتفاعل مع الكون والحياة . . يفرح ويغضب يشعر ويتألم . . ويتعايش مع الحياة بكل مافيها من آلام وآمال . . احساسات ومشاعر . . ولكن هناك نوعا من البشر . . أودع الله سبحانه فيهم حساً مرهفاً . . وشعوراً رقيقا . . ونفسا جياشة . . نابضة . . ووجدانا حساسا . . هؤلاء هم الذين يتفاعلون مع الحياة اكثر من غيرهم . . ويعبرون عنها بوسائل مختلفة . . وينقلون صور الحياة الى الواقع بكل تفاصيلها . . وهؤلاء هم أقدر الناس على تصوير الحياة والواقع . .

والأدب كغيره من الانسانيات مر بمراحل كثيرة . . فهناك مرحلة الادب الكلاسيكي . . ثم مرحلة الرومانسية والرومانتيكية في الأدب . . وهذه المرحلة فى الأدب ثمرة من ثمرات دعاة التجديد . . ثم مرحلة الأدب من اجل الحياة . . والأدب للأدب . . واخيرا ظهر من ينادي بان يكون الأدب معبرا عن القلب والعاطفة . ومن ينادي بان يكون الأدب معبرا عن العقل والتفكير . . وكل فريق معه أدلته وبراهينه . . فالذين ينادون بأن يكون الأدب معبرا عن القلب والعاطفة . . يقولون بأن القلب والعاطفة . . هما مركز الشعور والاحساس والوجدان . . وكل أدب لا يصدر عن القلب والشعور والاحساس والوجدان هو أدب جاف جامد . .

لا يغـذي الـروح . . ولايخدم حياة الانسان . . والذين ينادون بان يكون الأدب نابعا من العقل والتفكير الحر . . يقولون بان كل ادب لايصدر عن القلب والتفكير . . انما يلغى حياة الانسان . . لأن الانسان يعيش الحياة بعقله وتفكـيره . . فاذا ابطـل العقل والتفكير . . فكأن الانسان ميت بلا حياة لانبض فيها ولاحركة .

وسـنحــاول فى هذا المقــال الــتركيــز والقــاء الضـــوء على الأدب الاسـلامي . . لأنــه هو الـذي يهمنـا بالـدرجـة الأولى والأدب عمـوماً له مجالاتــه المتعـددة والمؤثرة على سلوك الأفراد والجماعات . . أيا كان موقفها ومعتقـداتهـا . . فما هو موقفنا نحن المسلمين منها . . خصوصا بعد التقدم العلمى الـرهيب . . الذى قرب المسافات . . ووصل المجتمعات بعضها ببعض . . لدرجة كادت تتجاوز حد المعقول . . فالأدب هو الفن الكتابى الابداعي الذي يعبر بالكلمة عن مشاعر النفس الانسانية وأحاسيسها . . وآلامها وآمالها . . ويعبر بالكلمة الصادقة عما تحتويه النفس الانسانية من طبائع الخير ونوازع الشر . . وما تزخر به من حلو الحياة ومرها ومن ثم فان القـارىء يرى فى هذا الأدب صورة يحبهـا ويتعلق بها . . وصـورة أخـرى يكرها وينفر منها لأن الأدب يصل القارىء بالحياة في أعماقه ومن حوله . . وليست الحياة الظاهرة التى تلمسها يده . . ولكنها الحياة التى يتشوق الى أن يعـــرفهـــا . . فالأدب يعـبر عنـه وجـود الكلمـة المكتـوبـة منـذ فجـر الانسانية . . ومن ثم فانه يجب على الكتاب أن يضعوا نصب أعينهم . . واجـبهم تجاه المجتمـــع . . ويجعلوا أعـــمالهم مفيـــدة له . . حتى يتبينـــوا الاتجاهات الصحيحة . . والمواقف الصادقة .

والتفكير الاسلامى ظاهرة فريدة . . فى محاولة فهم حقيقة الانسان . . وحركة عقله . . وتحليل وجدانه . . والفكر الاسلامى له خصوصية في عمل الانسان وتوجيهه . . لانه يعمل بالنية والقول والعمل . . بالارادة الخفية المحركة التى ينطلق منها الفكر الى الموضوع . . ليربط بين المثالية والواقعية . . ويعبر عن ذلك بالقول الذى ينقل الفكرة من الوحدة الى الجماعة والعمل . . والاسلام يكون عالما قويا . . بمثله العليا . . وقيمة الانسانية . . ومن ثم فانه يكون ارادة راسخة حتى يكون المسلم قويا فى ارادته وسلوكه ومنهجه وعمله . . وتلك هى رسالة الأدب والفكر الاسلامي .

وعبر التاريخ واجه الأدب العربي كثيرا من النظريات الوافدة . في نطاق الدعوة الى تجديد الأدب العربى . . وأصوله الثابته . . وتعارض طابعه الاسلامي المتميز . . وخصائصه الواضحة . . وقد رأينا هذه النظريات جميعها تسقط وتتهاوى الواحدة تلو الأخرى . . لأنها انطلقت من طابع الأدب الغربي . . وتشكلت وفق مضامينه . . واعتمدت على نظريات العلم الطبيعى . . وفرضت نفسيا على الفلسفة والأدب . . الذى يعتبر الانسان حيوانا خاضعا لظروف البيئة . . وهى نظرية مادية . . لاتتفق مع روح الأدب العربي الذي يقوم على أساس الترابط والتلاحم الواضح بين المادة والروح . . والعقل والقلب . . وتعتمد التوحيد الاسلامي هو الاساس الأول لقاعدتها .

والأدب الاسلامي ينبغى ان يشتمل على عنصر الالتزام الديني . . ولا يحيد عنه بحجة الحرية والانطلاق والقانون والنظام . . لأن الدين

الاسـلامي الحنيف رسم طريق الحيـاة. . ووضـح معـالمهـا. . وحـدد مناهجهـا التى يجب ان لانحيد عنها. . اوتبعد عن مدلولاتها بأية صورة من الصـور. . ولابـد للكاتب والأديب ان يقف موقفا صلبا قويا تجاه هذه القضيـة الجـوهـريـة. . وهـذا يقتضى ان يكون الكاتب أو الأديب مزودا بالمبـادىء الـدينيـة والثافة الاسلامية الأصيلة. . وتعاليم الاسلام حافظاً لكتـاب الله علما وعمـلا . . سلوكـا وتطبيقـا. . ملما بأصـول العقيـدة الاسـلاميـة وقضـايـاهـا. . وان تكون دعوته مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يحث عليه الدين من مكارم الأخلاق. . ويدعو الى العفة والطهارة. . والسمو بالنفس الانسانية. . وان تكون دعوته وثيقة الصلة بالحق والعدل والمساواة بين أبناء البشر.

كما ينبغى على الكاتب أو الأديب أن يكون ملتزماً بالجانب الخلقي . . فلا يدعـو الى تفـريق الأمـة أو الشحناء والتنافر. . ولايدعو الى النزعات العنصـريـة الجـاهليـة. . وعليـه أن يكـون داعيـة وحـدة وأخـوة وترابط وتعاون. . ولايحيد عن هذا الطريق. . ويقف موقف الجد الصارم. . في وجـه كل من تسـول له نفسـه محاولـة الدعوة الى هدم بناء الأمة وأخلاقها وادابهـا. . وأن يكـون الأديب أو الكـاتب واضـح السمـة الاسـلامية. . مرتبطاً بالعقيدة. . معبرا عنها. . ولسانا لحالها. . وان يكون حريصا فيما يقـرأ ويكتب. . ولايقـدم للقراء من آداب الأمم الأخرى الا ماكان متفقا مع أصـول الـدين وأخـلاقـه . . ولايسخـر قلمـه لأى أدب يحرض على الانحـراف . . والسقـوط في الخلق. . أو الـدعوة الى الفوضى. . ويبعد عن أبناء الاسلام أخطار الدعوة الى الانحراف والضلال. .

والأمـة الاسـلاميـة جعلهـا الله سبحـانه أمة واحدة . . وربطها بأوثق الـروابـط . . وجعـل ربـاط الـدين اقـوى وأمتن من رباط الدم . . فأخوة الاسـلام أوثق العـرى . . ولهذا يجب على الكاتب ان يرعى هذه القضية رعـايـة كاملة . . وان يحافظ عليها . . فالمسلمون اخوة في الله . . تربطهم روابط الدين والعقيدة . . وان اختلفت اجناسهم . . وتعددت الوانهم . . ومـوقف الأدب الاسـلامي ان يعمق هذه الرابطة . . ويشد من أزرها . . ويجب على الأدب الاسـلامي ان يسخـر المصطلحـات الأجنبيـة . . ولا يستلهم الأسـماء والمسميـات الغـربيـة الا في خدمـة الفكـرة . . والأمـة الاسـلاميـة لها مقـومـاتهـا الأصيلة الـراسخـة . . فلاينبغي ان نتبنى ماتمخضت عنـه عقـول مريضـة وتجعـل امتنـا تمارس التجـارب الفـاشلة وتكون النتيجة ضياع المجتمع .

وقـد عمـدت هذه الاتجـاهـات الاجتـماعيـة والفكرية الى الادب . . فاتخـذت منـه سلاحـا تنـاضل به عن نفسها . . ومثالا تصوغ على غراره ابناءها ومؤيديها . . واعتمد اصحاب هذه النظريات على الأدب في نشر مبادئهم . . والترويج لمذاهبهم . . والكلمة لها سحرها الذى لا يقاوم . . والأدب له قدرتـه الكبـيرة في غزو النفـوس . . والتأثـير على العقـول . . وصياغة الوجدانات . . وتوجيه السلوك .

والاسلام منذ اربعة عشر قرنا . . وقبل هؤلاء . . اعتمد على الكلمة في ايصال الدعوة الى القلوب . . وغرسها في النفوس . . ومعجزة الرسول ﴿ﷺ﴾ كانت معجـزة بيـانيـة . . وقـد اسلم جهـابذة الشرك من العرب بفضل القرآن الكريم . . وقدرته الفذة على تليين القلوب القاسية .

وكان من ثمرة هذه التيارات الاجتماعية . . والمذاهب الفكرية . . ظهور طائفة من المذاهب الأدبية . . ذات الأصول والقواعد المقررة . . وهذه التيارات الاجتماعية والفكرية الى الادب . . فاتخذت منه سلاحاً تناضل به عن نفسها . . ومثالا تصوغ على غراره ابناءها ومؤيديها . . واعتمد اصحاب هذه النظريات على الأدب في نشر مبادئهم . . والترويج لمذاهبهم . . والكلمة لها سحرها الذى لا يقاوم . . والأدب له قدرته الكبيرة في غزو النفوس . . والتأثير على العقول . . وصياغة الوجدانات . . وتوجيه السلوك .

والاسلام منذ اربعة عشر قرنا . . وقبل هؤلاء . . اعتمد على الكلمة في ايصال الدعوة الى القلوب . . وغرسها فى النفوس . . ومعجزة اتلرسول ﴿ﷺ﴾ كانت معجزة بيانية . . وقد اسلم جهابذة الشرك من العرب بفضل القرآن الكريم . . وقدرته الفذة على تليين القلوب القاسية .

وكان من ثمرة هذه التيارات الاجتماعية . . والمذاهب الفكرية . . ظهور طائفة من المذاهب الأدبية . . ذات الأصول والقواعد المقررة . . وهذه التيارات الاجتماعية . . والاتجاهات الفكرية انبثقت جميعها عن نظرة اصحابها الى الانسان والحياة . . فدعاة الرأسمالية . . وأغلب زعماء الاتجاهات الفكرية في أوروبا الغربية وأمريكا يدينون بفردية الانسان . وحريته التى تمتد الى حد الحاق الأذى بالآخرين وظلمهم والحيف عليهم . . ويطلقون للانسان العنان دون حرج ولا اثم ولاضوابط . . ويتيحون له استغلال الاخرين وظلمهم والبطش بهم . . ويفتحون له

أبـواب الابتـزاز الفـاحش الـذى يفسـد العلاقة بين الناس . . وينشرون العداوة والبغضاء . . كما يبيحون له ان يسلك في حياته الشخصية سلوكا فرديـا لاضـوابـط لها ولاقيم ولا أخـلاقيـات . . والاشـتراكيـون يدينـون بجماعية الفرد، وانه جزء صغير ذائب في دولاب كبير . . ومن حق الجماعة ان تفـرض سلطـانهـا على الأفراد بحيث تحدد لكل منهم عمله ورزقه . . وتفـرض عليـه افكاره وطريقة نظرته الى الحياة . . وهذه النظرة الى الحياة والانسان خاطئة جائرة ظالمة .

الأدب الاسـلامي واضح المعالم والسمات والغايات . . يعبر عن نظرته الى الانسـان والحيـاة . . ويـوضـح العقيـدة . . ويحـدد موقفـه من الدنيا والآخـرة . ، . ويتخـذ الـوسيلة الشريفة لنشر الدعوة في ارجاء الأرض . . ويـوازن بين الـروح والمـادة . . ويعـبر عن خير الـدنيا والآخرة . . يشحذ النفـوس والعزائم بالفضائل والقيم والكمالات . . ويفعم القلوب ويغذى العقـول بالفكر الهادف . . والتوجيه الخير . . والرأى السديد . . ويوضح معالم الحياة بما فيها من روعة وجمال ونقاء . .

نحن بحـاجـة الى ادب اسلامي . . يعبر تعبيرا هادفا عن واقع الحياة والانسان . . ينبع من التصور الاسلامي . . ولا يجافي القيم الاسلامية . . ومـوضـوع الأدب الاسـلامي رحب الآفـاق . . متعـدد الجـوانب . . فهو يشمـل الانسـان بعـواطفـه واحساسه . . وآماله وآلامه . . ويشمل الحياة بكـل مافيهـا من سعـادة وشقـاء ومقـومـات وقيم . . وليس مقصورا على التعبـدات ولكنـه يشمـل التعـامليات . . وله هدف وغاية . . ويدعو الى ترسيـخ الايـمان والعقيدة . . وتعميق القيم والأخلاق الفاضلة في النفوس

وتهـذيب كوامن الـذات الانسـانيـة للتـوجيـه نحـو الخير والجمال والسمو والالتزام بخصائص الأمة الاسلامية.

والأدب الاسـلامي مرشـدا عظيـما في معـركـة الايمان.. ولم يكن ادبا عاديـا.. يقتصـر على جمال الكلمـة.. وحلاوة اللفظ.. ولكن فيه من الخصـائص والمقـومـات مايجعله قويـا متناسقا متكاملا.. ينطلق وينهض ليكـون ادب العقيـدة والايـمان.. الـذي يرشـد الفرد والأمة.. ويضبط الشعـور والكلمـة.. يلتـزم الطـريق الواضح.. وينهج النهج القويم.. لايضيع في المتاهات.. ولا يهبط الى التفاهات فالايمان خطه ومنهجه.. ويعيش الـواقـع والحقيقة والحياة والأحداث.. بعد ان صنع الحضارة.. وصاغ الحياة.. وشيد التاريخ..

ان الأدب الاسـلامي ملتـزم بالتعبـير عن التجربة الشعورية.. التى تعتبر عملية فردية تتولد فى اعماق الأديب.. فإذا كانت التجربة الشعورية مفهـومـة في الاسـلام.. ومهتمـة بقضـايـاه.. فان الأدب يسمى أدبـا ملتـزمـاً.. وبهـذا المفهـوم فان الأدب الاسـلامي الملتـزم يقف فى الجهـة المضادة للأدب الذى يدعو الى الاباحية والفساد.. الذى يؤكد على كل ماهو حسى ومادي وثقيل.. يلتزم بالمطرقة الحديدية.. والمنجل الفولاذي..

وبعـد ذلـك تأتى قضية الأصالة والمعاصرة.. التى تقتضى ان يعيش المفكـر المسلم عصـره في جوانب تقـدمـة.. في موافقة تامة لقيم الاسلام وأصـولـه ومبـادئـه.. ومعنى ذلـك ان يعيش المفكـر المسلم عصـره بهذه الاصـالـة.. فيعـرف مقتضيـات عصـره ويأخـذ منها.. ويعرف مفاسد

عصـره فيقـومهـا بأصـالتـه والفكـر الاسلامي اصالة ومعاصرة . . موافقة للكتـاب والسنـة ومعـايشة للعصر بتلك الموافقة . . فهو يعطى العصر من مفـاهيم الاسـلام بالبـذل والعطـاء . . ويـواجـه اهـواء العصـر ومفاسده بالاصلاح والتوجيه . .

ترى هل يستعيـد الأدب الاسـلامى مكـانتـه وأصـالتـه والتـزامـه واستقـلاليتـه؟ بحيث يعي الأديب او الكـاتب الاسـلامي ذاته «ويؤدي دوره» ويشعـر بالمسئـوليـة الملقاة على كاهله . . فيقدر خطورة الكلمة . . وشرفها وسموها وقيمتها . .

بدأ الأدب العربى نهضته فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى وكان اساس هذه النهضة الرجوع الى الأساليب العربية فى عصور إزدهارها وعلى هذا الأساس بدأ الشعراء والكتاب يتخلصون من قيود الصناعة اللفظية التى سادت الاساليب العربية على امتداد القرون الخمسة او الستة التى سبقت هذه النهضة ولم تكن أساليب اللغة العربية فى عصور إزدهارها غريبة على القراء فقد كان بين أيديهم وتحت أنظارهم ولكن الاتجاه العام ولى وجهه شطر العصور التركية بدلا من العصور العربية الزاهرة ولذلك فحين بدأت نهضة الشعر ونهضة الكتابة وجدت اقبالا وترحيبا من القراء وكان هؤلاء القراء المتذوقون على امتداد العالم العربى كله .

أى ان النهضة كان لها جمهورها الذى يساندها ويعضد مسيرتها هكذا كانت الأمور حتى نهاية الثلث الاول من القرن العشرين . . وكانت هذه الفترة الزمنية من الطول بحيث كثر الشعراء والكتاب فى العالم العربى وتطورت اساليب جديدة رصينة للشعر والكتابة اى ان النهضة باختصار إزدهرت وبدأت تؤتى أكلها . . غير ان اتصال العالم العربى بالعالم الخارجى ازداد توثقا وتشعبا وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . . فبعد ان كان الأدب العربى لا يتأثر إلا بالأدبين الانجليزى والفرنسى فى

فترات معينة من تاريخهم «وبخاصة الفترة الكلاسيكية والرومانتيكية» بدأ الأدب العـربى يتصـل بآداب العـالم المتقـدم على اختـلاف إتجاهاته . . وتنوع فلسفاته . . غير أن هذه الاتجاهات وهذه الفلسفات كانت جديدة على القارىء العربى . . فلم تجد هذه الاتجاهات الجديدة الجمهور الذى يؤيـدهـا . . ويعضد مسيرتها كما وجدت الاتجاهات نحو العصور الأدبية الزاهرة . . ومن هنا بدأت الهوة تتسع بين القراء والادباء . . وبعد ان كان المنفلوطى والـرافعى . . والمـازنى . . والبشـرى . . بل والعقاد وطه حسين يجدون قراءهم على مستوى الجماهير العريضة فى العالم العربى . . لم يجد كتـاب ما بعـد الحـرب العالمية الثانية الا فئة من القراء اتاحت لها ظروفها الثقـافيـة ان تطلع على هذه الاتجاهات او تلك وتعد نفسها لذلك بقراءة الاتجاهات الجديدة فى الكتابة . . ولكن هذه الفئة من القراء على تعددها لا تمثل الجماهير العريضة من القراء فى العالم العربى ومثل هذا يمكن ان يقـال عن الشعـر . فبعـد ان كان كل قارىء عربى قادرا على ان يقـرأ ويتـذوق شعـر البـارودى وحافظ وشوقى والنجفي والشابى وغيرهـم . . لم يعد لشعرائنا بعد الحرب العالمية الثانية الا مثل تلك الفئة من القراء التى اشـرنـا اليهـا بصـدد الحـديث عن الكتاب وبالاضافة الى تلك الهوة بين القراء والادباء كانت هناك هوة لا تقل اتساعا بين الادباء والنقاد والسبب فى ذلـك ان الفـريقين اقتديا باوروبا فى محاولتهما التجديدة غير ان الوضع بالنسبـة لهما كان مختلفـا . . فقد كان الخطب بالنسبة للنقاد يسيرا هينا . .

ذلك انهم يقرأون الاتجاهات النقدية الاوروبية فيحولونها الى نقد نظرى عربى دون تغيير أو تبديل وحتى بالنسبة للنقد العلمى فقد كان يتخذ من

ذلك النقد الأوروبى الأصل أساسا له . . ولهذا لاحق النقد العربى النقد الأوروبى فى أكثر إتجاهاته حداثة . . اما بالنسبة للادب فالامر فيه ليس بهذه السهولة . . فالادب مرتبط باللغة . . والبيئة . . وتقاليد التعبير واساليبه التى حفظها التراث .

ولذلك لم يكن فى وسع الادباء شعراء كتابا ان يسيروا فى مجال التجديد بسرعة الخطوات التى سارها النقاد ومن هنا كانت الهوة بين النقد والادب . . تلك الهوة التى لا تقل اتساعا عن تلك الهوة الاخرى التى اشرنا اليها بين القراء والادباء . . فى ضوء هذا نستطيع ان نقول ان الادب العربى يتعرض لازمة جدت على نهضته بعد الحرب العالمية الثانية وان سبب هذه النهضة هو زيادة الصلات بينه وبين الاداب العالمية واتساعها وتشعبها مع الفروق الهائلة فى مختلف المجالات التى تفصل بين الادب العربى وهذه الآداب .

وماذا عن النقـــد

بدأت الاساليب العربية بعد نهضتها الحديثة فى التغير وازدياد هذا التغير بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية كما قلت . . ولابد للادب من حركة نقدية تواكبه غير ان النقد بعد الحرب العالمية الثانية سار بخطوات بالغة السرعة كما سبق ان اشرت وقد ادى ذلك الى انفصال الحركة النقدية على الاقل فى جانبها النظرى عن الحركة الادبية . . بل ان الجانب العلمى من الحركة النقدية كما قلت وهو الجانب الذى ينبغى ان يواكب الادب خطوة بخطوة استوحى ذلك الجانب النظرى المنبث عن

الحركة الادبية ومن هنا نشأت ازمة فى علاقة النقد بالادب واصبح النقد يتكلم بلغة لا يفهم الادباء الا قليلا منهم ما ترمى اليه . . وجدت على الادب مقاييس نقدية لا عهد له بها من قبل وبذلك اصبح النقد نظريا فى اكثره منفصلا عن الادب فى تطوره . . تلك هى ازمة النقد . . فانت تجد قدرا اكبر من النقد النظرى فى الكتب والمجلات والصحف . . ولكنك لاتجد الا قليلا من النقد العلمى المرتبط بالنص تفسيرا وتقييما . . وهى كما ترى ليست ازمة قلة وانما ازمة اتجاه .

وماذا عن الشعر ! ! !

ان ما أصاب الحركة الشعرية جاء فى رأي من ناحيتين . . الناحية الاولى . . تلك الأزمة التى يمر بها الشعر فى كل أنحاء العالم فقد أدى التقدم العلمى والتكنولوجى والمادى الى ازدياد نبض الحياة اليومية وسرعة ايقاعها بحيث لم يعد فى حياة الفرد مستماً للجلوس فترة هادئة يخلد فيها الى الاستمتاع بقصيدة شعرية طويلة كتلك التى كان يكتبها شعراء الجيل الماضى ومن هنا كان على الشعراء فى العالم كله ان يواجهوا هذه الظروف الجديدة وان يوائم بين حياته وبينها . . فيتخير لنفسه موضوعات جديدة مما يهم القارىء الحديث ويتناولها بطريقة جديدة تتفق ومزاجه المتنقل وان تكون معالجته لها مركزة وسريعة لا تستغرق من وقت القارىء الحديث الا لحظات وكان على الشعر العربى ان يستجيب بهذه الظروف كما استجاب لها غيره . . فبدأ يتحول ويتغير ويلائم بين طبيعته وطبيعة الظروف الجديدة . . ومن شأن ذلك ان يستغرق وقتا ليس بالقصير وهو لا

يزال يمر بمرحلة الانفعال هذه . . اما الناحية الثانية فهى ان الشعراء العرب ظنوا ان فى القصيدة العربية العروضية قيودا على التعبير . . وحدا من حرية الشعر فبدأوا يجربون انماطا جديدة من الوزن وظنوا ان فى هذا حلا لكل مشاكل الشعر فأقبلوا على هذا التجديد فى الوزن بكل اهتمامهم حتى اصبحت قضية الشعر الحر هى القضية الشعرية الاولى التى تشغل الاذهان وفى رأي ان ذلك قد صرف الشعراء والنقاد على السواء عن قضايا شعرية ليست اقل اهمية من قضية الوزن . . وربما تتمثل نهضة الشعر الحقيقية فى تلك القضايا التى انصرف عنها الشعراء والنقاد ومن ذلك على سبيل المثل قضية ثقافة الشاعر . . وطبيعة التجربة الشعرية . . وقضية العلاقة بين الشعر والقضايا الاجتماعية الى غير ذلك من القضايا التى تعد بحق مكمن ازمة الشعر العربى .

مستقبل الادب العربى!

ان مستقبل الادب بصفة عامة يرتبط ارتباطا وثيقا بقضية تأصيل الثقافة بالوطن العربى . . وقد يصطدم سمع القارىء . . وصف الثقافة العربية الحديثة . . بعدم الاصالة . . ولكن الحقيقة ان الثقافة العربية الحديثة فى حاجة ماسة الى تأصيل ولننظر الى ذلك القدر الذى يتاح للفتى العربى من الثقافة فى مرحلة التعليم العالى فالمقررات التى يتلقاها - الدارس - فى هذه المرحلة نوعان . . النوع الأول مقررات عربية اسلامية . . وهذه لاتمس من التراث العربى الاسلامى الا ظاهرة . . فهي مكتوبة باقلام حديثة ليس فيها من نصوص اصيلة الا آيات من القرآن الكريم . . وعددا من احاديث الرسول الكريم صلى الله عليه

وسلم. . ثم مجموعة من القصائد والرسائل لا تمثل التراث الادبى تمثيلا صادقا بذلك يكتفى الدارس فى هذه المرحلة بحفظ هذه النصوص دون الوصول الى كنهها اومضمونها. . ثم ان ـ الدارس ـ يتلقى شروح هذه النصوص فى اطاره القديم فلا تتناول هذه النصوص امامه متصلة بحياة اسلافه التى كانت تختلف كثيرا عن حياته. . ومن هنا يتلقى هذه النصوص جميعا تلقيا تاريخيا لا معاصرة فيه. . فهى لا تختلف فى نفسه عن الكتاب الذى يضعه فى مكتبته.

وأما المجموعة الثانية من المقررات فهى تلك العلوم الحديثة التى هى اساسا من نتاج الفكر الاوروبى وهذه العلوم ايضا تعرض امام ـ الدارس ـ فى اطارها الاوروبى ومرتبطة بالحياة الاوروبية التى تختلف كثيرا عن حياتنا. . فهويتلقاها على أساس انها نتاج نظرى لفكر اجنبي بعيد عنه. . وبذلك يبقى هذان الجانبان من جانبى ثقافة الدارس العربى لايمان من نفسه الأسطحة ولا يضربان بجذورعميقة فيها ومن هنا كانت الحاجة الاولى التأصيل كما قلت. .

ان الانسان العربى نتيجة لهذه السطحية الثقافية يمربحياته مرور الكرام لا يتعمقها ولا يقف على اسرارها وابعادها. . اننا فى حاجة الى تأصيل ثقافتنا لنخرج انسانا عربيا جديدا يحيا بالقيم ويعيش من اجلها. . ومثل هذا الانسان هو القادرعلى ابداع الادب. . والفكر. . وعلى تذوقها. . فاذا ما ابدع ادبا قيما. . واذا ما تذوق ادبا فانه سيتذوقه تذوقا صحيحا ومعنى ذلك ان تأصييل الثقافة هو الباب الذى يمكن ان تلج منه الامة العربية الى نهضة ادبية واسعة الافاق. .

العصر الذى تعيشه النهضة العلمية . . والحركة الفكرية والادبية والثقافية فى المملكة العربية السعودية هذه الايام . . عصر ذهبى مشرق وضاء . . قل ان يجود الزمان بمثله . . فحضور جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز المفدى الحفل التكريمى لرواد الادب والفكر والثقافة . . وتفضل جلالته بتسليم جوائز التقدير فى الادب للعمالقة الثلاثة . .

الجاسر . . وابن خميس . . والسباعى . . اكبر دليل . . وشاهد عصر . .

على ان جلالته يهتم اهتماما كبيرا برعاية العلم والفكر والادب والثقافة . . ويعمل بكل جهده على دفع عجلة الحضارة والثقافة الى الامام ! !

وهذا ليس غريبا على مليك أسس صرح النهضة العلمية . . وشيد مقومات الحركة الفكرية والادبية والثقافية . . وخطط فى بداية حياته لمسيرة الحضارة ! !

وها هو الآن يعلن للدنيا كلها ان عصر الازدهار العلمى والثقافى والحضارى . . يعود الى العرب والمسلمين من جديد . . وموكب النهضة الثقافية تقوده المملكة العربية السعودية . . بكل تفتح وانطلاق وتفان وتضحية واقتدار ! !

العالم كله يرقب متابعة جلالته لمسيرة العلم والفكر. . وزياراته المتعددة لمراكز الفكر والعلم والمعرفة. . فها هو اليوم يرعى النهضة الادبية. . ويكافىء اعلام الادب. . ويمنح الجوائز. . وبالامس كان يزور ويتابع عن كثب مسيرة العلم والمعرفة فى جامعة الملك سعود بالرياض. . وجامعة البترول والمعادن بالظهران. . والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. . وجامعة الملك عبدالعزيز بمدينة جدة. . وبالامس القريب شرف جلالته وافتتح المؤتمر الطبى الذى اقامه الحرس الوطنى بالرياض!!

زيارات ومتابعات ودفع الى الامام لمسيرة العلم والادب. . وهى فرصة كبيرة لرجال التعليم والأدب وشباب المستقبل. . يجب ان يغتنموها. . ويعملوا من أجل الوصول الى الافضل. . فى عهد الخير والعطاء والازدهار. . الذى لا يوجد له مثيل فى العالم كله!!

والانسان يسعى الى العلم ليكون علمه فى سبيل بناء المجتمع ورقيه وتقدمه فى شتى المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والحضارية. . والعلم الجدير بالبقاء والخلود هو ذلك العلم الذى يهتم ببناء كيان الفرد والاسرة والمجتمع والامة. . ويستمد اصوله ومقوماته ووجوده من المفاهيم الاخلاقية الاصيلة. . والقيم البناءة المثمرة. . ويحافظ على تراث الامة وحضارتها وخصائصها. . فكل شعب له ثقافته الخاصة. . وعلومه الذاتية. . وطابعه المميز التى تشكل آدابه وثقافته وعلومه!!

ولكن موجات العلوم الانسانية الوافدة غزت الاقطار العربية والاسلامية بشكل كبير. . فى ظروف خاصة. . وتحديات خاصة. . فلا

بأس ان يأخـذ العـرب والمسلمون من هذه العلوم الانسانية الوافدة القدر الذى يلائم دينهم وعقيدتهم واخلاقياتهم وعاداتهم . . ما داموهم الاصل والمنبع والمصـدر فى هذا التراث العلمى الضخم الذى قدموه للبشرية فى عصـورهـا المظلمة . . وما يزال هذا التراث حيا نابضا بالحياة والحركة . . وشاهد عيان انه من تراث العرب والمسلمين الاوائل ! !

ولكن اخطـر ما يواجـه الشبـاب العـربى المسلم فى هذه الايـام . . هو مشكلة تلقى العلم فى معـاهـد الغـرب وكليـاتـه وجـامعاته . . والبعثات التعليميـــة فى بلاد الغـرب . . فينبغى ان لا تطغى هذه العلوم فى الغـرب على عقــول الشبــاب العــربى المسلم . . وتـذيب عقيـدتـه واخـلاقـه وشخصيتـه . . وتشككـه فى دينـه وعقيدته ومقوماته الحضارية . ويجب ان تنقيه هذه العلوم من الشوائب والشكوك والافتراءات ضد العروبة والاسلام ! !

والعنـــايـة بالتعليم يجب ان تنصـرف وتتجـه الى اعـداد شبـاب قوى النفس والروح والعقيدة . . يعتز بدينه وامته . ويعمل على احياء الحضارة الاسلامية . . وبعث الفكر الاسلامى من جديد . . وحتى يكون الشباب محافظا على روح المنهج الاسلامى . . وهويتلقى المعرفة الانسانية فى بلاد الغـرب . . يجمـع بين المنفعـة العميقة بالفكر الاسلامى كمنهج وحياة . . مع اخضـاع العلوم الانسـانيـة الغـربية لاسعاد البشرية . . وتحقق العدل والخير للناس جميعا ! !

والثقـافـة كلمة عريقة فى اللغة العربية . . وهى الاثر الباقى بعد زوال العلم . . وهى ثقـل النفس والمنطق والفطـانة . . وهى الدليل والرمز على

الرقى الفكرى والادبى والاجتماعى للفرد والمجتمع والامة . . وهى ليست مجموعة من الافكار . . ولكنها نظرية فى السلوك . . بها يرسم طريقه للحياة . . وتتحدد ملامح الشعوب . . وتتشكل مقوماتها فى العقيدة والقيم واللغة والسلوك والحضارة . . من افكار راقية . . وعادات موروثة . . وتقاليد باقية . . وهى ذخيرة الامة من جيل الى جيل . . ومن عصر الى عصر . . عبر التاريخ الطويل ! !

والثقافة العربية الاسلامية تمتاز عن بقية الثقافات الاخرى . . بانها مصدر حرية الشعوب والامم من الخرافات والوثنيات والعصبيات . . وهى الطريق الوحيد الى ايقاظ الروح الاصيلة . . والوعى والوجدان . . وتحرير العقل والنفس . . كنظام للمجتمع . . ومنهج للحياة . . تجمع بين العقل والقلب . . والجسم والروح . . والدين والعلم . . والمادة والمعنى . . والشكل والمضمون . . والجوهر والمظهر . . والدنيا والآخرة ! !

والثقافة العربية الإسلامية تقوم على مفهوم التحرر من الوثنية . . وعبودية الانسان . . وتحرير العقل والارادة . . والتكامل بما يحقق الشمولية والاحاطة بمنهج الحياة . . والشعور بالكرامة الانسانية والاخوة البشرية . . ووحدة الجنس والاحساس والشعور بمعنى الحياة . . ومسيرة الزمن ! !

وامتازت الثقافة العربية الاسلامية بالقدرة على التعايش والبقاء مع كل العصور والبيئات والمجتمعات . . دون ان تفقد خصائصها الاصيلة . . ومميزاتها الثابتة . . واستطاعت ان تصمد فى وجه تقلبات الزمن . . وتصاريف الحياة . . وعوادى الدهر . . وتغييرات البيئة . . وابرز

ما يميزها هو الطابع الاخلاقى . . الذى يقوم على أساس حرية الانسان فى الارادة والاختيار . . وهو اساس المسئولية والجزاء . . والخير والشر . والفضيلة والرذيلة !!

والثقافة العربية الاسلامية . . تؤمن بالانسان خليفة الله فى أرضه . . له حقوق وعليه مسئوليات . . وله دوره فى البذل والعطاء من اجل الجماعة . . بعيدا عن الفردية والانانية . . فى اطار الايثار وانكار الذات . . دون الانتقاص من مكانته كانسان . . له قيمته الانسانية . . كمصدر فى خدمة المجتمع .

والتاريخ العربى الاسلامى احد مقومات الثقافة العربية الاسلامية . . فهو المرآة الواضحة التى سجلت الصفحات المشرقة الخالدة للامة العربية والاسلامية . . ونضالها لنشر الرسالة الخالدة . . فى كافة اصقاع الارض . . وهى قائمة على النمو والحركة فى المصدر والمقومات . .

والتوحيد والتكامل والاخلاقيات . . واستقلال الطابع والتوازن الروحى والمادى . . وارتباط الماضى بالحاضر . . والنظرة العقلية المؤمنة الملتزمة . . والجمع بين الدنيا والآخرة . . والحرية المسئولة والقدرة على التطور والتصحيح . . ومن ابرز مقوماتها الطابع الانسانى . . ومفهوم التقدم والتطور والتوسط فى كافة شئون الحياة وأمورها !!

ولكن اخطر ما يواجه الثقافة العربية والاسلامية اليوم . . هو محاولة انتزاع الثقافة من جذروها . . وفصلها عن ماضيها . . وتذويبها فى بوتقة الثقافات الوافدة . . باثارة الشبهات حول الماضى . . وطعن مقوماتها . .

وتـوجيه الحملات المسمومة الى التراث المشرق الاصيل . . والادعاء بان الثقافة انسانية وعالمية . . ومعنى هذه الدعوة الكاذبة . . ان تنصهر الثقافة العربية الاسلامية فى بوتقة الثقافة الغربية الوثنية المادية الدخيلة!!

والادب العربى الاسلامى له خصائص تميزه عن بقية الآداب العالمية الاخـرى . . شرقيـة كانت أم غربية . . وهذه الخصائص والمقومات ترجع الى البيئـة التى نشأ فيهـا . . والفكر الذى تشكل فى اطاره . . التحديات التى واجهتـه فى طريق مسـيرتـه الطـويلة . . وقـد نشأ الادب العـربى الاسلامى فى الجزيرة العربية قبل قرون طويلة سبقت رسالة الاسلام . . وصـاغتـه مقـومـات دعوة التوحيد الاولى . . ودون شك فان الاسلام هو الذى اعطى العرب كيانهم الاجتماعى . . والقرآن الكريم هو الذى صاغ لهم منهج الادب العربى الاسلامى!!

والادب العـربى الاسـلامى استمـد اصـولـه ومقـومـاتـه من القـرآن الكـريم . . والحـديث الشـريف . . وتـراث السلف الصالح . . ومبادىء الاسـلام . . والقيم العـربية الاصيلة . . التى اتحدت وانصهرت مع قيم ومفاهيم الاسلام . .

والقـرآن الكـريم هو الـذى شكـل احـد مقـومـات الادب العـربى الاسـلامى . . واداتـه اللغـة العـربيـة . . ويقـوم هذا الفكر على اساس التـوحيـد الخـالص والمفهـوم القـائم على اسـاس ان كل نفس لها ما كسبت . . والانسـان مستخلف فى الارض . . ولـه طبيعتـه الجـامعـة بين الـروح والجسـد . . والعقـل والقلب . . ولـه رغبـاتـه المـاديـة واشـواقـه الـروحيـة . . ولـه ارادته ومسئوليته . فمقومات الادب العربى الاسلامى

هى . . الاصالة والصدق والالتزام بالمسؤولية والحرية الملتزمة . . واثبات القيم الفردية والاجتماعية والتوحيد والفطرة وتكامل المعرفة . . وارتباط العروبة بالاسلام والطابع الانساني!

وقد واجه الادبى العربى الاسلامى كثيرا من الحملات والنظريات الوافدة لاقتلاعه عن جذوره . . بدعوى عدم مواكبته لروح العصر . . ولكنه تصدى وانتصر . . وكتب له البقاء والاستمرارية . . لانه يعتمد على قاعدة التوحيد الاسلامية منطلقا له!!!

ومن هنا فان جيل الرواد من الادباء والمفكرين . . والادباء الشبان . . عليهم مسئولية ازدهار الحركة الادبية . . والنهضة الفكرية والثقافية فى بلادنا . . وذلك يتأتى بتوضيح والاقتراب من الثقافة العربية الاسلامية الاصيلة . . التى تذخر بتراث غنى فى العلوم والافكار والمعارف . . والاخذ من الثقافات الجديدة المستوردة بحذر ودقة . . وبما يتناسب وبيئتنا وعقيدتنا واخلاقياتنا وتراثنا وطابعنا الاسلامى . . وعاداتنا وتقاليدنا الموروثة . . وان نستمد من الثقافة العربية والتراث اللغوى البلاغى وان نستجيب لواقع التطور فى هذا التراث الحى . . ونستفيد من دراسات الغرب بالقدر الذى يمكن من رؤية التطور المعاصر رؤية تاريخية . . وقراءة التاريخ قراءة عصرية!!

والادباء والنقاد الشبان عليهم مسئولية التجديد فى الصياغة اللغوية للادب ابداعا ودرسا . . والاهتمام بالاسلوب البلاغى . . بحيث يكون خاليا من اضطراب المفاهيم . . واختلاط الحدود . . والمدخل الصحيح لمعرفة الاسلوب هو اللغة الادبية . . التى تهتم باستعمالات الكلمة فى

صورها المختلفة فى العصر الواحد . . فاللغة نظام متعارف عليه من الرموز التى يتفاهم بها الناس!!

وبعد الاسلوب تأتى الافكار والموضوعات والمضمون الذى ينبغى ان يكون نابعا من حياة المجتمع . . معبرا عن آمال الناس وتطلعاتهم ومشكلاتهم . . وبعد ذلك يأتى الهدف من الادب فى خدمة المجتمع وترقيته وتقدمه وتطوره . . والالتصاق بالارض والبيئة وقضايا الشعب!!

ومن هنا يأتى ادراك الكتاب والادباء والمفكرين لهذه النهضة العلمية والادبية والفكرية والثقافية الى تعيشها المملكة فى عهد جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله . . عملا وانتاجا . . مسئولية والتزاما . . منهجا وتطبيقا . . حتى يكون هذا العصر الذى نعيشه هو عصر الازدهار الحضارى فعلا وحقيقة!!

الأسبوع الثقافى اليمنى

لقد كان الاسبوع الثقافى اليمنى الأول الذى أقيم فى المملكة ظاهرة ثقافية وحضارية عززت الدور العربى واوجدت المزيد من التقارب والتلاحم بين الشعبين الشقيقين. لان الفكر والثقافة لهما دور بارز فى دفع مسيرة التعاون والتآخى الى الامام.

وأهداف الأسبوع الثقافى اليمنى كثيرة ومتنوعه.. فنحن نعرف القوة والمتانة للعلاقة السعودية اليمنية.. وهذا الاسبوع يأتى فى المقام الأول ترسيخا للعلاقة بين الشعبين وتطويرا للاتصالات بين الحكومتين والشعبين ومن شأنه ان يزيد تعريف الاخوة ابناء المملكة العربية السعودية بالثقافة والفنون اليمنية.

والمملكة العربية السعودية.. والجمهورية العربية اليمنية تستطيعان معا بالتقارب والتلاحم ان تعمقا الفكر العربى وترسخا الثقافة العربية وتدعما الادب والفن العربى.. ويمكن لهما بالتعاون والتلاحم أيضا ان تدفعا عجلة المسيرة العربية والتضامن العربى نحو تكامل ثقافى ونحو وحدة فكرية ونحو نهضة ادبية شاملة.

لان المملكة تملك التراث الروحى الخالد.. وماضيها مشرق بالحضارة العربية الأصيلة والثقافة العربية الحقة والفكر العربى الخلاق.. وهى التى كانت مشعل نور وهداية وعلم ومعرفة وادب وفكر

وثقافة وحضارة للعالم أجمع ولا تزال حتى اليوم أسواق عكاظ والمجنة وذى المجاز شاهد حق على تطور الحياة الثقافية وعلى ازدهار الحياة الادبية والفكرية والحضارية فى المملكة وفضلها على الحضارة العربية والاسلامية والانسانية جمعاء لا ينكر وهى اليوم تعيش نهضة ادبية وثقافية وفكرية شاملة على كافة الاصعدة وتعتبر منطقة جذب حضارية بالنسبة للادباء والمفكرين والمثقفين فى العالم العربى والامة الاسلامية والعالم اجمع على حد سواء

وكذلك اليمن السعيد له ماض ثقافى مشرق وحضارة عربية شامخة وقد ازدهرت الحضارة العربية فى اليمن السعيد فى شتى المجالات فى التجارة والصناعة والزراعة فشيدت السدود وقامت ناطحات السحاب فى صنعاء ومأرب وبراقن وناعط وظفار وغيرها من المدن اليمنية وقد استجاب اليمنيون للدعوة الاسلامية فى بداية الاسلام وحملوا راية الفتوحات الاسلامية التي إنتشرت فى أرجاء الأرض وكان لهم حضور متميز فى كل المجالات فمنهم عبدالرحمن بن خلدون مؤسس علم الاجتماع الشهير ومنهم القادة الافزاز مثل عبد الرحمن الفاقتى ونجد ان الاسلام صنع لليمن حياة جديدة كما صنع للامة الاسلامية ولكن اليمن بشكل خاص وجدت منه المنطلق الواسع .

ان اللقاء الثقافى بين المملكة العربية السعودية ارض الرسالة ومنطلق الدعوة ومصدر النور والهداية ومنزل القرآن الكريم ومهبط الوحى واصل الحضارة الاسلامية والعربية وبين اليمن صاحب الحضارة العربية العريقة التى اكتسبها بدخول الاسلام هذا آللقاء الثقافى مثمر وبناء . لأنه يؤكد

عمق الروابط بين الثقافتين ويدعم الصلاة بين الحضارتين ويرسخ الوجود الثقـافى العـربى على طريق الوحدة الثقافية الشاملة وعلى درب التكامل الفكرى والحضارى للامة العربية الاسلامية .

والاسبـوع الثقـافى اليمنى كان بلا شك علامة بارزة على نمو وازدهار العـلاقـات بين القيـادتـين وبـين الشعبـين الشقيقـين وان تاريخهـما واحد واصلهـما واحـد وهدفهما واحد مصيرهما واحد وحضارتهما واحدة وحبذا لو تكررت التجربة على مدار العام فنجد الاسبوع الثقافى اليمنى فى المملكة ونجـد الاسبـوع الثقافى السعودى فى اليمن والامل كبير ان تطبق التجربة على مستـوى البـلاد العـربيـة والـدول الاسلامية من اجل بناء التضامن الاسلامى والوحدة الثقافية .

يـوم الـوفـاء

الحمـد لله الـذى خلق الأنسان وعلمه البيان، فعبر عن مكنون نفسه بأفصح لسان والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، أفصح العرب لسانا، وأشرفهم منطقا وبيانا.

فإن بلادنـا ـ بعـون الله وفضله ـ تتـابع المسيرة فى طريق الخير والرخاء بخطـوات واسعـة . . فلم تترك بابـا من أبـواب العلم والحضـارة الا طرقتـه . . ولاطـريقـا الى الـرخـاء والتقدم الا سلكته، ولا قمة من قمم الآداب والمعرفة الا اعتلتها وتسلقت الى ذروتها، وأخذت مجلسها بأعلى سنامها.

ولمـا كان الأدب هو السمـة البـارزة والعـلامـة الـواضحـة لرقي الأمـة وحضـارتهـا وهـو مظهـر من مظاهر الأصالة فى أرقى صورها، تنعكس فيه تجاربهـا ونشـاطـاتهـا، وتظهر به فنونها وحضارتها، وهو مرآة صافية تعكس على صفحتها رقة المشاعر وصفاء النفوس بل هو الوعاء الذى تسكب فيه الأمة مظاهر نشاطها وأنماط حياتها بمافى ذلك كله من خير أو شر.

أقول : لما كان الأدب بهذه المكانة السامية كان لابد أن يأخذ جانبا من اهتـمام قائـد مسيرتنا، ورائد عشيرتنا، وكبير أسرتنا، وزعيم أمتنا جلالة الملك المفدى فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين كما يطيب له أن

يوصف وأن يتــوج بهذا الشـرف العظيم فأفســح جلالتــه المجـال للأدب والأدبـاء، وأطلق العنـان للفصحـاء والبلغـاء، فانتشرت فى مدن المملكة نوادى الأدب، واحتضنت شبابنا حتى لايضيع وقتهم فى اللهو والطرب. وصدرت التعليمات السامية بتشجيع المواهب، وافساح المجال للجميع، فشجعت جهــات الادارة الكتــاب والمؤلفــين، واحتضنت ملفــاتهم، وسـرعـان ماظهـرت المـواهب المـدفـونة، ولمعت الدرر المكنونة، وصالت الأقـلام صولتهـا، وجـالت جولتهـا، حتى أصبـح بيننـا هؤلاء الاقداد العبـاقـرة، الذين أجادوا وأفادوا فى شتى فنون الأدب. . فكانوا جديرين بهذا التكـريم السـامى العظيم، الذى شارك فيه جمعنا الكريم الذى أتى من قاصى البــلاد ودانيهـا، لنشـارك فى الاحتفـال بهم، وتكـريمهم مع جلالـة المليـك المفـدى، الـذى أمر بمنح جائزة فى الأدب تكريما وتشريفا للأدب والأدباء.

وهـذا ـ لعمـرى ـ فخر يضاف الى سجل أعماله العظيمة، وخطوة من خطواته الحكيمة الرشيدة، ولبنة تدعم صرح أمتنا الناهضة، وسوف يذكر له التاريخ هذا الاحتفاء والتكريم للأدب والأدباء، ويدونه على صفحاته بحروف من نور.

فان الأدب العــربى فى القـديم والحـديث هو خير عنـوان لهذه الأمـة وأعظم دليـل على عراقتهـا وأصالتها، لأن الأدب بجميع فنونه والوانه هو خلاصة للتجارب والنشاطات التى تعطى صورة صادقة عن حياتنا وتحدد بوضـوح وجـلاء هويتنـا، حيث يصوغها الأديب فى كلمات تشد الانتباه، وتجـذب المشـاعـر وتترسب احداثها فى الوجدان، وترسو فى الأحاسيس،

فتكـون هى العـامل الأساسى المؤثر فى بناء شخصية الانسان، من حيث يدرى أو من حيث لا يدرى.

من هنـا كانت أهميـة الـدور الـذى يؤديه الأدب فى حياة الناس، لأن فنـون الأدب هى المثـل الحقيقى الذى يقود الفرد طوعا أوكرها على اتخاذ سلوك معين.

ولا أكـون مبـالغـا اذا قلت بأن الأدب هو الذى يوضح للناس أسلوب الحيـاة، ويشكـلْ نماذج البشـر. لذا كانت الحيـاة الأدبية فى أى عصر من العصـور هى المظهـر الحقيقى والمؤثر الفعال فى سلوك المجتمع واذا رجعنا بالتـاريـخ الى العصـور الجاهلية لوجدنا أن الأدب بجميع أشكاله وفنونه كان المثـل الأعلى وكـانت الكلمـة هى المعيـار الـدقيق لتحـديـد فئـات الناس.. فبينما كانت الكلمة تعلى من قدر صاحبها شعرا كانت أو نثرا أو غير ذلك كانت الكلمة أيضا تهوى به الى غور سحيق فيه ضياعه وهلاكه.

كانت الكلمـة تدفـع الى الـوفـاء، وكـانت أيضا تثير نار الحرب، كما كانت تدفـع الى السـلام وتهـدى خواطـرهم. وهذا خير مثال على مدى تأثير الكاتب أو الأديب فى أفراد المجتمع ومن هنا نضع أيدينا على عظم مكانة الكاتب متى أدركنا دوره الفعال فى بناء الناس وتوجيه سلوكياتهم فى الحياة.

نعم ان مسئوليـة الأديب فى الحيـاة عظيمـة جدا.. فهـو مسئول أمام نفســه أولا فيحـاسبهـا عن جودة العمـل الـذى تقـدمـه للنـاس ومـدى استفــادتهم منــه.. فليس من الأدب مايكتب للتسليـة وشغـل الفـراغ

وتضييــع الـوقت يجب أن يفهم الأديب أنـه وحـدة مدرسـة توجـه سلوك العديد من أفراد الناس فعليه أن يحاسب نفسه. كم أجاد وكم أفاد.

فان الأدب العــربى فى القـديم والحـديث هوخير عنـوان لهذه الأمـة وأعظم دليـل على عراقتهـا وأصالتها، لأن الأدب بجميع فنونه والوانه هو خلاصة للتجارب والنشاطات التى تعطى صورة صادقة عن حياتنا وتحدد بوضـوح وجـلاء هويتنـا، حيث يصوغها الأديب فى كلمات تشد الانتباه، وتجـذب المشـاعـر وتترسب احداثها فى الوجدان، وترسوفى الأحاسيس، فتكـون هى العـامل الأساسى المؤثرفى بناء شخصية الانسان، من حيث يدرى أومن حيث لايدرى.

يجب أن يراعى أمانة الكلمة ويحفظ لها قدسيتها ولايلقى بالكلام على عواهنـه.. دون مراجعـة وتمحيص ودون أن يسأل نفسـه عن الأثر المرجو وتحقيق الفـائـدة للقارىء.. والظروف المحيطة بالمجتمع الذى يشارك فى بنائه.. لكى يصل بأبنائه ومعهم الى حياة أفضل وايجاد مناخ مناسب.

كما أن الأديب مسئـول عن فنـه.. هل حقق فيـه التجديد والابداع؟ هل ضمن لأسلوبـه طريق النجـاح؟ هل حقق لما يكتب البقـاء والخلود؟ هل أيقن من قرائـه الاقبـال والقبول؟ هل حقق لنفسه الثقافة والمعرفة.. وابداع الفكرة؟ وحسن الاطلاع؟ هل أصبح ملما فى ثقافته بالقديم والحديث؟

هل أدرك الأديب أن مداومــة الاطـلاع أمـر ضروري.. وفيـه حيـاة لقلمه.. وعلو لشأنه؟ وفيه دفع لمقدرته على الابتكار والتجديد والابداع.

هل أدرك الأديب أنـه مسئـول أمـام مجتمعـه وهل قدم له مايفيد؟ هل أخذ بيد أفراد المجتمع وقادهم الى دروب الاصلاح . . واعطاهم البلسم والـتر يـاق الشـافى من كل افسـاد وضـلال وخلاصة القول : ان مسئولية الأديب تنبـع من دور الأدب نفسـه . . ومـدى أهميـة الأدب فى تحديـد سلوكيات الحياة .

على الأديب أن يدرك أن مجتمعه ينشد تحقيق الرفاهية والرخاء والتقدم وعليه بالتالى أن يشكل أدبه بما يحقق ذلك كله .
وعليـه أن يلتـزم بالاطـار الخلقي لمجتمعـه الـذى يعيش فيـه وان مجتمعنا والحمـد لله مجتمـع اسـلامى فعلى الكـاتب الأديب أن يستمد أفكاره من مبادىء الاسلام السمحة والا يخرج عن اطار تعاليمه وأخلاقياته .

هذا بعض مانرى أن يلتزم به الأديب .
أما مانراه بالنسبة للأدب نفسه فهوبلورة نظرية للتجارب العلمية التى يخوضهـا الأديب نفسـه أو الـذى يحكيه من تجارب الآخرين التى يعايشها بعـد أن ينقلهـا الى نماذج الأدب المعروفة والوانه المألوفة . . على أن هناك نوعـا من الأدب يعتمـد فى موضـوعه على الخيال السابح الذى يشطح فيه الأديب بفكرة بعيدا عن واقع الحياة لكى يخفف به الأديب من اعباء الحياة على النـاس ويـزيـح عنهـا عناء الواقع . . ولكنه لايؤثر فى نفس الانسان العـادى بل أنـه قد يبعث علي الملل لأن العقل البشرى لايستطيع متابعة معانيه أوتحليل مراميه أويحل رموزه الا أنه فى بعض الأحيان يكون صدى لواقع الحياة . . وظلالها . . مع بعض الأفكار الخيالية .

وأود أن أضيف بأن للنشأة التى يحياها الكاتب أثرا ملحوظا فى أدبه وبالتالى فإنه يطبع هذا الأثر فى نفوس قارئيه والمتأثرين بأدبه خصوصا اذا كان يتوخى الصدق فى التعبير عن مشاعره وأحاسيسه وينقل للناس انطباعه عن الواقعة التى يكتب فيها بأمانة دون زيف أو تزويق أو النزوع لاتجاه معين. أو الميل لخدمة هدف محدد دون توخى الصدق فيما يقول . ونستطيع أن نحكم على مثل هذا الأديب بأنه غير صادق. . وغير مقدر للمسئولية وبالتالى فإنه يفقد كثيرا من مقومات النجاح ولايستطيع الاستمرار فى الاطار الذى يخدمه اذ سرعان مايخونه يراعه ويظهر فى كتابته التخبط والتضارب فى الفكر والمعارضة فى الاتجاهات. . فلا يقبل انسان أن يقرأ لفاسق وهو يتحدث عن الايمان والورع. . أو لمستهتر بالمثل والآداب التى يجب مراعاتها وهو كافر بالمبادىء والقيم بعيد كل البعد عن المثل والأخلاق الكريمة وكما قلت مهما حاول مثل هذا الكاتب أن يخدع الناس فلابد أن تطفو على السطح معايبه. يقول الشاعر:

ومهما يكن عند امرىء من خليقة

وان خالها تخفى على الناس تعلم

ويقول آخر :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوى والطبيب مريض

وعلى أقل تقدير اذا خفيت معايبه وانطلى على الناس زيفه فإن أدبه سيكون ضعيفا هزيلا لأنه بعيد عن الواقع. ويخلو من القوة التى تتوخى

الدفاع عن الحق ويناقض طبعه ماينطق به لسانه ويسطره قلمه.

الأدب قبل أن يكون كلاما مكتوبا فهو أدب تربية وأخلاق وفى تقديرى أن تسميته أدبا لها من هذا الجانب نصيب كبير.. وهوفى اللغة بعدة معان منها الدعوة الى الطعام فالداعى آدِبْوموضع تناول الطعام مأدبه وجميع هذه الأعمال لها آدابها فهي جديرة بأن يشتق اسمها من الأدب وجاء فى الشعر من اطلاقهم كلمة الأدب على الذى يدعو الى وليمه قول القائل :

نحن فى الحفلات ندعو الجفلا

لاترى الآدِبْ فينا ينتقر

ومعنى (الجفلا) جعل الدعوة الى مأدبة الطعام عامة ومعنى (ينتقر) أي يخص بالدعوة فريقا من الناس دون فريق آخر.

اذن فالأدب سلوك سوى وفطرة سليمة وخلق قويم قبل أن يكون صنعه واحترافا ثم على من توفرت فيه المواهب التى تؤهله لأن يكون أديبا عليه أن ينميها بالثقافة والاطلاع ومتابعة كل جديد فى الفكر والثقافة.

وقبل أن اتى على ختام حديثى احذر الأديب من تبنى فكرة لايؤمن بمضمونها أو الجرى وراء هدف لايبغى الوصول اليه بل يجهد نفسه ارضاء لغيره أولمعالجة داء هومريض به.. وعلى الأديب البارع أن يرسم بقلمه كل مايعايشه ويحسه وينقل الى الناس نبضات قلوب المجتمع ليشعر كل قارىء بأن الأديب يخاطبه أويتحدث عنه أو يحكى حالته

ويصف المرض الذى يعانيه كل ذلك من مقومات النجاح وماعداه يؤدى الى هاويـة الفشـل والسقـوط . . وكثيرا ماعاصرنا كتابا كانت لهم نزعات ورغبات على النقيض من التزامهم الفكرى فجاء أدبهم هزيلا وخاليا من الصـدق وبعيـدا عن الـواقـع فكـانت النتيجة اننا لم نشاهدهم بعد ذلك يزاحمون الأدباء بل أراحوا واستراحوا .

قرأت فى جريدة «الجزيرة» العدد رقم ٣٤٧٥ الصادر يوم الأربعاء ١٤٠٢/٥/١٥ قصيدة للدكتور غازى القصيبى بعنوان «تباريح البئر القديمة» . . فذكرنى بقصائد مشابهة قرأتها لشعراء العصر الحديث من أدباء الشام والعراق . .

وهو ينحو فيها منحى رمزيا . . ولا أقول أنه من أدباء المدرسة الرمزية . . فهذه المدرسة ظهرت فى فرنسا على أثر المذهب الرومانسى متأثرة بفلسفة الحرية . . يعبر فيها الشاعر عن تجاربه الخاصة التي يعيها بوجدانه ولا يستطيع تعبيره الواعي أن يعبر عنها بلغة تحتفظ بالمعاني المعجمية للألفاظ ، فيحاول الشاعر أن ينقلك الى جوه النفسي وفكرته الذاتية بعذوبة اللغة والخيال المجنح . . فتصبح اللغة كالموسيقى تؤثر فى السامع وتنقله الى جوها ، مع غياب الوعي والادراك الرياضي للكلمات .

وقد كتب الأدباء العرب قصائد فى هذا الاتجاه لم ينجح منها الا القليل . . وكان من أوائل روادها الدكتور بشر فارس فى قصيدته التى يقول فيها :

لو كنت واضحة الجبين

ماكان تخطئني العبارة

غير أن الأدباء العرب قد أفادوا من هذا المنحي بالبعد عن التعبير المباشر الذى هو من خصائص المدارس الأدبية القديمة . . فلجأوا الى الرمز . . وليس ذلك بالرمز الغامض الذى لايفهم . . بل لايدرك . انما هو رمز شفاف ينم عن المعاني والمواقف . . ويمتع لأنه أسلوب فى التعبير غير مباشر ولا مكرور . . ومن نماذج هذا الرمز الشفاف مانجده عند السياب والبياتي . . ونازك الملائكة .

واقرأ معي ـ اذا شئت قصيدة المطر لبدر شاكر السياب ـ لترى مصداق ذلك . . فقد كان المطر ولايزال رمزا لكل معاني الخير والعطاء . . والحياة المتجددة :

فى كل حبة من المطر . .

حمراء أو صفراء من أجنة الزهر فإلامَ ترمز البئر القديمة عند غازى القصيبى؟ انها مرتبطة بالقوافل وصهيل الخيول . وضرب القنا وبغام الظباء . . والنخلة المثقلة بالرطب . . والسمر والسهر والحداء، والرغاء والأراك والخزامى وعباءة راكان، وابتسامة مزنه . واصطفاق الدلال . . وومض الفناجين والحصان الأصيل والقصائد والطرائد . . ونفهم من هذا الارتباط انها رمز للأصالة القديمة التي كانت سائدة فى الصحراء العربية . . ونفهم أكثر من ذلك انها رمز للحياة البدوية التي يدعو الشاعر الى التمسك بما فيها من قيم ومثل . . وما أظنه يريد التمسك بها والعودة الى الحياة البدوية نفسها . . وان كانت (الامشاج) التي ذكرها من دلائل الأصالة العربية كالفناجين والدلال وعباءة راكان تدل علي التمسك بالحياة البدوية نفسها . .

واذا كان «القصيبى» يريـد هذا المعنى . . فان لنـا معـه وقفـة منـاقشة فاليقظـة العـربيـة الحقـة ليست بالعـودة الى الصحراء، لأن من بدا فقد جفـا . . وهـذا من المأثـور دينيا. فاليقظة العربية تتمثل فى تمسك العربي بجذوره وحضارته الأصيلة ولاتتمثل في عباءة راكان . .

هذا من حيث المضمـون . . امـا من حيث الشكـل فإن هذه القصيدة من شعـــر التفعيلة الـــذى تتلون فيـه القـوافى وتتفـاوت الأبيـات فى عدد التفعيـلات للدلالـة على تماوج المشاعر والمعاني فى قلب الشاعر وفكره . . غير أن صاحبنـا مازال يرسف فى العبـارة التقليـديـة التي تعبر عن المعاني بأسلوب مباشر كما فى قوله . .

فلاتنكرونى ليوم الملاله . .

وليل من الغصة النابغية . .

بل أن بعض العبــارات لتأتي استجـابـة للنظم . . ولاتعـبر عن المـوقف بأصالة كما فى قوله .

تعالوا تعالوا

رجـــال العـــرب

هنا خيمة ظلها من ذهب

فتكـرار تعـالـوا هنـا نداء مبـاشـر صاخب . . أمـا الخيمة ذات الظل الـذهبي . . فانهـا أصلح للصــاغـة منها للشعراء . . وقد نجدها فى خيال الأطفال فى سن الرابعة . .

وهناك بعض المآخذ اللغوية والعروضية على القصيدة . . منها قوله . .

وراء خريف من الرمل والجدب والصمت قارس .

فوصف الخـــريف بأنــه قارس وصف غير موفق . . لأن الـذى يوصف بأنه قارس هو الشتاء . . والخريف فى اللغة العربية هو الوقت الذى تخزن فيـه الفـواكه . . أى تقطف وهومن أجمل الأوقات عند العرب لهذه الحيثية المذكورة . . وتجد مثل ذلك في قول القصيبي هذا :

كما تتلاشي البدور الأوافل . .

فاوافل جمع أفلة وليست جمع آفل والبدر آفل وليس آفله . . اما فوارس التي هي جمع فارس فهي من سماعي اللغـة ولايقـاس عليها . . أما الخطأ العروضي ففي قوله . .

يجيىء

ذات صياح بهيج بهي يجيء . .

فالقصيـدة كلهـا من تفعيـلات المتقارب وهي فعولن ومايخرج منها وان كلمة (ذات) تحتاج الى حركة فى أولها حتي يستقيم الوزن . . والأحسن له لو قال . .

وذات صبـاح بهيـج بهى يجي . . وهنـاك قوله «ياسنين الجفاف» و «الا أحـد» ولا أعـدهما خطأ فان لكل منهما مايؤيده من اللغة . . ولكنهما جاءا على خلاف الأولى . . ولا أريــد أن أظلم الشـاعـر القصيبى . . فان في قصيدته بعض الأشطار والأبيات الموفقة كقوله :

وتنأى المطايا واخلو لدمعي

فيا من رأى قبل دمع الركايا

واخلو لدمعي وأين رفاقي القدامي
رفاق الترحل بين الاراك . . وعبر الخزامي . .

واذا كان شعر الدكتور غازى القصيبى المنظوم بهذه الطريقة كله على هذه الوتيره . . وبهذا المستوى فإنه لايستطيع أن يقف الى جانب عمالقة الشعر الحديث من أمثال السياب . . ونازك . . والفيانى . . وفدوى طوفان . .

ولعلى بهذه المقالة قد أجبت عن الأسئلة التي وجهت الي من بعض الأدباء والشعراء فى ليلة الثلاثاء بدار الطيب عن رأيى في شعر غازى القصيبى . . وليعذرني الشاعر مقبل العيسى الذى لم يتفق رأيه مع رأيى فى شأن هذا الشاعر وشعره . فقد أراد السيد أمين عطاس أن يخرجني بانتزاع هذا الرأى كعادته يطلب الرأى ولا يعطيه . . فقلت يومها رأيى بصراحة بوجود العديد من الأدباء أذكر منهم الأستاذ السيد أمين مدني والأستاذ عبد العزيز الرفاعي والأستاذ عبدالله عبد الجبار والسيد على فدعق والأستاذ أمين العبد الله والدكتور اياد مدنى والدكتور عصام خوقير والأستاذ عبد الله مناع والاستاذ أحمد عبد الغفور عطار والأستاذ حسين سراج وغيرهم ولا أنسى الأستاذ عبد الله أبو السمح الذى له رأى مع تبسيط اللغة العربية .

ووجدت الآن فرصة لمناقشة هذه القصيدة وهي القصيدة الأولى التى قرأتها للشاعر غازى القصيبى . . لأن شعره السابق فيه عذوبة المعاني ورقة الطرافة . . وأرجو لشاعرنا كل تقدم وعسى أن تقرأ له الجديد والمعتد فى عالم الشعر .

ربـاعيات الفـقى فى محكمـة الشعـر !

نقـرأ يوميـا فى صحيفـة المـدينـة المنـورة بعض الرباعيات التى ينشرها الاستـاذ الشـاعـر محمـد حسن فقى . . ولم نر من يحاول ان يقـول فى هذه الـربـاعيـات قولا . . فوجـدت ان على واجبـا فى الحـديث . . عن فن الرباعيات . . ومكان شاعرنا المحبوب فى هذا الفن الجديد بالمحبة والتقدير .

ولابـد لى قبـل الخـوض فى هذا المـوضـوع من مقـارنـة ما بين الشعـر العربى . . والشعر الفارسى الذى ظهر فيه فن الرباعيات اول ما ظهر . . لقد كان الشاعر العربى بدويا فطريا حقق لشعره جمالا وروعة بفطريته . . واستمر الشعر العربى بعد الجاهلية يمنح من هذه الفطرية جمالا ذا طعم ولون خاصين به . . واسمع معى قول الشاعر العذرى :

لقـد نبـتـت فى الـقـلب منـك محبـة
كما نبـتـت فى الـراحـتـين الاصـابـع

لترى ان الشعـر لم يكن جميـلا بفكـرتـه العميقـة . . وانـما كان جميـلا بفطريته الصادقة .

ومضى شعراء الطبع من العرب ينسجون على هذا المنوال . . واسمع معى قول البحترى :

لم يكن يوما طويلا بنعمان
ولكن كان البكاء طويلا

فان جمال البيت لم يأت من معناه . . لأننا اذا اعتصرناه يخرج منه ان وقوف الشاعر فى نعمان كان قصيرا وبكاءه كان طويلا . . وليس هذا من المعانى النادرة العميقة . . ولكنه جميل بفطريته وترقرق العاطفة بين حروفه .

وظهر فى الشعر العربى فن البديع الذى حاول ان يكون مرمى الشاعر فيه بعيدا من حيث التفكير . والتعبير . والتصوير . . واليك الشاهد فى ذلك فى قول مسلم بن الوليد :

يقضى على مهج فى يوم ذى رهج
كانه أجل يسعى الى أمل

ان البيت ـ كما ترى ـ جميل . . ولكن جماله ليس فى فطريته . . وانما جاء جماله من الصنعة التى فيه . . ومن التعقيد الفنى الذى ظهرت بوادره فى موسيقى البيت ومعناه . . وفى تلك الصورة الغريبة حيث يشبه البطل الممدوح بالموت ساعيا لادراك امله . . ولابد له من ادراكه . . لأن الموت خصم لا يعاند . .

وبعد هذه المقدمة فانى اتساءل متى ظهر الشعر الفارسى ؟

لقد ظهر فى العصر العباسى . وتأثر بمذهب البديع . . وما فيه من تعقيد فى الصنعة . . وابعاد التفكير والتعبير والتصوير . . فكان الشاعر الفارسى الاول انسانا مثقفا ، جمال كلامه آت من ثقافته وقوة ابداعه

الفنى . . فظهر فى الشعر الفارسى فن الرباعيات التى هى خواطر شعرية تعبر عن تجربة ذهنية . . شعورية فكانت الرباعيات اثرا فنيا مختصرا يختصر تلك التجربة الذهنية ـ الشعورية . . واليك مثالا على ذلك من رباعيات الخيام بترجمة الصافى النجفى ـ رحمة الله عليه :

قد خاطب السمك الاوز بقوله
سيعود ماء النهر فاصف هناء
فأجاب ان تصبح شواء فلتك
الدنيا سرابا بعدنا أو ماء

وقد التزم الشعراء الفرس الناطقون فى فن الرباعيات ان يكون نظمهم من بحر الدوبيت ـ وهذه تفعيلاته . . «فعلن متفاعلن فعولن فعلن» وفى رأى قيل انه مستخرج من دائرة البحر الوافر وهو البحر العروضى . . المعروف . . وتتكون الرباعية عادة من اربعة اشطار يكون الشطر الاخير فيها ذا خرجه او قافية موفقة يمكن ان تنمو ذروة فنيه .

فما موقف شاعرنا المبدع الاستاذ محمد حسن فقى من هذه الاصول التى عرضناها؟ .

انه ـ فيما اعتقد ـ لايعرف اللغة الفارسية . . ولم يطلع على الرباعيات الفارسية فى لغتها الاصلية . . وانما اطلع عليها مترجمة الى العربية بأساليب مختلفة . . ويبدو انه سمع بالشاعر السورى محمد عالى الحمراء . . المعروف باسم «على دمر» الذى يعمل حاليا فى المنطقة الشرقية . . ورأى بعض رباعياته فحاول ان ينسج على منوالها . . لأنا نراه يسير على فهم لفن الرباعيات يشبه فن ـ على دمر ـ .

ونحـاكم الآن بعض انتـاجه بالنظر الى تلك الاصول . . فنأخذ مثالا عرضيـا ـ لا على التعيـين ـ ونمـد ايـدينـا الى احـد اعداد جريدة المدينة فنأخذ قوله :

رب نصر يصبو له الرجل الحر

فينسل من يديه انسلالا

قد يكون النصر المبين لكل الناس

نوالا وقد يكون وبالا

ان فى قوسة الهزيمة فى الواقع

مرا ما يستفز الرجالا

كانت الحرب فى الورى منذ ان

كانوا سجالا وماتزال مجالا

فالقطعـة من حيث فن الشعـر موفقة . . ولكنها ليست موفقة من حيث فن الشعـر فى الـربـاعيـات . . فهى ليست فكـرة كبيرة وعميقة يختصرها الشاعر فى اربعة ابيات . . ولا نلاحظ فى تلك الابيات تلك الذروة الفنية التى نجدها فى شعر الرباعيات وانما هى ابيات من شعره العادى المتوسط وما اظن ان احدا من الشعراء يحسده على تشبيه النصر بشىء ينسل من اليـدين انسـلالا . . ان النصـر لافخم واعظم من ان يشبـه بهذا المنسـل الضعيف . . بل نرى فى اسلوبها اللفظى ارسال الكلام على عواهنه ليعبر بسهـولـة وضعف عن افكار غير نافذة قوية . . وخاصة البيت الثالث ففيه ركـاكـة لايحسـد عليهـا فى قوله : «فى الواقع مرا» وان كلمة الواقع فى هذا الموضع وهذا الاستعمال لمن ابعد الالفاظ عن جو الشعر وموسيقاه .

انى لأرجـو ان يطلع شاعـرنـا الكبير على فن الرباعيات فى لغته التى قيـل اول ماقيـل فيهـا . وينسـج بعـد ذلـك على منوالها اوغير منوالها . . ولكن بعد ان يضيف الى خزانة افكاره وتجربته الفنية رؤ ية الدارس وذوق الشاعر الاديب . . واذا كان لدى شاعرنا المبدع محمد حسن فقى تعريف لفن الرباعيات غير ما ذكرناه فليأتنا به . . حتى نفيد منه . . لان الحكمة ضالـة المؤمن . . يلتقطهـا حيث وجـدها . . ولاننا نرى فى فكرنا المعاصر الكثير ممن يخرجون عن القواعد الاساسية لفنون الشعر والادب ويضعون ذلك فى مصاف التقدم والنهوض .

يقولون . . عندما ينطفىء السراج في مسرح الحياة وينضب الطيب من قارورة العمر . . يشعر ربان السفينة بأن اليد القوية التى تصارع الانواء قد ارتدت ويدرك بأن الجدار الصلب القائم على كتف الاماني قد تشقق . . الأمواج الكثيفة من الغيوم المنتشرة فى الأرجاء تصبح عقبات ندية سرعان ما تتلاشى فى دنيا العدم . . وتجرف في طريقها السراج والقارورة وتنزع في عبقها اليد والجدار.

لو عدنا الى التاريخ - تاريخ اى امة - القريب او البعيد - لوجدنا انه ما من أمة أصيبت بنكبة فى فترة من فترات حياتها إلا وعادت الى نفسها وأصالتها باحثة عن أسبابها عاملة على إزالة هذه الأسباب للتغلب بالتالى على النكبة وتحويلها الى نصر مؤزر . .

وها نحن الآن وبعد مرور سنوات على النكبة الاخيرة التى حاقت بأمتنا فى يونيو ١٩٦٧م والتى مازلنا ترسخ فى اغلالها وتحت وطأتها . . ومازال وطننا الكبير يعانى ما يعاني من فرقة وتفكك وتخلف . . ومازالت مقدساتنا تئن تحت وطأة الغاصب . . ومازلنا نحيا كما لو ان هذه النكبة لم تحق بنا ولا بمقدساتنا وأوطاننا . . نلهوا ونتمتع دون ان نكلف أنفسنا مشقة البحث عن أسباب هذه النكبة لمعرفتها والقضاء عليها.

وعلى الرغم من توالى النذر حاملة معها التحذير الشديد من اننا ما لم

نتـدارك انفسنـا ونصحو من سباتنا ونقف الوقفة التى تقتضيها الرجولة . . ويقتضيها الايمان سنفيق وقد ذهب ريحنا . . وديست كرامتنا وقضى على وجود امتنا وحضارتنا . . ان معركتنا مع عدونا معركة كاملة بفكرها وقيمها وتصوراتها وعقيدتها بالدرجة الاولى . . فاما ان نصمد فى معركة التحدي الصهيونى لوجود امتنا ومقوماتها . . وبذلك نحافظ على كرامتنا ونستعيد ارضنا . . واما ان لا نصمد وعندها تكون الكارثة الكبرى ويكون القضاء المبرم على امتنا ووجودها ومقوماتها ورسالتها .

ولا نستطيـع ان نصمـد فى هذه المعـركة وهذا التحدي الا بالعودة الى اصالتنا وذاتيتنا لنستلهمها ونستمد من معانيها الصافى ما نتمكن بواسطته من تغيـير حاضـر امتنـا البـائس . . وبنـاء المستقبـل المنشود . . المستقبل الزاهر . . وما اجملها تلك الكلمة التى نطق بها ذلك القائد العربى المسلم يوم قال له احد جلسائه مستغربا وجومه . . وشدة عبوسه «تبسمك فى وجه اخيـك صدقـة» فأجـابـه ذلك القائد : وكيف سأقابل ربى غدا . . وبأى وجـه اجيب اذا سألنى كيف تبسمت ودمـاء المسلمين لم تجف ومقدساتهم مهـانـة . . وهل استطيع ان اتبسم والمسجد الاقصى بيد الصليبيين ودماء الآلاف من المسلمين لم تجف بعد .

هذه هى الـرجـولـة النادرة الصادقة التى تمكنت من تغيير النفوس . . نفـوس الـرعيـة . . وهيأت المنـاخ الطيب للقضاء على أسباب النكبة . . وكان بعد ذلك ما كان من التغلب على التحدى الصليبى . . واستعادت بيت المقدس على يد صلاح الدين رحمه الله .

لقد كان لاخلاق الاسلام الفضل الاول فى انتصارات المسلمين التى

حررت الشمال الافريقى بأسره . . وامتدت الى شبه جزيرة ايبريا «اسبانيا والبرتغال» . . وصبغتها بالحضارة الاسلامية طوال ثمانية قرون . . هذا فى الجبهة الغربية . . اما فى الجبهة الشرقية فقد انتصر المسلمون فى معارك تاريخية خالدة واقتحموا العراق وفارس وارمينيا واذربيجان وسجستان وكابل وخراسان والسند ولم تمض ثمانون سنة منذ بدء الجهاد فى سبيل الله حتى كان المسلمون يرفعون راية الاسلام على رقعة تمتد من السند وبحر الهند شرقا الى بحر الظلمات غربا .

فتح المسلمون هذا العالم حين كانوا يجاهدون فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله منفذين تعاليمه على أنفسهم قبل غيرهم . . ولم يكتب لهم النصر فى معركة من المعارك الا حين كانوا يتحلون بالصفات الاسلامية . . والاخلاق التى علمهم اياها القرآن الكريم وورثوها عن الرسول صلى الله عليه وسلم . . وما خسر المسلمون معركة الا ببعدهم عن اخلاق الاسلام .

وخير مثال على انتصارهم بالاخلاق الاسلامية ومجاهدة النفوس والتغلب على الاهواء ما حدث فى معركة اليرموك حين قدم خالد رضى الله عنه الشام مددا لجيوش المسلمين التى كانت مشتبكة فى معركة ضارية مع الروم على ضفة اليرموك . . ويومها وجدهم يقاتلون الروم متفرقين . . كل أمير على جيش . . فخطب فيهم قائلا : ان هذا ليوم من أيام الله . . لا ينبغى فيه الفخر ولا البغي . . فاخلصوا لله جهادكم . . وتوجهوا له بعملكم . . فان هذا يوم له ما بعده . . فلا تقاتلوا قوما وانتم على تساند وانتشار فان هذا لا يحل ولا ينبغي . . وان من وراءكم ـ يعنى

امـير المؤمنـين ـ لويعلم عملكم حال بينكم وبـين هذا . . فاعملوا فيما لم تؤمـروا به بالـذى هو انـه الرأى . . قال . . ان الذى انتم عليه اشد على المسلمـين مما غشيتهم . . وانفـع للمشـركين من اندادهم ولقد علمت ان الـدنيـا فرقت بينكم . . فهلمـوا فلنتعاور الامارة فليكن علينا بعضنا اليوم وبعضنا غدا والاخر بعد غد حتى يتأمر كلكم . . ودعونى اليوم عليكم . . قالوا . . نعم . . فأمروه وكان الفتح على يديه يومها .

فلو لم تكن نفوس هؤلاء الابطال مؤمنة صادقة فى ايمانها مروضة على الايثـار والتضحيـة ونكـران الـذات لما وافقـوا خالـدا على توحيـد القيادة ولاصـر كل واحـد منهم على ان يكـون هو القائد . . ولما كسب المسلمون الـيرمـوك التى حققت نصـرا للاسـلام . . وخالد البطل الذى قاد معركة اليرموك وانتصر فيها وحقق للاسلام عزا ومجدا هو نفسه الذى انتصر على هواه ونفسـه حين وردت اوامـر الخليفـة الثانى عمر بن الخطاب بعزله عن قيـادة الجيـوش وتسليمهـا لابي عبيـدة بن الجـراح . . فلقد تغلبت روحه الجهادية على وساوس النفس ورضي وهو فى أوج مجده ان يكون جنديا فى جيش المسلمين . . وكل الذى قاله يومذاك : انى لا أحارب من أجل عمر انما احارب فى سبيل الله .

ولا مجال هنـا للمقـارنـة بين الخلق الجهـادي الاسـلامي وبين اخلاق القسـوة والـوحشيـة والبطش للابـريـاء فى تعـاليم ـ الاسفـار ـ والتلمود ـ فاخـلاق الفـروسيـة والشهامة التى فرضتها تعاليم الاسلام وطبقها عمليا صحـابـة رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وخلفـاؤه من بعده هى التى جعلت من بيت المقدس ارضا اسلامية خالدة خلود الاسلام . . الاسلام

الذى يحمل عناصر بقائه وخلوده وانتشاره . . هذه العناصر هى :
١ـ انه جاء للناس كافة ابيضهم واسودهم . . واحمرهم واصفرهم .
٢ـ انه يحمل أسس العدالة الحقة الصحيحة وهى المساواة «الناس سواسية كاسنان المشط» . . والمسؤولية الفردية «كل امرىء بما كسب رهين» وقيام الحكم على الشورى . . «وامرهم شورى بينهم» . . هذه الأسس التى انفرد بها الاسلام وبتطبيقها ولأول مرة فى تاريخ الانسانية .
٣ـ قدرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على توحيد العرب بالاسلام بعد أن كانوا قبائل متفرقة متناحرة ضعيفة تعبد الأصنام . . وتقدس الفردية والعنصرية والانانية .

لقد غرس عليه الصلاة والسلام فى نفوسهم مبادىء الحياة المثلى ومثلها الرفيعة . . ونظامها الانسانى فى السلم والحرب . . وجردها عن التعصب الممقوت والانانية البشعة . . وروضها على الطاعة الواعية المبصرة وطهرها من الحقد والاستعلاء والظلم والقسوة ورباها على الصبر والمصابرة .

٤ـ انفراد الاسلام من بين اديان البشر فى وضع أسس الجهاد فى سبيل الله والمستضعفين فى الارض . . وليس فى سبيل شعب معين ولا حاكم أو زعيم ولا من اجل اهداف اقتصادية واسواق تجارية ومواد اولية . . على الرغم من محاولة الكثيرين من المستغربين والمستشرقين تفسير ظهور الاسلام بأنه حركة فرضتها ظروف الجزيرة العربية الاقتصادية . . متناسين ان الحضارة التى عمت ارجاء الكرة الارضية من الاندلس غربا الى الصين شرقا وما نتج عن هذه الحضارة من خير وعمران وثراء ورفاهية

ظلت جميعها وقفا على البلاد التى عمرها المسلمون ولم تنتقل بشكل فعال الى الجزيرة العربية مهد الاسلام ووطن العرب الاول.

٥ـ ان الاسلام قد انتصر بالمجاهدين الذين انخرطوا جميعا فى كتائب الاسلام الاولى التى سادت شرقا وغربا وشمالا وجنوبا تنشر النور وتبدد الظلمة التى كانت تلف العالم فى ذلك الحين.

٦ـ ان الاسلام الذى آمن به الانسان جاء بنظام للحياة كامل صالح لكل زمان ومكان. . والتشريع الاسلامى دعامة راسخة للعدالة فى العالم. . كما ان العبادات فى الاسلام تدخل فى صميم المجتمع الاسلامى والحضارة الاسلامية وهى ليست طقوسا جامدة بعيدة عن العقل كما يعتقد الملحدون. . وانما هى من أسس وحدة الامة ولا يمكن فصل الاسلام عن أى جانب من جوانب الحياة. .

هذا هو الاسلام الخالد الذى لم تقو خطط الغرب على النيل منه وظل منارة يهتدى بها ونورا يشع على العالم خيرا وبركة وعدة وحرية وعزة وكرامة. . ولقد كانت النكبات والمآسى التى مرت بالعرب والمسلمين مقتصرة على اولئك الذين يتخاذلون وتموت فى نفوسهم النخوة. . ويؤدى الى تفشي روح التنعم والترف والكسل فيهم وفقدان روح الفروسية والفتوة والصبر على المكاره منهم الأمر الذى كان يؤدى الى حدوث هذه المآسى وتلك النكبات. . حتى اذا عادوا الى اخلاقهم. . وتمسكوا بما تمسك به اوائلهم «جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة». . كان النصر وكانت العزة والكرامة. .

نعم. . لقد خسرنا فلسطين. . ومرت علينا فى هذا القرن نكبات

ومآسي متعددة لأننا لم نعتبر بحوادث تاريخنا ولم نعمل على تغيير نمط حياتنا وسلوكنا الامر الذى ادى مرة ثانية الى ضياع بيت المقدس منا . . فلتكن عودة صادقة الى اخلاق الفروسية التى دربنا عليها الاسلام . . الاخلاق التى تدفع بالانسان الى الموت وهو راض ولسان حاله يردد «وعجلت اليك ربى لترضى» وعندها يفرح المؤمنون بنصر الله . .

مأســـــاة !!

المأساة التى تعانيها الامة بالنسبة الى بعض مفكريها أوكتابيها او ادبائها اومدعى ذلك . . هى بعد هؤلاء عن جادة الواقع وعن تقييم الظروف والملابسات المحيطة بقضية ما . . اومشكلة من أى نوع كانت دون معايشتها ومعرفة ظروفها السابقة او المرافقة أو اللاحقة . . هؤلاء ليس لديهم الامانة الفكرية والالتزام بالمسؤولية الادبية . . بل ان كل ما لديهم انهم يطلقون الاحكام جزافا دون احتكام الى العقل . . ويوجهون الاتهامات دون دلائل وينتقدون بدون موضعية .

صفات الأحمـــق . . !!

كتاب الحمقى والمغفلين . . تأليف الامام ابي الفرج بن الجوزي . . قسم فيه صفات الحمق الى قسمين . . القسم الاول من حيث الصورة . . يتناول الشكل . . يقول ان الحكماء اكدوا اذا كان الرأس صغيرا او رديء الشكل دل على رداءة فى هيئة الدماغ . . واذا كان وجهه شديد القلط وفى عينيه بلاده وحركة فهو من ابعد الناس عن الخير . . فان جحظتا فهو وقح مهذار . . ومن صفات الأحمق صغر الاذن . . ولا يعرف من مشية وتردده . . واختلاط كلامه . . وقد روى عن معاوية انه قال

لأصحابه بأي شيء تعرفون الاحمق من غيره . . فقال بعضهم من مشيته ونظره وتردده أما القسم الثاني فيتناول الخصال والافعال . . من ذلك ترك نظره في العواقب . . وثقته بمن لا يعرفه ولا يخبره ومنها انه لا مودة له . . ومنها العجب وكثرة الكلام . . وخلوه من العلم . . والعجلة والخفة . . والجفاء والغرور . . والفجور . . والسفة . . والجهل . . والتواني . . والظلم والضياع والغفلة والسرور . . والخبلاء . . والمكر . . قال بعض الحكماء ان الاحمق يعرف بست خصال . .

- الغضب بدون سبب . .
- والاعطاء فى غير حق . .
- والكلام فى غير منفعة . .
- والثقة بكل أحد . .
- وافشاء السر . .
- ولا يفرق بين عدو وصديق . .

حلم . . وصبر . . !!

● قال عليه الصلاة والسلام «ما يجرع عبد فى الدنيا جرعة احب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم . . أو جرعة مصيبة ردها بصبر» .

مرآة العاقل . . !!

قال المنصور لولده عبدالله المهدي :

لا تبرم امرأ حتى تفكر فيه . . فان فكرة العاقل مرآة تريه حسناته وسيئاته . . واعلم ان الخليفة لا يصلحه الا التقوى . . والسلطان إلا الطاعة . . والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو اقدرهم

على العقوبة وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

جواب . . مسكت . . !!

● روى عن الامـام أبى حنيفـة رضى الله عنه أنه دعى الى ولاية القضاء فقال :

أنا لا أصلح لهذا . .

فقيل له : لم ؟ واتهموه بما يقول . .

فقال رحمه الله : «ان كنت صادقا فما أصلح لها . . وان كنت كاذبا . . فالكاذب لايصلح للقضاء» . .

ضعف التعبـير عنـد الطلاب . . مشكلة قائمة فى الوسط الطلابى بل هي من أبـرز مشكـلاتـه الأسـاسيـة والجـوهرية . . لكون التعبير المقروء والمسمـوع من الـوسائل الهامة فى لغة التعامل والتخاطب . . مع أن أركان المعرفة والابداع من أهم العلوم والفنون والآداب . . وذلك لكون الطلبة والشبـاب من أكثـر قطاعات المجتمع التصاقا بالحياة اليومية والتي تتطلب قدرا ولـو يسـيرا من صحـة التعبـير فضـلا عن قوتـه . . وقد امتدت هذه المشكلة الى كل محاور حيـاة الطلبـة الـدراسيـة والثقـافيـة والأدبية وحتى المحـاور الاقتصـاديـة والاجتـماعيـة . . عاكسة علامات ومظاهر الاحباط والهبوط والانخفاض فى المستوى العلمى . . والبناء الثقافى والأدبى .

● وليست هذه المشكلة خارجـة عن دائـرة النمـو التعليمى والثقـافى بقدر ماهى نتيجـه حتميـه لاسبـاب متعـددة ومـترابطة . . تفعل فعلها الواعي والطبيعى فى هذه المشكلة ومســارهــا وامتـدادهـا . . وقـد تتنـاوب هذه الأسبـاب فى النمـو بين المحـاور البيئية والاجتماعية والأكاديمية . . الا أنها غالبا ما تعمل مجتمعة فى أحداث هذه المشكلة .

● واذا كان رصـد الأسبـاب يتطلب جهـدا للتغلب على المشكلة وحلهـا فان الأسبــاب فى رأيى لاتخـرج عن دائـرة الأسبـاب الفـاعلة فى مشكلة ضعف التعبـير لدى الطـلاب . . والابتعـاد عن المصـادر والمنـاهل الثرية والفيـاضــة بأروع أبيـات التعبـير . . وبكـل مقـومـات سلامـة اللغة . .

والحفاظ عليها . . وفى طليعتها القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . . وخصوصا في فترة التربية المبكرة التى تسبق الدخول الى المدرسة . . مما يجعله عرضة لنشأة لغوية ضعيفة ومضطربة . . هذا الابتعاد فى رأي من أهم أسباب ضعف اللغة عند الطلاب .

● وفى مقدمة أسباب أيضا ضعف اللغة عند الطلاب . . ضعف الاهتمام بتدريس القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والتراث العربى فى المؤسسات الاكاديمية والعلمية والتربوية . . وتدريس اللغة العربية بشكل أحادى غير مرتبط بالنواحى الحياتية الأخرى . يؤدى الى تضييق الخناق على الطلاب فى الوقوف على الترابط الموضوعى والجمالى للجملة والنص . . وبالتالى سد المنافذ أمام محاولات النظر الابداعية التى تكون لدى بعض الطلاب .

● وتدريس اللغة العربية وكأنها درس مماثل لاى درس آخر . يؤدى الى ضعف اللغة لدى الطلاب فهى تدرس على انها مجرد قواعد نحوية صرفة مع عدم ارتباط هذا التدريس بالجانب التطبيقى لعلم النحو . وهذا دون شك يجعل دراسة اللغة عديمة الفائدة . . لأن الطالب يعتقد أنه يدرس لكي يمتحن وينجح فحسب . . وقلة المطالعة والبحث عند الطلاب بسبب الانصراف الى النواحى الثقافية الأخرى كالتليفزيون مثلا فى طليعة الأسباب لضعف اللغة عند الطلاب وكذلك طبيعة العصر وأثرها على اللغة والناس وعدم الاهتمام بالتعبير ينسحب الى المناهج التي يدرسها الطالب .

● وينبغى التفكير فى اللغة الفصحى . . والتعايش اليومى والتواصل

الحى والمتفاعل مع المناهل الأساسية والأولية . . للغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . . ومآثر التراث العربى وتهيئة المناخ اللغوى الصحى لممارسة التعبير فى الكتابة والحوار والنقد والتحليل . . فى المدرسة والجامعة والبيت والشارع .

● ومشكلة ضعف اللغة ليست خاصة بالطلبة وحدهم . . وانما هى جزء من مشكلة عامة تشمل كل فئات المجتمع وقطاعاته الوظيفية . لم ينج منها المهندس والطبيب والموظف . . بل لم ينج منها المذيع والمدرس . . فى كافة المراحل الدراسية منها الجامعة . . فهل نطمع أن ننظر الى اللغة العربية نظرة أخرى . . ؟ أرجو وأمل . . خاصة والمملكة تعيش أزهي عصور الحضارة .

إن الحملة على السنة كانت قديمة وان الذين جددوها من المستشرقين لم يزيدوا عن ان اعادوا ترديد الشبهات القديمة التى رددتها المجوسية والشعوبية ودعاة التأويل والتشبيه . . والمتاجرون بالشبهات والمفتريات من قديم . . وكنت قد وعدت القراء بأن لي عودة لمناقشة هذا الموضوع معتمدا على الكثير من المراجع واراء كبار العلماء . . والفقهاء . .

ان هدف الغزو الفكري وحركة التغريب كما يقول الاستاذ انور الجندى هى هدم مفهوم الاسلام الصحيح الجامع المرابط من القرآن والسنة . . بين القران المنزل . . وبين السنة التى يتمثل فيها التطبيق العملى من حيث عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وبيانه . . وتفصيل لما اجمل وتوضيح ما بلغ . . أو تقييد لمطلق . . أو تخصيص لعام : «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم» .

ولقد تعددت جوانب الشبهات المثارة حول الشريعة وحول سيرة الرسول ﴿ﷺ﴾ . . وحول القرآن . . وقد تولى علماء كثيرون دحض هذه الشبهات . . وكشف زيفها ثم جاءت فى السنوات الاخيرة تلك الدعوى الزائفة التى تحاول ان تقول : «ان القرآن وحده يكفى» وقد دأب قوم فى السنوات الاخيرة الى توجيه الاتهامات الى مصادر السنة ورجالها . .

وقد كتب هذه الاشياء مستشرقون لهم ولاء سياسى . . وولاء دينى معارض ومخالف للاسلام والمسلمين وقد اعتمدوا فى ذلك على خيوط جمعوها من فكر المعتزلة . . وغلاة الشيعة . . وحكايات الادب . . التى كان مؤلفوها موضع الشبهة فى أمرهم وتخريجهم للحقائق . . وكانت أبرز مقالاتهم هى الاعتماد على كتب النوادر والمحاضرات والحكايات التى لم تؤلف لتاريخ الرجال ولم تصنف للتحقيق العلمي والتى جمعت من المجالس وكانت مادة التفكه والتسلية . . وهذه لا يمكن ان تؤخذ منها الادلة والشواهد . . وقد صدق من قال : ان علم الحديث لا يؤخذ من كتب الفقه . . وعلم التفسير لايؤخذ من كتب اللغة . . لأن لكل علم مصادره التى تعرف منها حقائقه وقضاياه . . اما الاعتماد على حياة الحيوان للدميرى . . اوثمار القلوب للثعالبي . . اومقومات بديع الزمان للفصل فى قضايا السنة فذلك هو التزييف الشديد . .

يقول فضيلة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز:

«اجمع العلماء قديما وحديثا على ان الاصول المعتبرة فى اثبات الاحكام . . وبيان الحلال والحرام . . فى كتاب الله العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى . . ثم اجماع علماء الامة . . واختلف العلماء فى اصول اخرى اهمها القياس وجمهور اهل العلم على انه حجة اذا استوفي شروطه المعتبرة . . والادلة على هذه الاصول اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر . .

ويقول فضيلته عن السنة «من الأصول الثلاثة المجمع عليها . .

ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريره . .
ولم يزل اهـل العلم من اصحـاب رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ومن بعـدهم يؤ منـون بهذا الأصل الأصيل ويحتجون به . . ويعلمونه الامة . . وقد ألفوا فى ذلك المؤلفات الكثيرة . . ووضحوا فى كتب أصول الفقه . . والمصطلح والأدلة على ذلك لا تحصى . . فمن ذلك ماجاء فى كتاب الله العـزيـز من الأمـر باتبـاعـه وطـاعتـه حتى تقوم الساعة لانه عليه الصلاة والسـلام هو المفسـر لكتـاب الله . . والمبـين لما أجمـل فيـه بأقـوالـه وأفعاله وتقريره . . ولولا السنة لم يعرف المسلمون عدد ركعات الصلوات وصفاتها ومـا يجب فيهـا . .ولم يعرفوا تفصيل احكام الصيام والزكاة والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . . ولم يعرفوا تفاصيل احكام المعاملات والمحرمات وما اوجب الله بها من حدود وعقوبات . .

ومما ورد فى ذلـك من الآيـات قوله تعالى فى سورة آل عمران «واطيعوا الله والـرسـول لعلكم ترحمـون» وقوله تعالى فى سورة النساء «يا ايها الذين آمنـوا اطيعـوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والـرسـول ان كنتم تؤ منـون بالله وبـاليـوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويـلا» وقـال تعالى فى سورة النساء ايضا «من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا» . .

ان السنـة النبـويـة الشـريفـة هى المصـدر الثـاني للاسلام بعد القرآن باعتبـاره . . عقيدة . . وباعتباره تشريعا . . وباعتباره اخلاقا . . وقد أشار النبى صلى الله عليـه وسلم الى هذا المعنى فى قولـه الشـريف : «الا أني أوتيت القـرآن ومثله معـه» «الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول . .

عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه.. إلا وان ما حرم رسول الله كما حرم الله»..

وقد كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن.. ويعلمه اياها كما يعلمه القرآن.. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين للناس القرآن عقيدة وشريعة واخلاقا، يبين ذلك بسلوكه.. وبقوله.. وباقراراته يقول: «ما تركت شيئا مما امركم الله به الا وقد امرتكم به ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه الا وقد نهيتكم عنه».

الى الاستاذ الصابوني مع التقدير

كنت اراجع فى مختصر تفسير ابن كثير معنى قوله تعالى «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين». فرأيت فضيلة الاستاذ الصابوني ذكر الحديث الاتى:

قال: جاء الاقرع بن حابس التميمى وعيينه بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا فى ناس من الضعفاء من المؤمنين.. فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم فى نفر من اصحابه فأتوه فخلوا به.. وقالوا: انا نريد ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا: فان وفود العرب تأتيك فتستحى ان ترانا العرب مع هذه الأعبد.. فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا.. فاذا نحن فرقنا فاقعد معهم ان شئت.. قال نعم.. قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا.. قال: فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب

ونحن قعود فى ناحية. . فنزل جبريل عليه السلام فقال: «ولا تطرد الذين يدعون ربهم» الأية. فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة من يده. . ثم دعا فأتيناه. . وقال سعد: نزلت هذه الاية فى ستة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود. . قال: كنا نستبق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وندنو منه. . فقالت قريش تدني هؤلاء دوننا فنزلت: «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي».

واقتصر الاستاذ الصابونى على هذا. . ومعلوم ان الاية مكية. . والاقرع وعيينه انما اسلما بعد الهجرة بزمن. . واستغربت ان يترك المحقق هذا دون التعليق عليه. . وعدت الى مقدمته. . فوجدت انه تعهد فيها الاقتصار على الاحاديث الصحيحة وحذف الضعيفة فيتوهم المرء ان كل ما بقي فى المختصر هو صحيح. . فما الجواب على هذا الحديث؟!

وعدت الى تفسير ابن كثير «الاصل» فوجدت ابن كثير رضى الله عنه لم يغفل عن هذا بل قال ما نصه:

«هذا حديث غريب. . فان هذه الآية مكية. . والاقرع بن حابس وعيينه انما أسلما بعد الهجرة بدهر.

فليت الاستاذ الصابونى ترك كلام ابن كثير كما هو ولم يختصره!!

شيء من الذاكرة!!

● قال ابن الجوزى فى صيد المخاطر:

السعيد من اذا حصلت له امرأة مال اليها ومالت اليه وعلم سترها

ودينها ان يعقد الخنصر على صحبتها. ثم ان اكثر دوام محبتها الا يطلق بصره فمتى اطلق او اطمع نفسه فى غيرها.. فان الطمع فى الجديد.. ينغص الخلق.. وينقص المخالطة.. ويستر عيوب الاخرى.. فتميل النفس الى المشاهد الغريب.. ويتكدر العيش مع الحاضر القريب.. كما قال الشاعر:

كل المصائب مبدأها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها
فى اعين الناس موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

● «اميلى براملت» امرأة امريكية تذوقت منذ صباها حرية العقل على الرغم من نشأتها فى دار الكفر والانحلال.. قد توفر لها من الاعتزاز بحرية البحث والنظر ما اعانها على تمزيق الظلمات من «حواجز البيئة والاهل ومكائد التبشير والعجمة والجهل بالاسلام» تعلمت العربية وقرأت القرآن ثم آمنت بالله ورسوله وحجت الى البيت الحرام ثم كتبت قصة اسلامها تحكى فصولا من حياتها في الجاهلية.. ولمحات من بحثها عن الحق وكان ان غدت ـ اميلى ـ ام محمد ـ وكان عنوان القصة «آمنت بربكم فاسمعون».

قالت أسماء

قالت اسماء وهى تودع ابنها عبدالله بن الزبير قبل استشهاده انى ارجو

من الله ان يكـون عزائى فيـك حسنا ان تقدمتنى او تقدمتك . . اخرج يا بنى حتى ارى ما يصير اليه امرك ـ قال عبدالله : جزاك الله يا أمة خيرا فلا تدعي الدعاء قبل وبعد . . فقالت : لا أدعه أبدا لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق . . ثم أردفت . . اللهم ارحم طول ذلـــك القيـام وذلـك النحيب والظمأ فى هواجـر المـدينـة ومكة وبره بأبيه وبي . . اللهم انى قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلني فى عبدالله بن الزبير بثواب فاحتظنتـه لتـودعـه واعتنقهـا ليودعها وكانت قد اضرت فى آخر عمرها . . فوجدته لابسا درعا من حديد فقالت : يا بني : ما هذا لباس من يريد من الشهادة! ! قاله امه . . انما لبسته لاطيب خاطرك واسكن قلبك به فقالت لا يا بني ولكن انـزعـه . . فنزعه وجعلت تذكره بأبيه الزبير وجده ابى بكر الصـديق وجـدتـه صفيـه بنت عبـدالمنطلب وخالته عائشة رضى الله عنها زوج رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وتـرجـوه القدوم عليهم اذ هو قتل شهيـدا ثم خرج من عنـدهـا فكـان ذلـك آخر عهده بها ـ رضى الله عنهما وعن أبيه وابنها . .

قال عطـاء بن ابي ربـاح : كانت عائشـة افقـه النـاس . . وأعلم الناس . . واحسن الناس رأيا فى العامة . .

وقـال عروة . . ما رأيـت احـدا اعـلم بفقـه ولا طب ولا شعـر من عائشة . . ولم ترو امرأة ولا رجل غير ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث بقدر روايتها رضى الله عنها .

وقال ابوموسى الاشعرى . . ما اشكل علينا اصحاب محمد قط فسألنا عائشـة الا وجـدنـا عندها منه علما . . هذا ولم يكن فى النساء بعدها اعلم

من تليمـذاتهـا ـ عمـرة بنت عبـدالرحمن ـ وحفصة بنت سير ين ـ وعائشة بنت طلحة رضي الله عنهن ـ كما ذكر الحافظ بن كثير رحمه الله . .

وفي الختـــام . .

اذا رضـــيــت عنـــى كرام عشـــيرتـــي
فلا زال غضـــبـــان على صـغـــارهـــا

استعرض أهم ما قاله علماء الغرب عن هذه الشريعة الخالدة. . التى هى أساس عزتنا. . وتقدمنا. . وسعادتنا.

جاء فى الكتاب المسمى «شمس العرب تسطع على الغرب» للمؤلفة الالمـانيـة (زيجـريـد هونكـه)ـ في فصـل المعجـزة التى حققهـا العـرب (ص٣٥٣) القول:

«وفى الانـدلس تجتـذب قرطبـة طلاب العلم من كل انحـاء الشـرق والغرب ايضا تجتذبهم بمدارسها العليا. . » ثم جاء فى الصفحة **٣٥٤**.

وبينما كان العالم العربي يسرع نحو قمة عصره الذهبي وقف الغرب مذهولا. . ».

على ان هذه القفزة السـريعـة المـدهشة فى سلم الحضارة التى قفزها ابنـاء الصحـراء لهى ظاهـرة جديـرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الانساني. . وان انـتـصـاراتهم العلميـة المتـلاحقـة جعلت منهم سادة للشعـوب المتحضرة. . وان ما حققه العرب لم تستطع ان تحققه شعوب كثيرة اخرى كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤ هلها لهذا. .

«قد كانت تلك الشعوب وحضاراتها فى خريف العمر ولم يعد بالامكان وقف انهيارها ولو لم يخلق ابناء الصحراء فى زمن وجيز من هذه البقية الباقية من بصيص النـور الـواهن المشرف على نهايته شعلة وضاءة لادركت تلك

الحضارات نهايتها الحتمية».

والقائد نابليون حينما احتل مصر اقتبس كثيرا من الفقه الاسلامي وقدمه للشعب الفرنسى تكملة لتلك الشعلة التى اضاءتها الاندلس قبلا . .

ورد فى (مجلة الازهر) فى الثقافة الاسلامية ١٣٥٨هـ ما نصه قال المؤرخ - ميللر - فى كتابه - فلسفة التاريخ - «ان مدارس العرب فى اسبانيا كانت هى مصادر العلوم وكانوا يهرعون ويتلقون العلوم الطبيعية والرياضية والفسلفة - الميتافيزيقية - اتصل الاوروبيون بالمسلمين بالاندلس اتصالا وثيقا واتخذ علماؤهم فلاسفة المسلمين أساتذة يتعلمون منهم . . ويدرسون عليهم . . فنقلوا أهم المؤلفات العربية الى اللغة اللاتينية . . ومنها مؤلفات - ابن رشد - وكان من أشد ما قام بهذه الحركة - ريمون - الذى كان مطرانا لطليطلة - من سنة ١١٣٠ الى ١١٥٠م - واسس جمعية لنقل الكتب الفلسفية والعربية والعلمية حتى بلغ ما ترجموه (٣٠٠) كتاب كما أحصاها - لكلارك - فى كتابه تاريخ الطب العربى . وكان اكثر ما ترجم كتب - الرازي - وابى القاسم الزهراوى وابن رشد وابن سينا والفارابي .

وأمر لويس الحادى عشر عندما نظم برامج التعليم سنة ١٤٧٣هـ ميلادى بادخال فلسفة ابن رشد ضمن مناهج التدريس . . وظلت هذه الكتب المترجمة فى جامعات أوروبا مدى خمسة قرون . . كما ظلت تدرس فى جامعات فرنسا وايطاليا وعلى الأخص (بولونيا) ابتداء من القرن الثالث عشر . . وأوصى الراهب - روجر بيكون - بدراسة اللغة العربية

وقال: «ان الله يؤتي الحكمة من يشاء ولم يشأ ان يواتيها اللاتين وانما اتاها العرب».

وذكر ـ جيبون ـ فى الفصل ـ ٥٢ ـ من كتابه تاريخ اضمحلال الدولة الرومانية ـ ان مدرسة ـ سالرتون ـ التى نشرت الطب فى ايطاليا كانت من صنع العرب وغرس ايديهم ويقول المؤرخ ـ ودليز ـ الانجليزي في كتابه (ملخص التاريخ) «جاءنا علم اليونان عن طريق العرب لا عن طريق اللاتينية».

وقال ـ رينان ـ ان «البير لجراند» مدين بفلسفته ـ لابن رشد ـ ويقول ـ بند الشود ـ هل بعد العرب يستطيع جيل ان يخط بالقلم على قرطاس.

وخلاصة القول لو اخذنا الاسلام من اى ناحية اردنا وبحثنا لا فيه من الجهة العلمية ثم لاحظنا ما فى الايان التكوينية والتاريخ الطبيعى ثم دققنا كل ما أتي به جملة وتفصيلا فاننا سننتهى الى هذه النتائج:

١ـ يستحيل ان يوجد فى عقائد الاسلام ما يصادم العقل والعلم والفطرة السلمية..

٢ـ تكاد لا تقع حادثة من الحوادث الا وفى كتب الشريعة نص عليه او على مثلها..

٣ـ كل مر بالاسلام انما شرع لجلب المنفعة وكل نهي فيه انما شرع لدرء المفسدة.

٤ـ ان الاسلام لا يعارض التقدم بالصناعات والاكتشافات بل يحث عليها ويندب اليها.. ويؤاخذ المتقاعسين عن مجاراة غيرهم فيها..

٥ـ هذه الاسس الاسلامية تنطق بتأييدها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . .

ويسرني ان اذكر آراء بعض ائمة العلم والقانون فى الشريعة الاسلامية ليعرف القاريء ان الحق لا يعدم نصيرا . . وقد اقتصرت على شهادة الاعلام من غير المسلمين ليكون أوقع فى النفوس.

رأى الأستاذ لأمير الفرنسى . . يؤكد ويقول ان الشريعة الاسلامية فى العصور الوسطى لتاريخ المدنية الاسلامية قد عملت على امداد المدنية المسيحية الحاضرة بقسط وافر من الأحوال العامة . . وانها قامت بجانب المدنية اليونانية والرومانية بتغذية هذه المدنية الحاضرة . .

● رأي ـ الدكتور اتريكر انساباتوـ ان الشريعة تفوق فى كثير من بحوثها الشرائع الاوروبية بل هي تعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتا . .

● رأي الاستاذ فارس الخوري . . ان فى الشريعة المطهرة اربعة الاف مسألة علمية وتشريعية واجتماعية ولم يستطع علماء القانون الاعتراف بأنها متفقة مع العلم مطابقة لارقى النظم والحقائق العلمية . .

● رأي العلامة ـ سانتيلانا ـ ان فى الفقه الاسلامى ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى ان لم نقل ان فيه ما يكفى الانسانية كلها . .

● قال الأستاذ سليم باز ـ المسيحى ـ شارح مجلة «الأحكام الشرعية» «اننى أعتقد بكل اطمئنان ان فى الفقه الاسلامى كل حاجة البشر من عقود ومعاملات وأقضية والتزامات ومن المؤكد علما انه لايوجد معنى من معانى الأحكام المنشود فيها العدل ولا حاجة من حاجات البشر فى التشريع الا تقدم لفقيه مسلم قول فيه» . .

● وقال العلامة الاستاذ ـ شيرل ـ عميد كلية الحقوق فى جامعة فيينا . . فى مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧م «وان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد اليها اذ انه رغم اميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً ان يربي امته على شريعة سنكون نحن الأوروبيين اسعد ما نكون لو وصلنا الى قمتها بعد الفي سنة» .

● جاء قرار المؤتمر الدولى للقانون المقارن الذى انعقد بلاهاي فى أوائل سنة ١٩٢٧ مظهرا فضل هذه الشريعة ورسوخ قدمها وعلو كعبها وهو الذى جمع أقطاب القانون وأعلام الشرائع فى العصر الحاضر ـ وخلاصته :

«ان الشريعة الاسلامية حية صالحة لتطور البشرية ومسايرة للمدنية الحديثة وانها لذلك جديرة بان تشكل مكانة ممتازة بين مصادر القانون المقارن» .

● ● هذا ما لخصته من آراء بعض العلماء . . وبذلك احرزت الشريعة الاسلامية قصب السبق وفازت فوزا عظيما واعترف بمجدها الخالد ائمة العلم فى الشرق والغرب . .

● ● وكما قال الفهد القائد فى لقائه بالمدينة المنورة . . انا علينا مواجب التمسك بالشريعة الاسلامية . . منها نستمد قوتنا . . وعزتنا . . ومجدنا . . وتقدمنا . .

وبالعقيدة الاسلامية نستطيع ان نحقق كل ما نرجوه لوطننا وامتنا ومستقبلنا المرتقب . .

الندوة العلمية للتعليم ..

وحديث عن موسوعة الفقه الاسلامي

فى مقر وزارة التخطيط بمدينة الرياض بدأت الندوة العلمية للتعليم فى الأسبوع الماضى . . بحضور رجال التربية والتعليم . . وقد افتتح هذه الندوة معالى الأستاذ هشام ناظر وزير التخطيط الذي أكد أن السياسات التعليمية التي تضمنتها خطة التنمية الثالثة هى اعداد برامج ومناهج التعليم طبقا للشريعة الاسلامية . . والاحتياجات الجديدة للمجتمع السعودى . . كما أكد أن السياسات التعليمية تشمل أيضا اتاحة الفرصة التعليمية بالقدر الكافي . . وايجاد التناسق التام بين برامج القوى البشرية العاملة والاحتياجات الفعلية للاقتصاد الوطني من القوى العاملة . . الى تقويم برامج التعليم الجامعى .

أما معالى الدكتور عبد العزيز الخويطر . . وزير المعارف فقد دعا في كلمته الى عقد المزيد من هذه الندوات للحاجة الماسة اليها فى كافة المجالات . . وقد أكد معاليه أن الوزارة ستضع في اعتبارها ماتتوصل اليه هذه الندوة من توصيات وقرارات فيما يتعلق بالبرامج والمناهج والأساليب التربوية . .

والندوة العلمية للتعليم ناقشت خلال الأسبوع الماضي العديد من الأبحاث المقدمة من المشاركين فيها وتتعلق هذه الأبحاث . . بترشيد اتجاهات الطلاب . . وتخطيط برامج التعليم بمختلف مراحله بما يتمشى

مع خطط التنمية والاعداد لتطور التعليم الثانوى للمملكة العربية السعودية فى اطار الخطة الرابعة للتنمية والتي ستبدأ بعون الله مع بداية عام ١٤٠٦هـ . . والنظام المقترح لهذا التعليم . . كما تتعلق الأبحاث التي قدمت لهذه الندوة بدور التعليم الصناعى والتدريب المهني فى تنمية القوى البشرية بالمملكة . . وتوافق اعداد الملتحقين به مع متطلبات خطة التنمية والمقومات الأساسية لاستراتيجية التعليم العالى . . فى قيام التعليم على أساس الكتاب والسنة . . الى جانب التعليم الزراعى والبيطرى وعلاقتهما بالتنمية الاقتصادية . . ودور المرأة فى المجتمع السعودى . . وتوجيه التعليم الجامعى للمرأة وفق أهداف التنمية والعوامل المؤثرة فى تخطيط التعليم المهنى والفنى . .

وفى هذه الندوة قال معالى الدكتور الخويطر ان اجمالى عدد الطلاب والطالبات في مختلف مراحل التعليم فى المملكة قد بلغ فى عام ١٣٩٤/١٣٩٥هـ ٩٧٧,٩٧٢ طالبا حيث قفز العدد الى ١,٤٥٢,٨٥٦ أي بزيادة قدرها ٢٣٪ وبعد ذلك بعامين ١٤٠١/١٤٠٣هـ بلغ عدد الطلاب والطالبات ١,٦٧٢,٦٦٤ أى بزيادة قدرها ١٣,١٪

هذه الندوة العلمية عن التعليم شدت انتباه كافة الأخوة المشتغلين بالتربية والتعليم فى مملكتنا الفتية وهم يترقبون طبع هذه الأبحاث القيمة ليتسنى للجميع قراءتها ومناقشتها . . والوقوف على الكثير من الأفكار الهادفة البناءة . . وأعتقد أن معالى الأستاذ هشام ناظر سيولى هذا الموضوع عنايته . . فقد سبق وأن قامت وزارة التخطيط بطبع العديد من

الندوات التى نفذتها هذه الوزارة ووزعت الى جهات الاختصاص.

وكما قلت من قبل أن التربية الاسلامية تستمد طريقتها فى تكوين المواطن الصالح من الاسلام.. ونظرته الى الكون والطبيعة والدنيا والآخرة.. فالاسلام فى روحه وجوهره دين ودولة.. سيف وكتاب.. ثكنة ومسجد.. جامع وجامعة.. جسد وروح.. ايمان بالعمل المادى من أجل الدنيا.. وايمان بالعمل الروحى من أجل الآخرة.. ولذلك فلا غرابة أن يمتاز الاسلام بضرب خاص من التربية تختلف في أهدافها ووسائلها.. وغاياتها عن أنواع التربيات الأخرى التي سادت في حضارات مختلفة عبر العصور والسنين.

لماذا ابتعدنا فى العديد من الدول الاسلامية عن أساس التربية الاسلامية يقول الأستاذ صائب سلام:

عوامل شتى.. ومؤثرات كبيرة.. وضغوطات متنوعة كلها دفعت بنا - مع الأسف - الى التخلى عن الأنموذج التربوى الاسلامى واستعارة الحلول الخارجية.. واذا كان المجال هنا لا يسمح لنا بالعودة الى وصف عصور التأخر وماوقع فيه المسلمون من تخلف علمى.. وباستعراض العوامل والمؤثرات المتأخرة جميعا.. فاننا نكتفى بالاشارة الى العناوين

الانهيار السياسى والعسكرى للحكم الاسلامى العثمانى وهجمة الدول الغربية المستعمرة لاحتلال معظم أرجاء الوطن العربى.. وقيام هذه الدول المستعمرة بفرض ثقافتها.. ولغتها.. ونموذجها الحضارى والتربوى.

فشل رجال الفكر والعلم في أن يجددوا . . ويجتهدوا . . واذا كنا نشيد بالمحاولات الاصلاحية التى قام بها رجال افذاذ في الماضى . . فإن هذه الظاهرة لمعت مشعة فى القرن الماضى . . ولكنها لم تتواصل . . ولم تأخذ مداها من العمق والشمولية . . اذ لم يقم من بيننا من عاد وحمل لواء التجديد بالعلم الواسع . . والشجاعة المطلوبة والانفتاح على تطورات العصر بما يدعو اليه الاسلام بأصالته . . ودينويته المتلازمة مع روحانيته . . انبهار جموع المتعلمين المسلمين أمام وهج الحضارة الغربية مما زرع فى قناعة وفى ضمير كثير من هؤلاء أنه مامن سبيل لتحسين أحوال العرب والمسلمين الا باقتباس أساليب الغرب اقتباسا كاملا .

مجموعة الهزائم العسكرية والسياسية التى منى بها العرب طيلة العقود السبعة من القرن العشرين أمام الدول الغربية الغازية وعلى الأخص أمام اسرائيل . . هذه الهزائم العنيفة ـ فى وقعها النفسي والفكرى . . أفضت الى مزيد من تصميم القناعات بأن النموذج الغربى هو الأكثر تقدما وفعالية .

كل هذه العوامل أدت بنا الى مزيد من التغريب . . ومع الانبهار والاندهاش أمام وهج الغرب استكنا الى لعبة الانجذاب المتراخي والمطمئن الى أن المصير مرتبط بالنهاية فى مزيد من الالتحام مع النموذج الحضاري الغربى . . ومارس الغرب علينا لعبته الفكرية فى ذات الوقت عبر الخطوط الكبرى التالية :

مارس الغرب بشراسة لعبة التجزئة لكل أرجاء العالمين العربى والاسلامى ، مارس التجزئة بكل أبعادها السياسية والجغرافية . . كما

حاول فى أكثر من موضع أن يزرع التجزئة الفكرية والدينية والتربوية . . فى عقول الناشئة العربية . . ولم يكتف الغرب بذلك بل عمد الى نشر ثقافته وأفكاره .

والمنحى الثاني الذي سارت عليه لعبة الغرب . . هو منحى الفصل الكامل بين الدين والدولة . . فقد حاول الغرب اقناعنا بأن السبب الأساسي لتخلف المسلمين وانهزامهم هو بسبب ربط الاسلام بين الدين والدولة . .

كل هذا ليصل دعاة التغريب الى النتيجة القائلة بأن البلاد العربية والبلاد الاسلامية متخلفة فى كفايتها المادية والبشرية . . وأنها لاترقى الى مستوى التعاطي مع التكنولوجيا الصناعية الحديثة . . فهي فى أحسن الأحوال مصدر للمواد الأولية . . ومركز ممتاز لتسويق انتاج الآخرين . . واذا كان على العرب والمسلمين أن يتصدوا للمهمة الانتاجية فليس لهم سوى الميدان الزراعى سبيلا . .

هذا مضمون لعبة التغريب . . وهذه هى أبعادها . .

● ماذا لو تبين لنا أن النظام التعليمى السائد فى المجتمعات الاسلامية . . نظام غريب عن الاسلام . . يتناقض في نظرته الى الدين . . وفى نظرته الى المعرفة . . وفى نظرته الى الانسان مع نظرة الاسلام . . ويولد فى الذين يتخرجون منه آثارا عقلية . . وقيما واتجاهات خلقية ووجدانية تتناقض مع غايات الاسلام ومقاصده فى تربية الانسان . .

● وماذا لو تبين لنا أن هذا النظام السائد ولد في نفوس أجيال منا في هذا العصر الغربة بينهم وبين الاسلام . . وولد الغربة بين المجتمعات

الاسـلاميـة بعضها ببعض . . وأنه ينذر اذا لم يستبدل استبدالا كليا بنظام اسـلامى فى الـتر بيـة . . بتعميق هذه الغـربـة الى درجـة ابتعـاد أكثـرية المثقفين من المسلمين عن التوجه بالاسلام وبأصوله هذه قضية . .

● وأما القضية الأخرى . . فهى فى . .

ماهو النظام التربوى الذى يترجم نظرة الاسلام الى الانسان والى المعرفة؟

ومـاهى الأسس . . ومـاهي الأصـول التى يقـوم عليهـا منظـور الاسلام ويتميز بها والتى يجب أن ننطلق منها لبناء النظام التربوي الملائم لغايات الاسلام ومقاصده . . فى تربية الانسان؟

● لكى يكـون نظـام التربية نظاما اسلاميا . . لابد وأن يكون نظاما كليا يحيـط بكـل مايقتضيـه نمـو الانسـان المتكـامل . . ان كان ذلك فى نموه العقلى أو الخلقى . . أو الـوجـدانى . . أوكان فى تشكيل وتنمية اتجاهاته الأساسية نحو الانسان ونحو العالم ومافيه من أشياء وكائنات . . أوكان فى تشكيل وتنمية اتجاهاته نحو الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية . .

● فالتربية فى الاسلام مرآة كاملة للاسلام . . وعلى مدى حياة الانسان فى مراحـل عمـره المتـلاحقة . . وعلى سعة حياة الانسان فى مراحل عمره المتـلاحقـة . . وعلى سعـة حيـاة الانسـان وشمـولها للجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . . فالتربية فى الاسلام هى الاسلام . .

● هذه كلمـة موجـزة أقـولهـا اليوم بمناسبة انعقاد الندوة العلمية للتعليم مؤكـدا أن هذه المملكـة الفتيـة تتصـدى لكـل التحـديات التى تواجهها الـتربيـة الاسلامية . . وهى تسعى جاهدة مع الدول الاسلامية الشقيقة

لاقرار منهج تربوى اسلامي . . نابع من عقيدتنا . . وقيمنا . . ورسالتنا الخالدة . .

● قال عمــر بن عبد العـزيـز

« ان لى نفسـا تواقـة . . لم تتق الى منـزلـة الا تاقت الى ماهى أرفـع منها حتى بلغت اليوم المنزلة التى ليس بعدها منزلة . . وانها اليوم قد تقات الى الجنة» .

هاتـــــف السـمـاء . .

أطلق الاسـلام العقـول من اسـار الخرافات والأساطير وكرم الانسان واحـترم حريتـه فى الفكـر والرأي . . وحضه على جهاد النفس وتخليصها من الشهـوات والنـزوات . . ورسم له الحيـاة فى أبهى صورهـا من المحبة والتعـاطف . . وقـدم الاسلام فى تاريخه الطويل نماذج من الرجال، عدلا وحكمة وشجاعة وايثارا . . وقدم دولا أشاعت الطمأنينة وحكمت بالعدل وكفت عن المظالم . . وأقامت حضارة نشرت العلوم والمعارف . . واضاءت حيثما وجدت . . خير مافى النفس الانسانية من عزم وصبر وكفاح . .

موســوعة الفقه الاسلامــي

● لقـد نادى بفكـرة المـوسـوعـة الفقهية كثير من علماء الشريعة فى البلاد العـربيـة والاسلامية . . فى تصدير بعض الكتب الفقهية التى نشرت وفى المجلات الاسلامية منذ منتصف القرن الحالى . . وأذكر أنه لما عقد مؤتمر «أسبـوع الفقـه الاسـلامى» فى باريس فى بهو كليـة الحقـوق فى جامعـة السـوربـون عام ١٩٥١م بدعـوة من لجنـة الحقـوق الشـرقية فى المجتمع

الــدولى للقــانــون المقـارن . . وظهـر من المحـاضـرات التى ألقيت فى موضـوعـات شتى من مختلف شعب الحقوق والقانون فى الفقه الاسلامى مافي هذا الفقـه الأصيـل المؤ ثـل . . من ثروة حقوقية . . ونظريات خالدة القيمـة اتخـذ المؤ تمـر قراره التاريخى من جملة ماجاء فيه ماترجمته الحرفية كما يلى . .

أ ـ ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة ـ حقوقية تشريعية ـ لايمارى فيها

ب ـ وان اختـلاف المـذاهب الفقهيـة فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطـوى على ثروة من المفـاهيم ومن المعلومات ومن الأصول الحقوقية هي منـاطق الاعجـاب . . وبها يستطيع الفقه الاسلامى أن يستجيب بجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجياتها . .

● ويأمل المؤ تمرون فى أسبوع الفقه الاسلامى هذا أن تؤ لف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامى يسهل الرجوع الى مؤ لفات هذا الفقه . . فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية . .

« انظـر المجلة الـدوليـة للحقـوق المقـارنـة ـ العـدد ـ ٤ ـ من السنة ـ ٣ ـ الصادر سنة ١٩٥١ ـ»

● فهذا الأمل الذى دعا الى تحقيقه مؤ تمر ـ أسبوع الفقه الاسلامى الأول فى باريس كان هو النواة الأولى لفكرة موسوعة الفقه الاسلامى . . وقامت . . سوريـا ـ ومصـر ـ أبـان الـوحـدة لتنفيذ هذه الفكرة باشراف المجلس الأعلى للشؤ ون الاسلامية . . وجمعية الدراسات الاسلامية . كما قامت وزارة الأوقـاف والشؤ ون الاسـلاميـة بالكـويت بالاشراف على موسوعة الفقه الاسلامى .

● ومن أهداف واختصاصات ـ الموسوعة الفقهية ـ مايلى . .
ـ تهدف الموسوعة الى عرض تراث الفقه الاسلامى فى المذاهب المعتبرة . . للوفاء بحاجات الاستمداد من الثقافة الاسلامية الحقوقية للدراسات والبحوث والقضاء والافتاء وصياغة التشريعات . . وسبيل ذلك الرجوع الى أوثق المراجع الفقهية المعتمدة واستخلاص مافيها من قضايا فقهية فى شتى جوانب الحياة من عبادات ومعاملات وعقوبات ونظم دستورية وادارية ودولية وآداب شرعية مقرونة بالأدلة والتعليمات والأمثلة . .

وسيضاف الى التراث الفقهى . . جميع المسائل المستحدثة . . والقضايا العصرية المستنبطة أحكامها حسب الاجتهاد الصحيح ـ فى ملحق ـ كما يلحق بالموسوعة جميع أبحاث أصول الفقه وقواعده فضلا عن الاهتمام باعلام الفقهاء والمراجع الفقهية .

● ولايخفى أنه باختلاف الزمن . . وتطور الأساليب والحاجات الثقافية أصبح الفقه الاسلامي ومافيه من جوهر نفيس . . وعبقريات الاجتهاد . . ونظريات حقوقية محكمة . . ومبادىء سامية ذات قيمة خالدة . . كل ذلك فيه أصبح محجوبا عن الأنظار والحقوقيين بغلاف من أسلوبه وترتيبه القديم . . وبمراجعه صعبة المسالك على غير المختصين ولكن تطور الحياة وحاجاتها وتشعب الثقافة العامة جعلت وقت الباحث لايتسع للتنقيب عن مظنته . . وهذا مايوجب تعبيد الطريق الى هذا الفقه العالمى الذى أقام نظام العدل فى مشارق الأرض ومغاربها نحو أربعة عشر قرنا . . وواجه الوان الحضارات . . وحل جميع مشكلات الحياة بأحسن الحلول . . وأعدل الأحكام . . وأمرن القواعد فى معالجة

مشكلات اختلاف الزمان والمكان والاعراف والحاجات . . بمذاهبه الاجتهادية .

● فغـايـة المـوسـوعة صياغة الفقه الاسلامي كما هى فى مراجعه الأصيلة بأسـلوب سهـل . . اننى أضـع هذه الأفكـار بين يدي رابطـة العـالم الاسلامى . . فعسى أن تقوم بتطوير هذا العمل وجعله شموليا ومتكاملا مستفيـدة من خبرة الـدول التى سبقتنـا فى هذا المجال . . وما أصدرته فى هذا المـوضـوع متممـة هذا العمل على أسس سليمة . . والله الموفق الى مافيه الخير والسداد . .

كلمـــة . .

ترى هل تشرق الشمس على يوم نجد فيه نحن الذين أصبحنا عددا بلا مضمون ما يأسو حضارة القرن العشرين ويمسح عنها دم الجناية وقد سقطت من يدها سكين الجزار . .

ماذا نريد من مجمعنا الوليد ؟

اذا كان التوجيه السامى الكريم الذى اذاعه أمير الشباب . . وراعى الشيوخ صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز فى الاحتفال بتكريم الأدباء في يوم ٢٧ من محرم ١٤٠٤هـ . . عندما قال امير الشباب فى اثناء حفل توزيع جائزة الدولة التقديرية للآداب .

«انه ليشرفنى أن أعلن أمر جلالتك الكريم الذى تفضلت واصدرته امس بانشاء مجمع علمي لغوي يعى علوم اللغة وآدابها ويجيء تتويجا لما قدمت وتقدم يا مولاي من عطاء للفكر والثقافة» .

اذا كان هذا القول مجرد سبق لاعلان مولد مجمع لغوى وعلمى فى بلادنا فانني أرى أن الأمر أخطر من ذلك ويجب أن نحتشد منذ الآن فى هذا الصرح الذى يوشك ان يولد فى بلادنا العزيزة . . فان الامر فى منتهى الجدية واحدثكم بصراحة ان امتنا العربية تتنوع فيها المجامع العلمية واللغوية منذ أكثر من نصف قرن ولم تفعل شيئا كبيرا يحول مجرى الحياة الثقافية . . واقتصر الامر على عدة بحوث فى اللغة .

وعدة توصيات وقرارات . . وبعض المقطوعات الادبية واللغوية وهذا كله شيء عظيم وجميل وما أريد ان انتقد مجامعنا العريقة فحاشاي ان افعل ذلك ولكنني اتحدث عن المجمع «الرسالة» .

أجل فهذا المجمع الذي اتخيل ان يكون عليه مجمعنا الوليد ليس مجرد

مجمع فحسب بل رسالة تنبثق من هذه الجزيرة العربية لتعيد تقاليد الرسالة الاولى التى انبثقت من هذه الارض منذ خمسة عشر قرنا من الزمان والتى شاء الله ان يجعل معجزاتها الكبرى القرآن الكريم وهو نص أدبي . . وفكري . . وثقافى بليغ تحدى العرب اصحاب البلاغة في اعزما يملكون فعجزوا في ان يأتوا بسورة من مثله . . ومنذ ذلك الحين أخذت اللغة العربية التى وصلت الى نقائها وقوتها فى ايام الجاهليين هذه الخصوصية الجديدة وهى العالمية . . وأخذ أدبها العربي هذه الصفة أيضا فقد تمكن الرعيل الاول من قادة الاعلام ان ينشروه فى ثلاثة أرباع العالم خلال قرن من الزمان وتحولت اللغة العربية الى لغة عالمية تُقْرَأ في هذه الساحة الهائلة من العالم ويُقرأ أدبها بلغته كذلك في تلك الأرجاء .

■ لا أريد أن أتحدث عن القيم التشريعية والاجتماعية والفكرية والمعاني الروحية التي أشاعها الاسلام ولكني أتحدث عن اللغة العربية وآدابها فحسب وكيف اعطاها الاسلام خصوصية ازدهرت به وازدهرت تبعا لذلك الدراسات التى دارت حول القرآن وفي قرون قليلة أصبح ما يمكن ان نطلق عليه مدرسة قرآنية فى الدراسات الادبية واللغوية والنقدية فضلا عن دراسات الاعجاز التي شكلت أخطر الوثائق الجمالية والبلاغية في علومنا الاسلامية . . هذه هي الرسالة الاولى التى شعت من الجزيرة العربية والتي يمكن ا ن نستلهمها ونستوحيها ونحن نبدأ على بركة الله أعمال مجمعنا الوليد ـ والجديد ـ

■ وفي ضوء هذا نحس ان هذا المجمع عليه أن يكون امتدادا لتلك التقاليد وانبثاقاً من هذه الرسالة التى اضاءت العالمين . . ومن هنا قلت

انه ليس مجرد مجمع علمي ولغوي فحسب ولكنه مجمع الرسالة.

وقد شاء الله ان يمنحنا في هذه الجزيرة الامكانات المادية والفكرية والثقافية والروحية وشاء الله ان تبدأ فكرة هذا المجمع على يد الفهد القائد وهو رجل يدرك قيمة الثقافة ويدرك ايضا قيمة الرسالة.. فالزمان.. والمكان.. والعصر كلها ادوات مهيأة لان يولد هذا المجمع عملاقا.. وان يتحول فى أعوام قليلة ـ بالمقاييس العلمية البحتة ـ الى أهم مجمع علمي ولغوي فى العالم..

■ لا تحسبوا أنني أتخيل أو أسبح مع الاحلام ولكن أمامي مهمات محددة أراها لمجتمعنا الوليد واعتقد انه قادر على انجازها فى اقرب الاوقات.

المجمع والدراسات القرآنية

فالظروف المكانية والبيئية تجعل هذا المجمع مطالبا بان يتخصص فى الدراسات القرآنية ويقدم للعالم شيئا جديدا فى هذا المجال.. فليس مهما أن يعيد تحقيق وطبع ونشر الدراسات القديمة على عظمتها واهميتها.. ولكن الاهم ان يقدم شيئا جديدا يستهدى بكل هذا التراث العظيم مع ادخاله فى نسيج الدراسات العملية الحديثة فى مجال الآداب.. واللغة.. والصوتيات كما يفيد بالخبرات المعملية في هذا المجال ولنضرب مثلا صغيرا يوضح قيمة تطوير تراثنا القديم على ضوء المنجزات العلمية الحديثة.

■ مثلا ـ علم تجويد القرآن ـ العلم الاسلامى المعروف ـ بتجويد القرآن ـ لقد وصل العلماء من غير معامل صوتية الى شبه تحليل دقيق لمخارج جميع

الحــروف العــربيــة ووصفهــا ووصف الطــريقــة التى تخرج بها من الحلق واللسان والشفتين مثلا . . هذا العلم لو درسناه وطورناه من خلال المعامل الصـوتيـه وحـددنا بالدقة بواسطة تلك الاجهزة مخارج الحروف وما يقصد بهذا العلم من نواح اخـرى لوصلنـا الى علم جديد يجمع بين علم تجويد القـرآن القـديم . وعلم جديـد يجب ان نحتفـظ له بنفس التسمية لنثبت للعـالم ان علماءنـا كانـوا على بصـر دقيق بهذه المعارف التى لم تصل اليها الحضارات الحديثة الا منذ اعوام قريبة وبفضل تطور الاجهزة العلمية .

■ مثـال آخـر . . الـدراسـات الجمالية التى شاعت فى الحضارة الاوروبية وتطورت . . والتي تركزت في علم الجمال يمكن ان نجد جذورها فيما دار

حول القــرآن من دراســات فلا شك ان كل الــدراســات التى تنـاولت الاعجاز القرآنى هى علم جمال ربما فاق فى بعض جوانبه علم الجمال عند الأوروبيــين ولكنـنــا تركنــا هذه الــدراســات مطمـورة فى الصحـائف والاوراق . . ولو ان مجمعنا الجديد انتبه الى حصر هذه الدراسات كلها ثم تطـويـرهـا ثم القيام بدراسة جديدة للتذوق الجمالي فى القرآن لقدمنا علم الجمال الاسلامى .

هذان مثـلان يجعـلان تفاؤ لي ـ بأن المجمع الوليد سيتحول الى مجمع عملاق في اقرب وقت ـ شيئا منطقيا ومتفقا مع السياق .

■ المـرحلة الحضـاريـة التى تمر بها مملكتنا فنحن من حيث الزمان والمكان والامكـانـات المـادية نستطيع ان نستضيف كل علماء الارض من مشرقها الى مغـربهـا وان ننتفـع بخبراتهم وان نستفيد بأمكانتهم العلمية القديمة

والحـديثـة وبـذلـك يمكن ان نحقق من خلال هذا المجمـع أكـبر نهضة علمية وثقافية فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى.

قبـل ذلـك فاني اعتقـد ان هذا المجمع مطالب بأن يبدأ بداية معقولة حتى توفر له كل الخبرات العلمية.. فاتقدم بعدة مشروعات نستطيع ان نقـوم من خلال علماء بلادنـا بدراستها والتحضير لها وانجاز بعضها حتى نتمكن كما قلت من توفير الخبرات لانجاز مشروعات اكبر وأعمق وأوسع.

موسوعة الدراسات القرآنية.. !!

واذا كان لابـد من حصـر علمى مبسط لهذه المشروعات التى نقترحها فانني أضع على رأسها موسوعة كبيرة للدراسات القرآنية وفي تصورى ان هذه المـوسـوعـة ستكـون متعـددة الاجزاء ربما زادت عن العشرين مجلدا حتى تخصص بعض اجـزائهـا لتفسـير القـرآن تفسـيرا علميـا لا يغفـل الطريقة الاصلية التى سار عليها شيوخ المفسرين القدامى ولكنه لا يغفل فى الـوقت نفسـه ما فى القـرآن من علوم ومعـارف وآيـات ومعـالم تستطيع الثقـافـة الحـديثـة ان تحددها وتبلورها وتحولها الى قيم علمية باهرة لا تقل عن قيم العلم المعـاصـر. على ان بعض الاجـزاء الاخـرى من هذه الموسوعة سيتخصص فى رصد ما فى القرآن الكريم من تشريعات اجتماعية واقتصـاديـة وثقـافيـة.. وستتنـاول بعض الاجزاء الاخرى ما فى الكتاب الكـريم من استعـمالات لغـويـة وطـرائق فقهيـه وجمالية تعطي التراكيب القـرآنيـة تفـردا وجمالا على ان أهم اجزاء هذه الموسوعة فى رأي هى تلك الاجـزاء التى تتنـاول بلاغة القرآن بطريقة حديثة اي تلك التى تخصص

للتذوق الجمالي والفني في كتاب الله .

هذه الموسوعة يمكن ان نبدأ بها منذ أول افتتاح لمجمعنا الوليد . . واذا كانت هذه الموسوعة تجيء اولا . . فانني اعتقد ان الذي يجب ان يليها هو مجموعة من المعاجم المفصلة بهذا الحقل من الدراسات القرآنية مثلا .

م ـ معجم دلالي لالفاظ القرآن .

ب ـ معجم تاريخي يرصد التراكيب العربية وتطورها ويدرس التراكيب القرآنية التي تحولت الى مصطلحات تشريعية واجتماعية مع رصد التطورات التي طرأت على استعمالاتها بعد الاسلام .

ج ـ معجم لغوي حديث متكامل ينجز في مرحلة محددة . . يعد على ضوء احدث التطورات العلمية واللغوية على ان يستفاد في وضع هذا المعجم بكل الكفاءات العلمية في العالم .

منجزات ثقافية أخرى ! !

على ان مجمعنا الوليد يمكن ان يرفع عن وجه هذه الامة القصور في مجالات ثقافية هامة فمثلا نحن حتى الان لا نملك موسوعة اسلامية اعدها علماء المسلمين ونحن منذ قرون نعيش عالة في تراجم الاعلام على العلماء القدامى ومجمعنا يملك من الامكانات ما يمكنه من انجاز:

١ـ دائرة معارف اسلامية كبيرة تتناول كل المعارف وتعد على احدث الاساليب العلمية على ان تعكس وجهة النظر العربية والاسلامية .

٢ـ موسوعة كبيرة ايضا تؤرخ فيها لاعلام العرب والمسلمين قديما وحديثا . . وهناك شيء هام وعاجل يجب أن نقدمه للشباب وهو إنجاز

معجم لغـــوي مبســط دقيق وعميق يتم انجـازه فى العـام الاول من عمـر مجمعنا الوليد ويوضع بين ايدي الشباب هدية من شيوخهم .

■ وبطبيعـة الحـال هذه مقـترحـات تنـاولتها على وجه السرعة يتدارسها هؤلاء الـرجـال الافـاضـل الـذين يجهـزون لقيـام هذا المجمع من الان ويمكن ان نعـود الى كل جزئيـة من جزئياتها بالتفصيل الموسع العميق فى مقالات تالية ان شاء الله وعلى الله قصد السبيل . .

■ اثيرت اخيرا قضية تدور حلقاتها حول أهم القضايا الأدبية والعلميه والثقافية والفكرية . . ودار الجدل والنقاش بين رجلين يعتبران بحق من معالم النهضة العلمية والادبية والفكرية فى بلادنا . . والبلاد العربية الاسلامية . . ومحور الجدال والنقاش يكمن فى احقية كل منهما فى طبع ونشر كتاب الصحاح الذى يعتبر فتحا علميا فى مجال البحث العلمى والدراسات الادبية . . والذى افاد منه العلماء والدارسون ورجال الفكر والادب حقبة كبيرة من الزمن . . وحتى وقتنا هذا . .

■ الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار من علماء المملكة العربية السعودية . . ومن مفكريها الافذاذ . . وعلى يديه تعلم جيل . . وتتلمذ ادباء . . وتربى مثقفون . . وهو من معالم النهضة الادبية والعلمية والفكرية والثقافية والحضارية فى المملكة . . وجزء هام من تاريخها العريق . .

■ ومعالى السيد حسن عباس شربتلى من رجال المال والاقتصاد البارزين ليس فى المملكة وحسب . . ولكن على مستوى العالم اجمع . . ويشهد التاريخ انه اسهم فى بناء القاعدة الاقتصادية الصلبة فى المملكة . . وله باع طويل فى ميدان الخير . . ومجال البذل والعطاء . . وقد قدم الكثير فى سبيل نشر العلم والثقافة وارساء نهضة علمية وثقافية فى العالم الاسلامى . . واعطى الغالى والثمين من المال خدمة للتراث

ونشـره. . وخـدمـة للعلم والـدعوة الاسلامية. . وجنى ثمار فضله وبذله وعطائه كل المثقفين فى الامة الاسلامية. . كما تثبت ذلك حقائق التاريخ.

لماذا اثـيرت القضيـة العلميـة بين الرجلين فى هذه الايام؟؟ ولماذ يدور الجدل والنقاش بينهما حول قضية ثقافية وكسب علمى وحضارى. . افاد منه الدارسون والمثقفون فى كل مكان فى الوطن الاسلامى الكبير؟

لست أدرى لأن كلا الـرجلين له مكـانتـه وقـدره وكلاهما قدم المال. . وبـذل العطاء: . والآخر قدم البحث العلمى. . وبذل الجهد والعرق فى سبيل العلم. . والفكر. . وانا لا أريد ان أغوص فى هذه القضية ولكننى اكتفى بفتـح الملف الاول للجنـة الثقـافيـة بجامعة الدول العربية ولاول مرة. . ليقف القـارىء على الحقـائق من خلال هذا الملف الـذى كان مغلقـا طوال فترة اثـارة هذه القضيـة. . مع حبى واحـترامى وتقـديـرى للرجلين الكبـيرين السيـد حسن الشـربتلى. . والاستـاذ الكبـير احمـد عبدالغفور عطار.

■ تحدث الأستـاذ الكبـير أحمـد عبـدالغفـور عطار أما وفود المؤتمر الثقافى لجامعة الدول العربية. . وذلك فى الدورة التاسعة التى عقدت فى جدة فى يناير ١٩٥٥ ينوه بمآثر معالى السيد حسن الشربتلى بمناسبة تبرعه بمبلغ واحد وخمسين الفا من الجنيهات. . لاعمال ثقافية تقوم بها الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية وكان الاستاذ العطار من اعضاء الوفد السعودى فى المؤتمر وكان كذلك صاحب المسعى النبيل فى تحقيق هذه الاعمال الثقافية الضخمـة. . وتلك المـآثـر العـربيـة الكريمة. . قال الاستاذ الكبير احمد

عبدالغفور عطار فى خطابه فى اختتام المؤتمر ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. سيدى.. سادتى.. احمد الله كثيرا واشكره جزيلا على ما اولانا من نعم حيث كانت الدورة التاسعة ـ للجنة الثقافية بالجامعة العربية.. سوقا عظيمة من اسواق الفكر.. وموسما من مواسم الاسلام والعروبة.. وان مما جعل هذه الدورة ذات شأن عظيم يسمح لها ان تدخل بهو التاريخ.. وتتربع على خير المقاعد ان مليكنا سعود تفضل فدعا الى ذلك.. ورعى وفود الدول العربية احسن رعاية.. واتاح لهم الفرصة ليشهدوا التاريخ الذى لا يموت.. ولا يمكن ان يموت.. وليشهدوا تاريخ البلاد الذى هو تاريخ الاسلام وتاريخ العروبة.

ومن الاسباب التى جعلت هذه الدورة ذات شأن ان يكون اميرنا ـ فهد بن عبدالعزيز وزير المعارف كافل هذه الدورة وعونها الجميل ورصيدها المذخور.

ومن كرم الله تعالى ونعمه ان تجتمع وفود الدول العربية فى مكان واحد تتبادل الرأى وتضع الاسس القوية لتبنى عليها صرح الفكر العربى.. والثقافة العربية.. والادب العربى.. وقد وفق الله لذلك احسن توفيق.. وميزة هذه الدورة ان تكون ينبوعا من ينابيع الخير والمعرفة فقد اقترنت بها اعمالا ضخمة جليلة تعد فى تاريخ الثقافة حدثا مدويا لا يهدأ دويه على مر السنين والقرون.. ويسطع نورها سطوعا.. فيبصر الناس فتحا من فتوح الله على الثقافة العربية.. بل الثقافة الانسانية.. ويتم هذا الفتح على يد رجل آتاه الله ما آتاه من الفضيلة والاخلاق الممتازة..

والحكمة . . والنبل . . وفعل الخير على يد احد ابناء هذه الامة العربية المسلمة . . ذات التاريخ الحى المجيد .

هذا الحدث العظيم . . هذا الفتح الاعظم . . هو ان يتبرع احد خريجى مدرسة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ومدرسة الملك سعود ـ حفظه الله ـ ان يتبرع بأرقام يحار الصير فى الحاذق فى ترويضها . . بأرقام تدهش وتذهل وتعجب وتطرب . . هذه الارقام التى تعد بمئات الالوف ترصد لنشر بضعة كتب من أمهات الكتب الاسلامية والعربية . . هذا الحدث العظيم هو حدث الاحداث . . وفتح الفتوح فى دورتنا هذه . . ان حدث الاحداث او فتح الفتوح هو تبرع المحسن الشعبى الاول السيد حسن الشربتلى صاحب المثل الاعلى فى البذل وعمل الخير هذا الرجل العظيم بحق يعد صاحب فتوح أعظم ميادين البر والخير والاحسان .

ان السيد حسن شربتلى تبرع بمبلغ نصف مليون ريال . . لا . . لا . . استغفر الله انه بنصف مليون وعشرة آلاف عربى وهو يعادل «٥١٠٠٠» من الجنيهات المصرية ينفق هكذا .

١ـ مبلغ ٠٠٠, ١٠ ريال عربى اى (٠٠٠, ١) جنيه مصرى جائزة سنوية تعطى مناصفة لخير كتابين يظهران فى العربية فى موضوعات حددت فى شروط الجائزة وهى ستكون بوساطة جامعة القاهرة المصرية .

٢ـ مبلغ ٠٠٠, ١٠٠ ريال عربى لنشر تهذيب الازهرى وتجديد طبع صحاح الجوهرى وتصوير ما يحتاج اليه من المخطوطات التى تصورها الادارة الثقافية بالجامعة العربية من مكتبات المدينة المنورة او سواها . . وهذا المبلغ مرصود لهذا المشروع وهو تحت يدى وتصرفى . . ايها السادة :

انى لا استطيع ـ لا انـا ولا غيرى ـ مهما كانت بلاغتـه ان نصف هذا العمـل العظيم الـرائع الجليل الذى يعد بحق حدث الاحداث . . وفتح الفتـوح انـه تاريـخ جديـد للثقـافة والعلم والمعرفة . . يبتدىء به المحسن الشعبى الاول عهـد الاحسـان العميم من اجـل العلم والثقـافة والقراءة والثقافة فى هذه البلاد . . التى افتتحت اول عهدها الاسلامى بقول الله تعالى «اقرأ» يأتى السيد الفذ المتفرد الذى ميزه الله بكل طارفة وتالدة من الفضـائـل . . ليجـدد ذلـك الحـدث الاسـلامى الذى فتح امام البشرية طريق الخـير والهـدى . . فيقـول لسان حال هذا المحسن الاول : اقرأ ايها المسلم من جديد . . لتعيد مع إخوانك عزة الاسلام من جديد» .

■ هذا نص خطـاب الاستـاذ الكبـير احمـد عبـدالغفـور عطار فى اختتام المؤتمر الثقافى فى الخامس والعشرين من يناير ١٩٥٥م .

■ وقـد سجـل الـدكتـور طه حسين رئيس الادارة الثقافية بجامعة الدول العـربيـة هذه المـاثـرة الكـريمة فى كلمته التى ألقاها فى حفل اختتام هذه الـدورة التـاسعـة فى ٢٥ ينـايـر ١٩٥٥م فى جدة . . قال الـدكتـور طه حسين . . من كلمته فى هذه المناسبة . .

«كل ما لقينا فى هذه البلاد الشقيقة الكريمة . . وكل ما بذل من وفود دول الجامعة فى هذه الدورة من جهود موفقة . . وكل ما وضع فى جلساته من قرارات وتوصيات كان شيئا رائعا سيضاف اليه شىء عظيم . .

ستستمعـون نبأه بعـد حين . . هذا الشىء العظيم الخطـير الـذى سعدت به سعادة لم اشعر بها من قبل . . هو ان يزورنى وجيه عظيم كريم من وجهـاء هذه البـلاد . . ستعرفون اسمه بعد قليل . . ولا ينصرف عنى

الا وقد اهدى الى الجامعة العربية . . والى لجنة الثقافة منها . . هدية لم تتلق مثلها من قبل منذ ان تأسست الجامعة العربية . . فهو يهدى لاول مرة فى تاريخ الجامعة العربية ما لم تهده فى تاريخها كله . . هذه الهدية هى انفاق هذا الوجيه الكريم على نشر كتب علمية تاريخية قديمة . . وانه لرائع وعظيم ان يندفع الى الخير اندفاعا حتى ما يوقفه شىء . . فلا يستطيع ان يفعل غير ما فعل . . ولو حاول غير ما استطاع لان العمل الكريم منه مثل ضوء الشمس هو لا يفارقها وهى لا تستطيع ان تفارقه . . فالعمل الطيب لايفارقه . . وهو لا يستطيع ان يفارقه .

وما اريد ان اسمى احدا . . ولا كتابا فستسمعون ذلك بعد قليل هذه اللجنة الثقافية قد اقبلت وقلوبها عامرة بحب العلم والثقافة ولكنها لا تستطيع ان تؤدى الواجب كأحسن ما يؤدى الواجب . . ولكنها اقبلت فارغة اليد . . وكنا كلما ذكر كتاب يراد نشره او عمل ثقافى يراد نشره او عمل ثقافى يراد تحقيقه . . وكلما اخذ الزملاء يمنون انفسهم الامانى . . ويرسلون انفسهم على سجيتها . . وقفتهم عند حدهم بهذه الكلمة البغيضة التى ابغضها اشد البغض . . واكرهها اعظم الكره . . ومعذرة الى وزير المالية الشيخ الصبان . . هذه الكلمة التى ابغضها هى المال . . واقول لهؤلاء الزملاء . . قدروا ما تستطيع الميزانية ان تسمح لكم . . فلاول مرة فى بلادكم وبفضل هذا النشاط الذى اذكى جذوته . وهى ستذكى جذوة النشاط فى كل مكان على وجه الارض . . لاول مرة فى تاريخ اللجنة الثقافية ادع الزملاء يتمنون الامانى ويرسلون انفسهم على سجيتها دون ان اخفيهم بالميزانية . . لان فى يد اللجنة ما تستطيع ان

تنفقه فى هذا السبيل.

فهذا الجود الذى صورته لكم لا اعتبره تحية للجنة الثقافية ولا للجامعة العربية وحدهما.. ولا اعتبره خدمة للعروبة والاسلام وحدهما.. ولا خدمة للعلم والثقافة وحدهما.. وانما يأخذنى شىء من الغرور عندما اذكر انه كان للجنة رؤساء من قبل وانا لم اتشرف برئاسة اللجنة الا منذ قليل.. فأجىء الى الارض المقدسة لاجد النعمة العظمى التى تنعم فيها الامم والشعوب انما تهدى الى من عربى سعودى فى الموطن العربى وعلى اميال قليلة من بيت الله الحرام.. فاذا قلت ومهما اقل فلن ابلغ عن شكره بعض ما اريد.. اننا جميعا عاجزون عن شكر هذا الاريحى واظن سمو الوزير يصدقنى ولا يرى فى قولى اسرافا.. وكل ما اقول غير مسرف اننى عاجز ولا املك الا قلبى وأشهدكم اننى امنحه قلبى وهو كل شىء عندى.

■ وعندما هم الدكتور طه حسين بمغادرة الاراضى السعودية وسار فى طريقه الى الباخرة التى اقلته من جدة الى مصر وذلك فى يوم الخميس ٢ من شهر جمادى الثانية عام ١٣٧٤هـ ٢٧ يناير ١٩٥٥م بعث برسالة الى معالى السيد حسن الشربتلى جاء فيها:

يا صاحب المعالى:

ائذن لى ان اهدى اليك اصدق التحية واعمق الشكر على عنايتك الكريمة البالغة.. ويسعدنى ان ابلغك ما قررته لجنة الثقافة العربية من شكر خالص لمنحتك الكريمة السخية التى تنال فضلها الجامعة العربية واللجنة الثقافية وشعوب العرب والمسلمين فى جميع اقطار الارض.. ولك

تحية مجددة وشكر لا ينقضى .

■ ويعث معـالى السيـد حسن الشـربتلى رسـالـة الى الاستـاذ احمـد عبدالغفور عطار . . جاء فيها :

حضرة الأخ الكريم الاستاذ احمد عبدالغفور عطار . . حفظه الله

بعد التحية والتقدير . .

اقـدر لاخـوتـك الكريمة التى دفعتك الى ان تذكر للجنة الثقافية عن ثقتك فى شخصى من حيث استعدادى التام للمشاركة فى البر والاسراع الى عمل الخير . . واقدر لك طلبك الى تولى تكاليف طبع ونشر كتاب ـ تهذيب اللغـة ـ للازهـرى وايضـا تجديد طبع كتاب الصحاح ـ للجوهرى وكـذلـك تصـويـر ما يلزم من كتب بالفوتغراف ليكون تحت ايدى العلماء وطلاب العلم بمكة . . وبما انك قدرت لهذا العمل الجليل مبلغ اربعمائة الف ريال عربى اى ما يعادل اربعين الفا من الجنيهات فهذا المبلغ ابعثه اليكم مع مبلغ ١٢ الف جنيه مصرى تكاليف التحقيق . . وكل ما ارجوه هو ان يكـون اخـراج هذه الكتب وطبعهـا ونشـرها فى صورة تليق ببلادنا العزيزة المقدسة .

■ أعـود مرة اخـرى الى المؤتمـر . . فقـد اجتمعت الـوفود فى جدة لتضع أسسـا قويـة جديـدة يبنى عليهـا صرح اللغـة وصـرح العلم . . وصرح الثقـافة . . وصرح الحضارة . . تلك الأسس التى تصارع الزمن فتصرعه . . لأنها أسس الدين والفضيلة والانسانية . . وكان أعضاء لجنة الشئون الثقـافيـة وهم الدكتور طه حسين . وامين الخولى . . والدكتور عبدالهادى هاشم رئيس وفد سوريا . . ومحمد سالم الجنيدى من الأردن . . وزيد عنان

من اليمن واحمد عبدالغفور عطار من المملكة العربية السعودية . . وكما يقول ملف جامعة الدول العربية . . انهم كلما أرادوا نشر كتاب أو تحقيق عمل علمى ثقافى ضخم . . اصطدموا بغول مخيف . . يبتلع كل أمنية رفيعة لهم ذلك هو «العوز» فهم يريدون ان يحيوا تراث الاسلام والعروبة . . ويودون احياء الثقافة العربية الموحدة فى كهوف المكتبات . .

وينوون بعث لغة القرآن . . ولكن ذلك الغول يقف فى سبيلهم فلا يستطيعون . . وتنفطر نفوسهم حسرة والما . . فهم يريدون الخير ويريدون ان ييسيروه للناس جميعا فى كل اقطار الارض . . ولكن ما السبيل . .

والمال الذى يحقق المطالب والأمنيات لا وجود له . . والموجود منه لا يفى البتة بعمل صغير يفيد الانسانية والثقافة والعلم فائدة كبيرة . . وفى جلسات المؤتمر قال الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار عضو الوفد السعودى ان صحاح الجوهرى كان فتحا جديدا فى تأليف معالم اللغة ولم أرى معجماً خدم اللغة العربية كما خدمها هذا المعجم . . وقد طبعته مصر اكثر من مائة سنة . . ولكن طباعته ردئية وغير مضبوطة . . مما جعل الانتفاع به قاصرا . . والآن لا نجد منه نسخة للبيع لان ما طبع منه كان محدود العدد والكمية . . وصار اندر من المخطوطات فلابد من أن نعمل شيئا تجاه اعادة طبعه وتجديده . . مع تحقيقه تحقيقا علميا . .

■ وقال طه حسين . . وقال امين الخولى . . وقال الدكتور هاشم وغيرهم من الاعضاء كلاما حقا لم يعر من اتهام العطار بالشاعرية والخيال .

ولكن العطار رفع يده للسماء . . وقال اللهم حقق أحلامنا . .

■ وهكذا تمضى الجلسات . . وتكتب على الورق توصيات وقرارات

وامنيـات وأحـلام . . وقـدم الاستـاذ احمـد عبـدالغفور عطار مذكرة لمدير الادارة الثقـافيـة الاستـاذ سعيـد فهيم ذكر له فيها أنه تحدث لأحد وجهاء السعـوديـة المقـدسة . وذكر له آلامه وآماله . . وطلب اليه ان يتفضل بنشر هذه الكتب فاستعـد هذا الـوجيه الخير المجيد ان يقوم وحده بنشر ما تمنى نشره . . وابلغ الوفود ولكنهم ما كانوا يصدقون ان الأغنياء يهتمون بالعلم اهتماما يكلفهم مئات الالوف بل أغلب الظن انهم لا يهتمون به اذا كان يكلفهم آلافـا بل مئـات . . بل لم يصـدقـوا ان غنيا ينفق الآلاف . . وهنا قال العطـار بالحـرف الـواحـد «ان بلادنـا خصبة اشد الخصب فى حقول الخـير والـبر» وسأل النـاس من هذا الغنى قال العطـار انـه السيـد حسن شربتلى . . فقيـل ومن هذا الـذى تسخـويده بمئـات الألـوف . . فقـال العطار: «انه الرجل الذى فتح أبواب خزائنه للخير والبر والاحسان» .

■ وقال الاستاذ الكبير احمد عبدالغفور عطار ما نصه : «هذا الرجل الذى انفق عشـرات المـلايين فى سبيل الخير . . وادان الانسانية كلها ديونا ثقيلة لا تقضى وليس فى وسع احد ولا الشربتلى نفسه ان يحصى ما قدم وانفق فى سبيل الله . . واصدق وصف للشربتلى : هو بيت ابى تمام :

وان لم تكـن فى كفـه غير نفـسـه
لجاد بها فليـتـق الله سائـلـه

■ هذا ما قالـه العطـار . . وفى المؤ تمـر وقف الدكتور مدحت وكيل الادارة الثقافية بالجامعة العربية فتلا نص الصك ـ الشيك ـ الذى بعث به معالى الشيـخ الشـربتلى وقـد سجـل فيـه مبلغ مائة الف ريال عربى اى عشرة آلاف من الجنيهـات المصـريـة . . اما باقى المبلغ الذى تبر ع به وهو واحد

وأربعـون ألفـا من الجنيهات المصرية فقد كتب به صك آخر تحت تصرف الأستـاذ أحمـد عبـدالغفور عطار الذى استلم المبلغ كاملا . . وبذلك بلغ مجموع إما تبرع به معالى السيـد الشـربتلى فى هذه القضيـة فقـط واحـد وخمسين الفا من الجنيهات المصرية . .

هذا جانب من الحقيقـة أضعـه بين يدى اللجنـة والمسألـة الان تتعلق بانصـاف استـاذنـا الكبـير احمـد عبـدالغفـور عطـار . . ومن حقـه علينا الـوفـاء . . والعـرفـان بالجميل . . والاعتراف بجهده . . وعطائه . . لأن العلم لا يقدر بمال مهما كثر . . فليمد معالى الشيخ حسن عباس شربتلى يده للاستـاذ احمـد عبـدالغفـور عطـار وليتصافحا من جديد . . من أجل تقدم النافع والمفيد للبحث العلمى . . فليس هذا الصنيع المشكور . . هو الأول ولا الأخـير للشـربتلى . . فان له فى هذا المجـال أعـمالا عديدة . . ومواقف خالدة . . وايادى مشكورة . وصنائع مبرورة .

ولا يـدخـر الشـربتلى وسعـا فى مسـاعدة العلماء ورعايتهم وليس ذلك بعجيب من هذا الـرجل . . الذى تجده شديد البر بأصحاب المواهب . . وبـرجـال الثقـافـة . . وبـرسـل العلوم والفنون والاداب . . وهذه الحركة العلمية الكبرى التى يقوم بها السيد الشربتلى هى الأولى من نوعها . . فقد بذل الملايين فى سبيل نشر الثقافة والعلم وما نشر على نفقته من كتب فى مختلف اللغات يعتبر مكتبة علمية ضخمة .

حيا الله استاذنا الكبير احمد عبدالغفور عطار . . العالم . . والمؤرخ . . والأديب . . وحيا الله الشربتلى الذى دعم بجهده العلم والأدب والثقافة ورجـل الـبر والخـير والاحسان . . وجزاهما الله عن العروبة والاسلام . . وعن الثقافة والعلم أحسن الجزاء . .

الجواب سيكون عمليًا !

لايجد الانسان المتتبع لوسائل الاعلام المرئية منها والمسموعة للقضية الفلسطينية كبير عناء . . ليعرف أن التآمر الاعلامى على قضية الأمة فى فلسطين كانت دائما مرافقة لجوانب التآمر الأخرى بل متقدمة عليها . . وأن معظم وكالات الأنباء العالمية التى تصوغ الأخبار وتقرأها للناس هى فى نهاية المطاف وكالات يهودية وصليبية من جانب أو ملحدة تسمى الأشياء بغير أسمائها على الجانب الآخر . لقد دأبت هذه الوكالات على وضع القضية الفلسطينية تاريخيا فى اطارها الصحيح وحاولت جاهدة ابعادها عن اطارها الاسلامى على الرغم من هذه السلسلة الشامخة من ألوان الجهاد الاسلامى الدائب ابتداء من مساومة السلطان عبد الحميد الذى كان له من دينه ذلك الموقف الذى دفع ثمنه باهظا ومرورا بكل شعارات الجهاد الاسلامى التى حركت سكان المنطقة وأشعرتهم بالتحدى اليهودى لحضارتهم الاسلامية . . وانتهاء بعمليات الجهاد الاسلامى المسلح الذى يقابل بالتعتيم من وسائل الاعلام العالمية من جانب . . والتضليل من جانب آخر ذلك أنه حين يحدث فى العالم الاسلامى أو فى العالم أى حدث لايمت الى الاسلام والمسلمين بأى صلة . . تسارع وسائل الاعلام على اختلاف أشكالها وألوانها واتجاهاتها بحملة ترويج لهذا الحدث مهما كان بسيطا وتافها قد لايقدم للبشرية وقضاياها أى شىء يذكر أما حين يكون لما يحدث علاقة بالاسلام أو

المسلمين من الدعاة الى الله فإن الاعلام يتغاضى عن ذلك الحدث ويمارس حملة التعتيم المقصودة . . والتضليل الآثم ليأتى المستمع والمشاهد والقارىء ضحية هذا الاعلام المضلل . . فيكون المخلوق المشوه الذى صنعته وسائل الاعلام المضلله . . ولايعوزنا دليل على ذلك . . وشواهده من جميع أنحاء العالم اذ يكفى أن نقول أن اعتقال فتاة أمريكية يقيم هذا الاعلام ولايعقده بينما يقابل اعتقال المجاهدين من العلماء والشباب المسلم فى سجون العدو الاسرائيلى والتعذيب الرهيب بالتجاهل المطبق وتتابع وسائل الاعلام الحاقدة ضد الاسلام فنراها تتحدث عن ظاهرة تزايد اليقظة الاسلامية فى فلسطين المحتلة رغم عشرات السنين من سنوات القهر والاحتلال ومحاولات سلخ أبناء فلسطين عن اسلامهم . بل أن الصحف اليهودية لم تعد تطيق المسلم فى فلسطين المحتلة فبدأت بتخصيص مساحات واسعة للتحذير من هذه الظاهرة التى ترتعد منها فرائص كل يهودى .

■ فقد أصبح كل يهودى يتساءل بقلق وخوف هذه التساؤلات .

■ ماهى أهداف هؤلاء الشبان الذين يعودون الى الاسلام من جديد؟

■ ومن هم الذين يقفون وراء هذه الظاهرة؟

■ وهل حركتهم هذه حركة عفوية لن تلبث أن تزول أم انها ستتحول الى حركة اسلامية كما حدث فى مناطق أخرى فى الشرق الأوسط ؟

■ والجواب على كل هذه التساؤلات سيكون عمليا فى المستقبل القريب إن شاء الله .

صفاء النية ونور الايمان

قيمة الكلمة كانت موضع وعي منذ القديم . . ويكفى أن أضرب مثلا بالاسلام الذى أعلى من شأن الكلمة وجعلها وسيلة النجاة أو سببا للهلاك كما ورد في الحديث الشريف . . وما ذلك الا لتأثير الكلمة على السامع أو القارىء فردا كان أو جماعة . . فكثيرا ماغيرت الكلمة أوضاعا أو أنشأت أوضاعا ربما كان من شأن السلاح أن يفشل لو استخدم مكان الكلمة . . ويستطيع أى مثقف عربى أن يدرك كل ذلك بوضوح . . فالعالم الذى نعيش فيه اليوم يعج بالمشاكل والقضايا التى تهم الناس على مختلف مستوياتهم .

وقد أصبح دور الكلمة فى حياة الناس بالغ الخطورة بعد أن تعددت وسائل اذاعتها من صحافة الى إذاعة مسموعة أومرئية . . والانسان العربى ليس فى وسعه أن يغفل عن هذه المشاكل حتى ولو أراد ذلك نظرا لانتشار وسائل الأعلام التى تتناول هذه القضايا صباح مساء . . ان ذلك يلقى على الكتاب والمتحدثين مسؤولية كبرى نظرا لأن مايكتبون ومايذيعون له تأثيره فى تكوين الرأى العام الذى يؤثر بدوره على مجريات الأحداث تأثيرا كبيرا .

من هنا كانت مسؤولية الكاتب أو المتحدث أن يعالج القضايا التى يريد معالجتها بروح الاخلاص والصدق والتجرد والموضوعية حتى تؤدى

كلمته دورها على الوجه المطلوب . .

ان قارىء الصحف على سبيل المثال كثيرا ما يقرأ لبعض الكتاب لغة أقل مايقال عنها انها لاتليق أن تظهر على صفحات الجرائد لأن الهوى هو الذى يدفع الى كتابتها . . والتحامل هو الذى يوجها . . وهؤلاء يهدمون ولايبنون ويعقدون المشاكل بدلا من أن يسهموا فى حلها . . ولو قدر هؤلاء مسؤولية الكلمة حق قدرها ماكتبوا مثل هذا الذى يكتبون ولتركوا المجال لأولئك المخلصين الذين يمثلون الدعائم الصالحة التى تقوم عليها الصحافة وغيرها من أجهزة الاعلام .

وليس سرا أن الاعلام يمثل مشكلة كبرى على المستوى العالمي يستوى فى ذلك الاعلام الغربى والاعلام الشرقي . . والاعلام فى منطقتنا العربية والاسلامية . . واذا كان لنا أن نهتم بالاعلام فينبغى أن تنحصر مهمتنا في الاعلام العربى الذى هو أداتنا لشرح قضايانا . . وبناء مجتمعنا . . وترقية فكرنا . . وربطنا بماضينا الى غير ذلك من هذه المشاكل الكثيرة المتشابكة فى مجتمعنا المعاصر . . وكما قلنا أن الاعلام ينحصر فى الكلمة الصادقة مقروءة أو مسموعة .

ان ذلك يدفعنا الى تمثل الصدق في الاعلام وليس التشنج والتسرع . . وهما صفتان لم تخل منها وسيلة من وسائل الاعلام المعاصرة فى منطقتنا . . نحن أصحاب قيم . . وأصحاب قضايا . . وقيمنا رفيعة . . وقضايانا خطيرة لأنها قضايا مصيرية . . ومن هنا كان على كل من يسهم في الاعلام أن يتمسك بالصدق والموضوعية . . والاخلاص .

والمفكرون فى أية أمة هم روادها الذين تنعقد عليهم الآمال . .

وعليهم رسـالـة نحـو وطنهم . . وكـذلـك أجهزة الاعلام عليها رسالة . . وكـلاهما يكمـل الآخـر . . فلا أعـلام بدون مفكرين ولا جدوى للأفكار الحـديثـة بدون الاعلام ولكى يؤدى هؤلاء وهؤلاء رسالتهم على الوجه الأكمـل يجب أن تكفـل لهم الحـرية حتى يستطيعوا أن يعبروا عن ذوات أنفسهم لما فيه صالح المجتمع الذى ينتظر منهم الكثير .

كلمـــة لابـــد منـــها . .

ما أحوجنا لنظرة واقعية أكثر من أي وقت مضى . . ما أحوجنا لمراجعة ما أنجزناه . . بعد أن تحررت العديد من المناطق في وطننا الاسلامى من بقايا الاستعمار . .

ما أحـوجنـا الى ريـاح نديـة تهب على عالمنـا الاسـلامى تنعش هذه النفـوس . . لنأخـذ بيـد المجتمـع الاسـلامي الى ساحة الحركة والنشاط والسعي فى مناكب الأرض لنفوز بالدارين .

ما أحـوجنـا لنتخلص من رواسب المـاضي . . ما أحـوجنـا أن نأخـذ بأيـــدى من نعثـــر فى درب المســـيرة الطيبـة الى بر الأمـان . . وشـاطىء الخـــلاص . . لنعيش يومنـا شرفـاء . . وننتظـر غدنـا ان شاء الله كرمـاء معتـــزين بعـزة الاسلام . . ما أحوجنا أن نلملم شتاتنا ونضمد جراحنا . . ونتعـالى على الآلام . . ونبـدأ من جديـد فى مسيرة الخير . . والحب . . والايمان . . ما أحوجنا الى صفاء النية ونور الايمان .

هــذا التــراث !!

الـتراث الهـائـل الذى خلفه لنا علماء العصور الاسلامية . . لابد أن يعني أن هنـاك تربيـة اسـلاميـة . . لغتهـا عربيـة . . ومنهجها وروحها القـرآن والسنـة . . وان هذه التربية . . كما كانت قادرة على العطاء . . واقـامـة حضـارة زاهـرة فى المـاضى . . هى اليـوم قادرة أيضا على صنع حضارة انسانية جديدة لكل أبناء البشر.

كلمــات مــن نــور

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبى ﴿ﷺ﴾ . . فقال : ياغلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك . . احفظ الله تجده تجاهــك . . اذا سألــت فاسأل الله . . واعلم أن الأمــة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك . . رفعت الأقلام وجفت الصحف.

خمســة في خمســـة . .

وضع الله سبحانه وتعالى .

- الحجة في القرآن . .
- والعز فى القناعة . .
- والذل فى المعصية . .
- والهيبة في قيام الليل . .
- والغنى في ترك الطمع . .

الشــــباب . . والتـــراث ! !

ان سبب انصـراف الشبـاب عن ثمـرات التراث الاسلامى هو ذلك الانبهار بما حققته أوربا من تقدم في مختلف المجالات . . فقد ظن هؤلاء الشبـاب نتيجـة انبهـاره بالحضارة الأوربية ان لا علم الا فى أوربا . . وان العلم القديم الذى خلفه علماء المسلمين ومفكروهم قد عفى عليه الزمن ولم يعد يصلح للعصر الحديث وقد نسي هؤلاء أن القيم التى يستند اليها هذا التراث هى تكيف حياتهم الحاضرة أحسوا بذلك أولم يحسوا . . وأنه اذا كان البعض منهم يقـرأ الـتراث فلا يستطيع الخروج منه بشىء يرضيه فإنما يرجع ذلك الى قصوره عن ادارك مافي هذا التراث من قيم . . لأنه يقرأه بأسلوب غربى . . ولو أحسنا قراءة تراثنا وأقبلنا على استخراج مافيه لارتبـط حاضـرنـا بماضينـا ولـزال عنا ذلك الانفصام فى الشخصية الذى نعاني منه منذ عشرات السنين . . ولوضعنا بذلك الأساس الراسخ لتقدمنا الـروحي والمـادى على السواء . . فالتقدم المادى لا يقوم الا على أساس من التقدم الروحي ... والا كان بناءا على غير أساس لايقف طويلا أمام أعاصير الزمن .

ولـذا فان من أوجب الـواجبات على مثقفى المسلمين أن يعيدوا قراءة تراثهم بروح متعاطفة وفكر متفتح وسيجدون فيه بغيتهم . . وليس عليهم بعد ذلك من بأس اذا ماقرأوا التراث الأوربى وانتفعوا بما فيه . . أما بغير الأساس الروحي المستمد من التراث الاسلامى فإن الاقبال على التراث الأوروبى تكون بمثابة الدواء العنيف بالنسبة للمريض الهزيل قد يقضى عليه بدلا من أن يشفى علته .

* هي خطبة الختام . . وهي تلخيص واف لمهام الرسالة قدمه أعظم انسان عرفته الدنيا في موقف مهيب كان يستشعر فيه أن مهمته انتهت . . وأن قدر الله تعالى لابد أوشك . . وهو فعلاً كان موشكاً .

لقد أراد ﴿ﷺ﴾ أن يشهد الله سبحانه وتعالى والمؤمنين على أنه أدى الأمانة وافية وأن يقدم انذاره الأخير الى المسلمين من المحاذير التي يخشى على الرسالة منها لكي يجعل الحفاظ على تلك الرسالة نافذاً على أكبر قدر يستطيعه جهده البشري . .

ولننظر في النص العظيم لتلك الخطبة الفذة الخالدة :

«أيها الناس أسمعوا قولي . . فاني لا أدرى لعلي لاألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . . أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . . وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . . وقد بلغت . .

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها . . وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولاتظلمون ، قضى الله أنه لا ربا ، وأن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله . . وان كل دم كان في الجاهلية موضوع . . وان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحرث بن عبدالملطب ، وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل . . فهو أول ماأبدأ

به من دماء الجاهلية . .

أما بعد أيها الناس . . فإن الشيطان قد يئس من ان يعبد بأرضكم هذه أبـداً ولكنـه ان يطـع فيـما سوى ذلـك فقـد رضي به مما تحقـرون من أعمالكم . . فاحذروه على دينكم . .

أيها الناس : أن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عامـاً ويحـرمـونه عاماً ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله ويحرموا ما أحـل الله . . وأن الـزمـان قد استـدار كهيئتـه يوم خلق الله السـماوات والأرض . . وان عدة الشهـور عنـد الله أثنا عشر شهرا منها أربعة حرم . . ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان . .

أمـا بعـد . . أيهـا النـاس : فإن لكم على نسـائكم حقـاً ولهن عليكم حقاً . . لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه . . وعليهن أن لا يأتـين بفـاحشـة مبينـه ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجـروهن في المضـاجـع وتضـوبـوهن ضربـا غير مبرح . . فإن انتهـين فلهن رزقهن وكسـوتهن بالمعـروف واستـوصـوا بالنسـاء خيراً فإنهن عندكم عوان . . لا يملكن لأنفسهن شيئـاً ، وأنكم أنـما أخـذتموهن بأمانة الله . . واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فأعقلوا أيهـا النـاس قولي ، فإني قد بلغت . . وقـد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبـدا أمـرا بينـاً كتاب الله وسنة نبيـه . . أيهـا النـاس أسمعـوا قولي واعقلوه . .تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم . . وأن المسلمـين أخـوة ، فلا يحل لأمرىء من اخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلموا أنفسكم . . اللهم هل بلغت . . فذكر لي ان الناس قالوا اللهم : نعم فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ اللهم ـ فاشهد فقد

كان عليـه الصـلاة والسـلام يعلم من الله مالا يعلم من الناس وقد أثبتت الوقائع صدق وما كان يحس به من دنو الاجل فأنه لم يلق الناس فعلا بعد حجـة الـوداع حيث لحق بالـرفيق الأعلى . . ولقـد كان عليـه الصـلاة والسـلام الـوحيـد الذى وحد الله القبائل على يديه وهو ادرى الناس بسر الخطـر الاكـبر المسلط كالسيف فى وجـه العـرب على الـدوام ألا وهـو استباحتهم دماء وأموال بعضهم بعضا . . لقد كان ذلك هو الغزو وهو قمة الانجاز الناشيء عن الولاء للقبيلة من دون الله ، وقد حرم الاسلام ذلك عليهم . . فليعد الرسول رسالته في التبليغ . .

ثم دعـا عليـه الصـلاة والسلام الى الأمانة ورد الودائع لأن النزاهة في الأمـانـة أنـما تكون ممكنة مع توافر الاحساس بالصلة بالله سبحانه وتعالى ورقـابتـه على النفـوس ، وليس الغزو الذي ينتهب فيه المال قسرا بممنوع وحـده . . ولكن امتصـاص دمـاء الناس بالرضا المستكره عن طريق الربا هو أيضا نظير للعدوان المباشر على أموال الناس بالغزو . . وقد ضرب لهم مثـلاً من أسـرته فأسقط سائر الربا المحقق لعمه العباس بن عبدالمطلب ، كما اسقط المطالبات الناشئة عن العدوان القبلى باسقاط المطالبة بدم أبن عمه ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب الذي قتله هذيل . .

واذا ما تم الولاء لله من العرب على تلك الشاكلة فليس للشيطان الا أن يرحـل لأنـه لامكـان له حيث تسـود شريعـة الله . . ويعـز الولاء لله لا للعصبية الجاهلية والأعراف القبلية .

ثم أن الـولاء للقبيلة وللغـزو كان جنـايـة على الطـرف الأضعف من البشـر ألا وهـو النسـاء . . حيث ان المـرأة لايمكنها أن تبرهن على وجود

مناظر للرجل في حياة عدوانية قائمة على القوة البدنية والروح الوحشية . .

ولهـذا ترفق رسـول الله ﴿ﷺ﴾ ترفقـه المخلص المؤ ثـر فى هذه الخطبة دفـاعـا عن انسانية المرأة وحقها . . ويمكن اعتبار هذا الدفاع المستمد من نصـوص القـرآن الكـريم ويقـين الـرسول العظيم دفاعا عن كل ضحايا الحيـاة القـائمـة على اللا شرعية ومحض القوة الغاشمة . . ثم ينتهى عليه الصـلاة والسـلام بنـداء مؤ ثـر مباشر الى المسلمين في الأرض حتى نهاية الزمان مبينا أن العبرة في سلامة الشعوب واستمراريتها عزيزة مكرمة هي بسـلامـة المبـادىء وصدق اتباعها وأنه لو مضى شخصه الكريم الى قدرة المقدور فان وجود الكتاب والسنة واتباعهما كفيلان بضمان العزة والفوز للمسلمين . .

وان أبلغ دليل على اتباع الكتاب والسنة هو صيانه الحق بين المسلمين كما شرعه الله لا كما تحرفه القوة المعتدية . . وهكذا فإذا مابريء المسلمون من التظـالم فيـما بينهم واذا لم يعتـد قويهم على ضعيفهم . . واذا ماظـل قرآنهم وسنة نبيهم هما المحكمين فيهم فإن عزتهم تظل مصونة وسعادتهم في الدارين مضمونة . .

ان المحتـوى العظيم لهذه الخطبـة لايحتـاج الى تعليق أبداً فهو واضح وضـوح الشمس . . أنهـا دفـاع حار عن مبـدأ الـولاء لله وحده وهو الولاء الـذي يتمثل في صيانه الشريعة . . ودفع الظلم وحفظ موازين العدل . . وتمتع كل انسان بثمرات سعيه بلا ضرر ولاضرار

مامن شك في أن رحلة الحـج المبـاركـة هي من أكـرم وأفضـل ماعرف

ويمكن ان يعرف الانسان من رحلات . . فإذا خلصت النية . . وصدق المسعى ، وكانت الوجهة امتثال أمر وأجتناب نهي . . وتطبيق شرعته . . فما أجمل ماينعم به المسلم من سعادة الدنيا والآخرة بما صدق في سعيه وما وجه لله وجهه وأخلص اليه نيته . .

ويانعم مايرتع به من رياض الجنة . . أولئك الذين يجودون بالدمع سخياً ضارعين خاشعين . . يسألون الله ـ وهم يطوفون حول بيته العتيق ، أو يصلون عند مقام إبراهيم ، أو يقبلون الحجر الأسعد . . أو يسعون بين الصفا والمروة . . أو يسلمون على رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن يغفر زلاتهم وأن يتجاوز عن خطيئاتهم ، وأن يشملهم بعنايته ورحمته . . فله الحمد واليه المشتكى ، وهو المستعان ، وبه المستغاث ولاحول ولا قوة الا به سبحانه . .

ولقد علمنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن العبودية الصادقة لله . . هي مفتاح كل خير ومن هنا شرعت التلبية ، فإذا صعد الحجيج مرتفعاً . . أو نزل واديا أو تحول من هنا الى هناك ، رأيت ـ وكأن الدنيا كلها ـ تلبي معه وتكبر معه وتدعو معه . . وتبكي خاشعة معه هؤلاء العباد المذنبون الضارعون الذين جاؤوا بافتقارهم اليه . . وذلهم بين يديه يدعون سميعاً قريباً مجيبا . . لايضيع مثقال ذرة . . ولاتخفى عليه خافية «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان» .

وعطاؤه لاينفذ . . وخيراته لاتنقضي . . والسعيد السعيد من شمر عن ساعد الجد . . حازماً أمره . . عازماً على المسير . . المسير الى مرابع الرضا والعطاء ليأخذ نصيبه كاملا غير منقوص «كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا» . .

وصلى الله وسلم على نبي الـرحمـة حيث يقـول: «عينـان لاتمسهـما النار. . عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله». .

هذا ملخص ما جاء في كتـاب الـدكتـور محمـد أديب صالـح الاستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود الكبير . . على الطريق . . وفي رحلة الحج وهي كلمات توضح أمامنا الحقيقة من وراء هذه الفريضة . .

أمـا شـيخنـا أحمـد الدهلوي . . فيرى أن المصـالح المرعية فـي الحج أمـور منـها:

تعظيم البيت فإنه من شعائر الله وتعظيمه هو تعظيم الله تعالى . .

تحقيق معنى العـرضـة فإن لكـل أمة اجتماعاً يتوارده الاقاضي والأذاني ليعـرف فيـه بعضهم بعضـا ويستفيدوا من احكام الله ويعظموا شعائرهم والحج عرضة المسلمين وظهور شوكتهم واجتماع جنودهم . .

يقول تعالى «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا».

موافقـة ماتـوارث الناس عن أبينا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . . فانهما اماما الملة الحنيفية ومشرعاها للعرب، والنبي ﴿ﷺ﴾ بعث لتظهر به الملة الحنيفية وتعلو به كلمتها وهو قوله تعالى «ملة أبيكم ابراهيم». . فمن الـواجب المحـافظـة على من ما استفـاض عن إمـاميهـا كخصال الفطرة ومنـاسـك الحج . . وهو قوله ﴿ﷺ﴾ «قفوا على مشاعركم فانه على أرث أبيكم إبراهيم».

أما الشيخ أبو الاعلى المودودي . . فيرى أن الحج أهم عبادة لله تعالى وأعظمها شأناً . . فلماذا يفارق الانسان عمله وتجارته وأبناءه وأصدقاءه . . ويعـاني وعثـاء السفـر الطـويل ومشقاته . . وعلى قدر ماينطوى عليه بعد

السفر، ويشعر بدنو الكعبة . . تزداد فيه عاطفة الحب، وتتضاعف جاذبية الشوق، وينفر قلبه من الذنوب والمعاصي ويندم على ذنوبه السالفة . . ويدعو ربه . . ويتضرع اليه أن وفقه لطاعته في الأيام الباقية من حياته، ويبدأ يشعر بلذة غير عادية في ذكر الله تعالى وعباداته . . ويسجد سجدات طويلة لايطيب له أن يرفع منها رأسه . . وكذلك عندما يتلو القرآن، فشتان بين مايحسه من اللذة وماكان يحسه منها من قبل . . وعندما يصوم يجد حلاوة ماكان يجدها من قبل . .

ثم عندما يدخل أرض الحجاز . . ويطؤها بقدمه . . يتمثل في عينيه تاريخ الاسلام في مراحله الأولى . . ويشاهد في كل بقعة من بقاع الأرض الطاهرة آثار الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . . واحبهم وأحبوه . . وضحوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم . . وتشهد له كل ذرة رملية فى تلك البقعة بعظمة الاسلام . . وتنطق كل حصاة من حصاها بان هذه هي الأرض المقدسة التي بدأ منها الاسلام وانبثق منها نوره . . وعلت منها كلمته . .

فهكذا يمتلىء قلب المسلم ولعا بالله تعالى وحبا لدينه ، وعندما يرجع الى وطنه . . يجد في قلبه أثرا من آثار الاسلام لايمحى الى آخر أيام حياته . .

والحج فيه الكثير من المنافع الدنيوية . . اضافة الى هذه المنافع الدينية . . فمنها أن مكة المكرمة قد جعلت مركزا للمسلمين . . تهوى اليه نفوسهم من جميع نواحي الأرض على اختلاف سلالاتهم وأوطانهم . . فيشعرون أنهم أخوة فيما بينهم وأنهم لايؤلفون بمجموعهم الا أمة

واحـــدة. . فكأن الحج هو عبـادة الله تعـالى في جانب. . ومؤتمـر عالمي سنـوى يفـد اليـه المسلمـون من جميـع نواحي الأرض وأقصـاها بالجانب الآخـر. . فهـو أكبر وسيلة. . وأنجح طريقة. . لتربية الأخوة الاسلامية العالمية على الاتحاد والمحبة والتعاون. .

وفي زاد المـعـــاد لابـن القيم. . من هدي رســـول الله «ﷺ» في يوم عرفـة، أن موضـع خطبتـه لم يكن من الموقف. . فرسول الله «ﷺ» نزل بنمـره. . وخطب بعـرفة. . وخطب خطبة واحدة ولم تكن خطبتين جلس بينهما. . فلما أتمها أمر بلال فأذن. . ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسـر فيهـا القـراءة. . وكـان يوم الجمعة. . ثم قام فصلى العصر ركعتين ومعه أهل مكة المكرمة. . فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف. .

فوقف في ذيل الجبل عند الصخرات. . واستقبل القبلة وكان على بعيره، فأخـذ في الـدعاء والتضرع والابتهال الى غروب الشمس وأخبر أن عرفه لاتختص بوقفـة ذلـك بل قال: «وقفت هاهنـا وعـرفـة كلها موقف»، فلما غربت الشمس. . واستحكم غروبهـا بحيث ذهبت الصفـرة أفـاض من عرفـة. . وأردف أسـامـة بن زيـد خلفـه. . وأفـاض بالسكينة قائلا «أيها النـاس عليكم السكينـة فان الـبر ليس بالايضـاع» اى ليس بالاســراع، وفاض من طريق المازمين ـ موضع بين عرفة والمشعر وهو في الأصل المضيق حيث يلتقي بعضها ببعض ويتسع ماوراءه ـ ودخل من طريق ضب وكان يلبي في مســيره ذلـك لم يقطـع التلبيـة. . فلما كان فى اثنـاء الطريق توضأ وضـوءاً خفيفـاً ثم سار حتى أتى المـزدلفـة فتـوضأ وضـوء الصـلاة ثم أمر بالآذان. . فأذن المؤذن ثم أقـام فصلى المغـرب قبـل حط الـرحـال. .

وتبريك الجمال . . فلما حطوا رحالهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى عشاء الآخـرة بأقـامة بلا اذان ولم يصل بينهما شيئا . . ثم نام حتى أصبح . وأذن في تلك الليلة لضعفـة اهله أن يتقـدمـوا الى منى قبل طلوع الفجر وكان ذلك عند غيبوبة القمر . . وأمرهم أن لايرموا الجمرة حتى تطلع الشمس . .

● لقـد حاولت فرنسـا منـذ بدايـة استعمارهـا للجـزائـر محو الشخصيـة الجـزائـريـة . . ولكن هذه الجنسيـة عنـدما حاولوا فرضها كانوا يشترطون على الجـزائـرى الـذى يقبلهـا أن يتخلى عن قانـون الأحوال الشخصية الاسلامي فى الزواج والطلاق والميراث . . كانوا يسعون الى القضاء على تعاليم الاسلام .

● كان الاستعمار طوال قرن و٣٢ سنـة ينكـر على شعب الجزائر جنسيته العربية الاسلامية . . كان يريد أن يقضى على هذا الشعب المناضل . . قبـل الحـرب العـالمية الأولى ظهرت شخصية لعبت دورا كبيرا فى التاريخ الجزائرى الحديث هذه الشخصية . . شخصية عبد الحميد باديس ـ الذى ولـد عام ١٨٨٩م وهـو من عائلة عريقـة في الجـزائر . . ومن قبيلة بربرية مشهورة هى قبيلة «صناجة» . .

● لقـد حمل باديس ـ رايـة الاسـلام . . فبدأ حركة تربوية ثقافية منذ عام ١٩١٣ . . واستمـر في هذا العمـل يكـون المدارس ويؤسس النوادي . . والمساجد . . ويقول . . اننى أربى تلاميذى على القرآن من أول يوم . . وفى كل يوم . . والغاية التى أهدف اليها هى أن يكون القرآن منهم رجالا كرجـال سلفهم . . وأعلق أنـا أمـالى فى تحرير هذه البلاد وفى انقاذها من هذه الهمجية الاستعمارية التغريبية الصليبية التى تعرضت لها . .

● استمـر ـ ابن باديس ـ فى هذا العمـل وفى عام ١٩٢٥ بدأ يبلغ الدعوة عن طريق الصحافة العربية الاسلامية . . فأنشأ جريدة ـ المنقذ ـ وجريدة ـ الشهـاب ـ ثـم مجلة ـ الجهـاد ـ وعنـدمـا بلغ عمـر الاحتـلال الفـرنسى للجزائر قرنا من الزمن . . إحتفلت فرنسا احتفالا ضخما وقررت أن يدوم هذا الاحتفـال مدة ستـة أشهـر . . وعملت استعـراضـات مسيحيـة . . وخطب الخطباء . . وقالوا اننا فى بداية هذا القرن ندفن جسد الاسلام فى الـتراب . . وأصبحت الجـزائـر فرنسيـة . . فى العـام التـالى مباشرة عام ١٩٣١م كون عبـد الحميـد ابن باديس جمعيـة أصـدقاء العلماء المسلمين الجـزائـريـين فى العـودة بالاسـلام الى منابعه الأولى وفي تكوين الأجيال المناضلة المجاهدة طبقا لقوله تعالى :

﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾

● فى هذا الظـرف الـذى تكـونت فيه جمعية العلماء نستطيع أن نميز ثلاثة تيارات سياسية كانت تعمل فى هذا الظرف ـ على الأفق الجزائرى السياسى .

● التيار الأول يرى بأن تحرير الجزائر ينبغى أن يكون عن طريق ادماجها بفرنسا ادماجا كليا وبالتالى يحصل المواطن الجزائرى على حقوق المواطن الفرنسى فى التعليم والثقافة وفي الحقوق المدنية . .

● أمـا مؤسسـو جمعيـة العلماء فقـد تلقـوا تعليمهم خارج الجـزائر، فابن باديس تعلم فى الـزيتـونـه والشيـخ الابراهيمى تعلم بالحجاز . . والطيب العقـرى تعلم كذلـك بالحجـاز . . لذلـك تطـالب هذه الفئـة بالتحـرير

الكامل للجزائر. وان السيادة لشعب الجزائر المسلم.

● وفئة ثالثة ترى الاستقلال مع الحماية الفرنسية..

● بدأ الشيخ عبد الحميد بن باديس - ١٨٨٩ - ١٩٤٠م نشاطاته التربوية فى فترة اتسمت بعدد من العوامل السلبية التى أرغمته على البقاء فى حدود التربية والتثقيف الاسلاميين بوصفهما عملا نضاليا يحول دون ايصال الهزيمة السياسية الى نهايتها المنطقية.. ومن أهم هذه العوامل:

● الضعف العام الذى عرفته مراكز التعليم الاسلامي في عموم الجزائر. وقلة المهتمين والقادرين على مواصلة الاعباء التربوية بعد سنوات طويلة من التخريب والقهر والتغريب الثقافى.. والفرنسية السياسية.

● وصول الانتقاضات الشعبية الى نتائج غير مرضية على الرغم من الصمود والبطولات.. ومعاناة الجزائريين المستمره اقتصاديا - فى أعقاب مجاعة ١٨٦٨ التى أدت الى وفاة مايقارب النصف مليون جزائرى - وسياسيا - من خلال احتلال الأجنبى وارغام الجزائريين على الانخراط فى جيش الاحتلال.. الأجنبى - واجتماعيا - بسبب تدهور الوضع المعيشى وآثاره فى البطالة والهجرة.. وثقافيا - من خلال ضرب الثقافة الاسلامية.. والقضاء على معظم مؤسسات التربية والتعليم ومنع تدريس اللغة العربية واحلال القوانين الفرنسية محل الشرع الاسلامى.

● ازدياد قوة فرنسا على أكثر من صعيد.. ففى الجزائر زادت قوتها بمجىء آلاف المستوطنين - من الألزاس واللورين - فى أعقاب الحرب

الفرنسية الالمانية ١٨٧٠ . . وبالسيطرة على تونس ـ ١٨٨١ والمغرب ١٩١٢.

● وسطيـة وانهـزامية المحاولات التى سبقت ابن باديس ورافقت نشاطاته والتى تمثلت باتجـاهـات تتراوح بين الـرفض الشكلى للاحتـلال . . والمطـالبـة بالمسـاواة مع الفرنسيين . . أو الدمج والتجنيس وقد مثلت هذه الاتجاهات تيارات متعددة من أبرزها :

● تيـار وحـدة النـواب المسلمـين . . الذى قاده الأمير خالد بن الهاشمى ابن الأمـير عبـدالقـادر الجـزائـرى . . الذى كان ضابطا كبيرا فى الجيش الفرنسى أثناء الحرب العالمية الأولى .

● تيـار دعـاة الاستقـلال ـ الـذى مثلتـه جمعيـة نجم شمال أفريقيا بادىء الأمر . . ثم حزب الشعب الجزائرى بقيادة أحمد مصالى الحاج «الجزائرى»

● تيـار اتحـاد المنتخبـين المسلمـين ـ الذى نادى بالدمج والتجنيس والذى تأسس عام ١٩٣٠م عن طريق تجمـع بين النـواب الجزائريين فى المجالس العمالية الثلاثة التى تؤمن بسياسة المراحل . . وكان من زعمائها الدكتور ـ محمود بن حلول ـ والصيدلي الأستاذ فرحات عباس ـ والدكتور الأخضرى ـ والدكتور ربيع الزناتى وغيرهم .

● الحوادث التاريخية التى أتذكرها اليوم عاشها شعب الجزائر المناضل . . وكـافـح من أجـل أن تبقى الجـزائـر دولة عربية اسلامية . . جاءت جمعية العلماء المسلمـين الجـزائـريـين فى أدق مرحلة عرفتها الجزائر المعاصرة . .

أتت لتتقاطع مع أكثر من خط . . مع فرنسا المستعمرة . . ومشاريعها اللاغية للجزائر تاريخا وواقعا وفكرا . . مع وضعية التردد واللاحسم من قبل عدد من التيارات المحلية . . مع الحاجة الملحة لمشروع جديد يقود الجزائريين عمليا نحو توازن أقوى مع قوات الاحتلال . . جاءت الجمعية لتقيم هذا التوازن ـ على المستوى الثقافى ـ الحضارى ـ الذى سوف يؤدى بدوره الى توازن على المستوى السياسى . . والتوقيت كان مناسبا ودقيقا اذ انه كما يقول الشيخ ـ البشير الابراهيمى ـ أحد مؤسسى الجمعية ـ لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى لما وجدنا فى الجزائر من يسمع صوتنا . .

● خرجت هذه الجمعية الى الوجود عام ١٩٣١م وكان مركز نشاطها الأول ـ فى نادى الترقى ـ بالعاصمة الجزائرية وقد تولى رئاستها منذ تأسيسها الشيخ ـ عبدالحميد بن باديس ـ وبعد وفاته خلفه الشيخ ـ الابراهيمى ـ الذى ظل رئيسا للجمعية وهو فى المنفى الى تاريخ حلها عام ١٩٥٦م بعد اندلاع الثورة بسنتين . . ومن مؤسسى هذه الجمعية اضافة الى ـ ابن باديس ـ والبشير الابراهيمى ـ نذكر الشيخ الطيب العقبى ـ والشيخ العربى التبس والشيخ مبارك الميلى .

● سعت جمعية العلماء الى محاربة الاحتلال السياسى . . والتغريب الثقافى . . والتجنيس والتحضير . . وأوضح نص يمكن ذكره حول أهداف هذه الجمعية هو المقال الذي كتبه الشيخ البشير الابراهيمى فى جريدة ـ البصائر ـ العدد الثالث سنة ١٩٤٧م والذى جاء فيه قوله :

« ياحضرة الاستعمار . . ان جمعية العلماء تعمل للاسلام باصلاح

عقـائـده . . وتفهم حقـائقه . . واحياء آدابه وتاريخه . . وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها . . وتطالبك باستقلال قضائه . .

تسمى عدوانـك على الاسـلام ولسـانـه ومسـاجـده وقضـائه عدوانا بصريح اللفظ . .

وتطالبك بحرية التعليم العربى . .

وتدافع عن الذاتية الجزائرية التى هى عبارة عن العروبة والاسلام . .

وتعمـل لاحيـاء اللغة العربية . . وآدابها وتاريخها فى موطن عربى وبين قوم من العرب . .

وتعمـل لتمكـين أخـوة الاسلام العامة بين العربى والعربى لأن ذلك طريق لخدمة اللغة والأدب . .

● أمـا الشيـخ ابن باديس فيقـول عن أهـداف الجمعيـة «اننا نريد نهضة شعبيـــة قويـة . . تجلى شخصيـة الشعب الجـزائـرى . . وتكشف مجده الماضى بما ينير له طريق الحياة . . من جديد . لا أقول مكررة عن سياسة انتخابية يديرها الاستعمار . . ادارة تزيد فى تمكينه من غير أن يشعر بذلك أحـد ممن راضهم عليهـا وسخرهم لخدمتها . . نريد تفاعلا جزائريا يتركز على اعـداد نشء صالـح تتمثـل فيـه عنصرية الجدود . . فينهض نهضة اسـلاميـة عربية تأخذ من عظمة الماضى ويقظة المستقبل الباسم ـ ويتابع معتـبرا نشـاط الجمعيـة دعـوة . . الى ماكـان عليـه السلف الصـالح من التمسك بالقرآن الشريف والصحيح من السنة الشريفة .

● هكذا عاشت الجزائر فى نضال من أجل الحفاظ على كيانها . . وقيمها الانسانية . . وقفت فى وجه الاستعمار . . ومعها كل الشعوب الاسلامية

. . يقول الشيخ الابراهيمى ـ عن الاستعمار الفرنسى . .

«جاء الاستعمار الى الجزائر يحمل السيف والصليب ذلك للتمكن . وهذا للتمكـين . . فملك الأرض . . واستعبـد الرقاب . . وفرض الجزية . .

وسخـر العقـول والابـدان . . ولـو وقف عند حدود الدنيويات لقلنا تلك طبيعـة الاستعـمار الجائع تدفعه الشهوات الى اللذات فيجرى الى مداها ويقف وتـدفعـه الى الحيوانية فينتقم . . ولكنه كان استعمارا دينيا مسيحيا وقف للاسـلام بالمـرصاد من أول يوم وانتهك حرماته من أول يوم . . فابتز أمـوالـه الموقوفه بالقهر . . وتصرف فى مساجده بالتحول والهدم . . وتحكم على البـاقى منهـا بالاحتكـار والاستبداد . . وتدخل فى شعائره بالتضييق والتشديد . . كل ذلك بروح صليبية تشع بالحقد وتنضح بالانتقام . . ولم يكتف بذلـك حتى احتضن اليهـودية وحمى أهلهـا وأشـركهم فى السيادة ليؤلبها مع المسيحية على حرب الاسلام . . ويجندها في الكتائب المغيرة عليه . .

هذه الصفحـة من تاريـخ الجـزائر المناضل . . الذى نال استقلاله بعد جهـاد طويـل . . وبعـد كفـاح لم ينقطـع . . وبعد أن ضحى بالكثير من أبنائه من أجل عقيدته . . وحريته وسيادته . .

الحج رحلة قدسية . . وموسم روحى . . وعيد رائع . . ومؤتمر كبير من مؤتمرات الاسلام والمسلمين الخالدة . . فيه يتشاور الناس . . ويتعارف البشر . . وتأتلف القلوب . . وتتآزر القلوب . . وتصفو المشاعر . . منافع وفوائد . . اقتصادية واجتماعية وثقافية وفكرية . . فى رحاب هذه الرحلة القدسية التى يؤديها ضيوف الرحمن . . عن عقيدة راسخة . . ونية صادقة . . ونفس مشرقة . . وقلوب ملؤها الايمان والرغبة . . تحيط بهم أنوار الروح . . وتحف بهم الملائكة . . يهون عليهم كل مايلاقونه من صعوبات ومشقات فى السفر والتنقل . . وترك الأهل والولد والأوطان . . وأداء المناسك والشعائر . .

فى رحاب الحج يجتمع المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها . . على اختلاف الوانهم وأجناسهم ولغاتهم وثقافاتهم . . يأتون من كل فج عميق . . ليشهدوا منافع لهم . . ويحققوا لأنفسهم الركن الخامس من أركان الاسلام . . يفدون الى أرض مقدسة . . هى مهبط الديانات . . ومهد الحضارات . . ومصدر الرسالة . . احتضنت دين التوحيد العظيم . . وهو الاسلام الذى بدد ظلمات الكفر والشرك . . وقضى على العصبية فى جزيرة العرب . . وعم نوره آفاق الأرض من المحيط الى الخليج .

ان اجتماع ضيوف الرحمن فى بيت الله الحرام . . وفى رحاب المشاعر المقدسة زرافات ووحدانا من جميع الآفاق والأجناس . . هو استجابة لدعوة الخليل ابراهيم عليه السلام . . وشهود لمنافع وفوائد الحج الدينية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية . . وهو اجتماع له حكمته النبيلة . . وغايته السامية . . وترسيخ الروابط بينهم . . وجمع شملهم . . واتحاد قلوبهم . . وتوحيد صفوفهم . . واعلاء كلمة التوحيد . . فيعمهم بهذا اللقاء الروحى الصفاء والسكينة والطمأنينة والاستقرار . . فيخلعون رداء الخلاف . . وينبذون الفرقة . . ويرتدون ثياب التعارف . . ويعتصمون بالله . . ويتمسكون بحبله المتين . . ويتعايشون بظل الله . . يوم لاظل إلا ظله .

والحج علاوة على كونه فريضة . . فهو نوع من الجهاد . . جهاد بالنية والعزيمة . . لأنه توبة وانابة . . وقربة واخلاص . . وحمل قلب المؤمن على أن لايكون الا لله وحده . . ولاينشغل بسواه . . وهو جهاد بالمال . . لأن الحج يحتاج الى النفقة والصدقة والضحية . . وهو جهاد بالحس والجسم . . لما فيه من تحمل لمشقات السفر والترحال .

ان الحج استرجاع لذكريات الماضى العريق . . للاستفادة بما بين طياتها من دروس وتجارب وعبر . . فماذا عن ذكريات الماضى العريق؟

البداية منذ أكثر من عشرين قرنا من الزمن . . والمكان هو مكة المكرمة . . واد غير ذى زرع . . أرض قفراء لازرع بها ولا ماء . . صحراء قاحلة . . منطقة موحشة مخيفة ليس بها انسان أو طير أو حيوان . . وينتهى ابراهيم عليه السلام من بناء البيت العتيق . . الكعبة المشرفة فى

هذا المكان الموحش الخالى . . ويأمره الله سبحانه وتعالى أن يؤذن فى الناس بالحج . . فى بقعة خالية من البشر . . ولايعيش بها الناس .

أمر عجيب حقا لايصدق . . وهو فوق قدرات الانسان القاصرة المحدودة . . كيف لابراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج فى هذه البقعة الخالية . . حيث لايسمعه بشر . . ولكن قدرة الله فوق كل شىء . . وحينما يريد سبحانه صنع معجزة . . فإنه يذلل لها كل الصعاب . . ويخرق لها لاقانون البشر . . ذلك القانون الذى تعود عليه الناس . . ويؤذن ابراهيم فى الناس بالحج . . وتطوى الجبال الراسخات . . وتردد آفاق الأرض من أقصاها الى أقصاها دعوة ابراهيم بالحج . . فيسمعها الناس جميعا . . حتى من كان فى بطن أمه سمعها ولبى لله سبحانه ! !

انها ارادة الله سبحانه وتعالى . . ومعجزته الكبرى فى هذا الكون . . ولقد كان آذان ابراهيم عليه السلام فى الناس بالحج . . وسماع الناس فى كل أرجاء الأرض لنداء ابراهيم . . رغم بعد المسافات الشاسعة . . معجزة كبرى . . كمعجزة القاء ابراهيم فى النار ونجاته منها . . رغم أن النار لم تفقد خاصيتها وقانونها بالاطفاء أوبنزول المطر . . أوضخ المياه عليها . . حتى لايقول الكفار لولا نزول المطر أو ضخ الماء لأحرقت النار ابراهيم . . وحتى تكون المعجزة معجزة حقيقية . . تبقى النار محتفظة بخاصيتها وطبيعتها . . ومع ذلك لايحرق ابراهيم وينجو من النار لأن الله سبحانه وتعالى خرق قانون البشر ! ويلبى الناس الدعوة . . وتقبل أفواج الحجيج من كل صوب وحدب الى أرض النور والقداسة والطهر . . الى

مكة المكرمة . . وعبر العصور والقرون تتوالى مواكب الحجاج على مكة المكـرمـة . . لأداء المنـاسـك والشعـائـر . . والطـواف بالبيت العتيق . . والسعى بين الصفـا والمـروة . . والارتواء بماء زمزم الطهور الشافى . . قال ﴿ﷺ﴾ : ماء زمزم لما شرب له».

وتمـر الأيـام . . وتنقضى الأعـوام . . وفى شهـر ذى القعـدة من السنة العـاشـرة للهجـرة . . يعلن الـرسـول ﴿ﷺ﴾ عزمـه على الحـج فى هذا العام . . وما أن أذيع هذا النبأ حتى تدافعت الجموع المؤمنة متسابقة نحو البلد الحـرام . . متطلعـة الى شرف الصحبـة . . متلهفـة الى اللقـاء بالـرسـول الكريم . . بعد أن أصبح البيت الحرام للمؤمنين وحدهم . . وتطهـر من أدران الشـرك والأوثـان والأصنـام . . لايطـوف به مشـرك . . ولايقربه كافر . . وصار مثابة وأمنا للطائفين والعاكفين والركع السجود.

وراحت الجمـوع الحـاشدة الهائلة تلتف حول الرسول الأمين . . وقد أقبلت من كل فج عميق . . لتشهـد المنـاسـك . . وتؤدى الشعـائـر . . وتعلن للعـالم كله عظمـة المسلمين ووحـدتهم وتآلفهم . . وكـان محمـد ﴿ﷺ﴾ قد أدرك بشفـافيـة النبـوة . . واشـراقـات الـرسالة الخالدة . . أن الدعوة قد اكتملت عناصرها . . واتسق نظامها . . وحققت أهدافها . . وبلغت غايتهـا . . وتم لها كل ماجـاهـد من أجله أشـرف المرسلين محمد ﴿ﷺ﴾ . . وأحس وشعـر بأنـه قد لاتتـاح له فرصة لقاء المسلمين . . فى صورة هذه الجموع الحاشدة . . على هذه الصورة البالغة . . من الوحدة والتضامن والتآلف.

وارتفـع صوت محمـد ﴿ﷺ﴾ ليصل الى كل قلب . . وينساب فى كل

وجـدان . . ويسـرى فى كل نفس وروح . . ويسيطر على كل الأحاسيس والمشـاعـر . . أيهـا الناس اسمعوا قولى . . فإنى لا أدرى على لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا .

وينبعث صوت الـرسـول الأمـين كالنـور يرسم معـالم الطريق . . نحو الحيـاة ومستقبل الاسلام والمسلمين . . فيؤكد حرمة النفس الانسانية . . ويـرسى دعـائم حقـوق الانسـان فى مالـه ودمـائه وعرضه . . ان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم . . كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . . وكحرمة بلدكم هذا .

ثم يذكـر الأمـة الاسلامية بأن الأمانة عبء ثقيل وخطير . . ومسئولية جسيمـة . . وان ضيـاعهـا نذيـر بتفتت القـرى . . وخـراب المجتمع . . وتـدمـير الحيـاة . . وان الـربـا حرام . . لأنـه استغـلال خبيث . . وظلم فاحش . . ومعـاملة جائـرة . . تقطـع العـلاقـات . . وتمـزق الروابط . . وتـدمـر اواصـر الحب والتـآخى . . من كان عنـده أمانة فليؤدها الى من ائتمنـه عليهـا . . وان كل ربـا . . موضـوع . . وان لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون .

وتمر الأيام والسنون . . وترفرف فوق ربوع الجزيرة العربية راية العهد السعودى الزاهر . . ويأتى البطل التاريخى . . صقر الجزيرة وموحدها . . ومؤسس المملكـة العـربيـة السعودية وبانيها وراعيها . . المغفور له جلالة الملك عبـد العـزيز آل سعود . . فيطبق تعاليم العقيدة الصافية النقية . . ويحكم شريعة الله فى الأرض . . الشريعة الاسلامية . . وينشر الأمن . . ويرسى دعائم العدل والحق والرخاء . . وتكثر فى عهده أفواج الحجيج . .

ويتوافد الناس من كل حدب وصوب لأداء المناسك . . في ظلال نعمة الأمن والأمان والسلام . .

ويأتى خادم الحرمين الشريفين . . وحامى المقدسات الاسلامية . . وقائد مسيرة الخير والأمن جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز المفدى . . فتكثر في عهده الميمون مشروعات الحج من أجل راحة ضيوف الرحمن . . ويتسير أداء المناسك . . وتعبد الطرق والشوارع . . وتقام الكبارى والجسور . . وتشق الانفاق . . وتبنى المستشفيات فى منطقة المشاعر من أجل علاج ضيوف الرحمن . . وتؤمن المواد الغذائية والدواء والماء وكل وسائل راحة الحجيج واستقرارهم وأمنهم . . وتقام مراكز الاستقبال والارشاد والاستراحات فى كافة مداخل المملكة ومدنها . . ولعل أهمها مفخرة للعالم الاسلامى كله بناء وتشييداً وروعة . . مدينة حجاج الجو بجدة . . وتؤمن سيارات نقل الحجاج المجهزة والمكيفة . . وتبنى الدولة العمارات السكنية الضخمة لسكن الحجاج وراحتهم . . وتعد المشروعات الضخمة لتوسيع الساحات المحيطة بالحرم الشريف بمكة المكرمة . . وتنفق المملكة آلاف الملايين من الريالات لاقامة مشروعات الحج فى منى وعرفات ومنطقة المشاعر المقدسة .

وتفتح المملكة ذراعيها كل عام لضيوف الرحمن . . وعلى مدار السنة كلها للزوار وقاصدى العمرة . . وتوفر كل وسائل الراحة والأمن والطمأنينة .

والمملكة حين تجند كل امكانياتها . . وتحشد كافة قدراتها من أجل راحة الحجيج وخدمتهم . انما يأتى من منطلق أن المملكة هذا قدرها . .

وهـذه مكـانتهـا التى أراد لها الله أن تكـون عليها . . حارسة للمقدسات الاسلامية . . وحامية للاسلام . . ورائدة وقائدة للأمة الاسلامية .

فمتى يستغـل المسلمـون موسم الحـج الـرائع . . ومتى يستفيدون من هذه الرحلة المقدسة؟!

أدباء العـرب لايقفون موقفًا
واحدًا من قضايا عصرهـم الكبرى !

■ فى مدينـة مكـة المكـرمـة وفي حي الـزهـرء التقيت بالاستـاذ الأديب عبـدالكـريم عبـدالله نيازي . . صاحب العديد من المؤلفات الادبية . . «وداعـا يادرب زبيـدة»، «شكوى العباقرة»، «حكايات للناس والزمن»، «احـاديث من أرض النـور» التقيت به لاتحـدث مع سيـادتـه عن مختلف قضايانا الادبية والفكرية المعاصرة .

والاستـاذ الاديب عبـدالكريم عبدالله نيازي معروف بعمقه الفكري على مستـوى العـالم العـربي والاسـلامي وهـوعضـوبارزفي نادي مكـة المكـرمـة الثقـافي، الى جانب مسـاهماتـه الفعالة في العديد من الصحف والمجلات المحلية والعربية . . ويسعدني ان انقل لقراء (اليوم) هذا الحوار الـذي داربيني وبـين الاستاذ نيازي . . ولاانسى قبل بداية هذا الحوار ان اذكـر أن الاستـاذ النيـازي من الخطبـاء البـارزين، فلقد شهدت له منابر الخطـابـة في مكـة المكـرمـة والعديد من الدول الاسلامية مواقف لاتنسى على مر الايام .

فلنعش مع الاستاذ النيازي في هذا اللقاء الفكري .

في بداية لقائي مع الاستاذ النيازي . . قلت له :

■ **اين موقـع الاديب العـربى المعـاصـر من واقـع الاحداث التي يمر بها العالم العربي؟**

■ يمكن تلخيص موقف الاديب العربي من الاحداث بصفة خاصة بانه ليس منفصــلا انفصــالا تامـا عن احـداث عصـره ولكن اتصـالـه بهذه الاحداث يتسم بسمتين:

السمة الأولى.. ان الاديب العربي ليس واسـع الاطلاع على احداث عصـره، وكثـيرا من هذه الاحـداث لايعـرف عنها الاديب اكثر مما يعرف عنها القارىء العادي من الصحف اليومية.

والسمة الثانية.. هى ان الادباء العرب لايقفون موقفا واحدا من قضايا عصـرهـم الكـبرى. وهـذا ينعكس بالتالي على مدى استجابة قرائهم بما يكتبـون وهـاتان السمتان ترجعان الى ظروف كثيرة من اهمها عدم وحدة الثقـافـة، فالثقـافـة العـربيـة المعـاصرة متشعبة الاتجاه.. بعضها تراثي وبعضهـا حديث.. والعنصـران يتمايزان.. لم تستطع العقلية العربية ان توجد بين هذيه العنصرين التناسق المطلوب وهو أمر بالغ الأهمية لتكوين المواطن المسلم.

وسألت الأستاذ عبدالكريم نيازي..

■ لماذا اختفى النقـد الادبى من وقـاع الادب العـربي المعـاصر والى اين تسير الدراسات الادبية في ادبنا الحديث؟

قال بصراحته المعهودة:

النقد الادبى لم يختف من الحياة الادبية كل ماهنالك ان نقدنا الحديث ظل فترة من الزمن يستوحي مقاييس اجنبية. وكان هذا سبباً في وجود هوة تفصـل بينـه وبين الانتاج الادبي.. واحساسا من النقد بوجود هذه الهوة

بدأ يراجع حسابه . . وفي رأيي انه لايزال يمر بمرحلة مراجعة الحساب هذه .

اما الدراسات الادبية فهي كثيرة الكم دون شك ولكن يغلب عليها طابع السرعة والسطحية مع ان الدراسة العلمية بالمعنى الصحيح ينبغى ان لايبخل الدارس عليها بوقت او جهد وهو مالا نراه يتوفر لدى كثير من ناشئة الباحثين الدارسين

وقلت للأستاذ النيازي . .

■ الادب الرمزي . . هو الصبغة التى يمتاز بها ادب الشباب مارأيكم في هذا الادب . . وهل اضاف الادباء الشباب جديدا في الادب العربي؟؟

فأجاب : كان الاتجاه الرمزي طابعا مميزا للانتاج الادبي منذ الثلاثينات غير ان استمرار الادب الرمزي في اوروبا جعله يستمر ايضا في الاقطار العربية . ولذلك يغلب على الشعر الحديث كثيرا ما يكون واقعياً . . ومعنى ذلك ان الاسلوب الرمزى اصبح تقليدا متبعا من جانب شباب الشعراء . . اخذوه عن شعراء الثلاثينات وقد تمسك بهذا الاسلوب الرمزي انصار الشعر الحر . . وقد اعانهم على ذلك معالجة الشعر الحديث لموضوعات تتسم أفكارها بالعمق رغم أنها منتزعة من الحياة الواقعية . وقد شاركت القصة القصيرة والرواية الشعر في هذا الاسلوب الرمزي ما يمكن معه ان نقول ان الاسلوب الرمزي اصبح سمة من سمات الأدب المعاصر . . وهو اسلوب يوائم فترة القلق التي يمر بها شباب الادباء في هذه الايام . . أما كبار الادباء فقد يعمدون الى ذلك الاسلوب الرمزي هروبا من ابداء الرأي الصريح فى بعض الموضوعات الشائكة

وعلى أي حال . . الادباء العرب بصفة عامة يستدثون الادباء الغربيين فيما يتصل بالاسلوب الرمزي .

اما عن اضافة الادباء الشباب الى الادب العربي فلا سبيل الى انكارها فهؤلاء الشباب يمثلون استمرار حركة الشعر في البلاد العربية . . ولولاهم لتوقفت هذه الحركة ، ولكن القضية هي تقييم انتاجهم وهو ماتختلف فيه الآراء احيانا بين انصار القديم وانصار الحديث .

وسألت الاستاذ عبدالكريم عبدالله نيازي . .

■ القصة والشعر والمقالة الادبية كانت تحتل مكانة كبيرة فى المجلات المتخصصة وغير المتخصصة في الوطن العربي اما الآن فقد اصبحت هذه المجلات تمتلىء بالمقالة الصحفية فقط . . واصبح الكتاب لايهتمون بالاسلوب الادبي . . ماهى الاسباب التى أدت للوصول الى هذا المستوى؟

ـ فأجاب بقوله :

في رأيي ان انتاج الشعر، والقصة ، والمقالة الادبية لم يفتر كثيرا كل ماهنالك ان اسلوب الكتابة هو الذي مال الى السهولة واليسر وكان ذلك حرصا من جانب الكتاب على تيسير الفهم لأوسع دائرة ممكنة من القراء وهذه محاولة طبيعية سبقت بمثيلاتها في تاريخ الادب العربية ويمكن ان نضرب مثلا على ذلك باسلوب ـ ابن المقفع ـ السهل المرسل الذي اتجه به الى العامة والخاصة من القراء . . وسهولة الاسلوب لاتعني انحطاط مستوى العمل الادبي اذا ما سلمت له مكوناته الاخرى .

وقلت للاستاذ النيازي

■ الكتاب العربي هل أثبت وجوده بين الكتب العالمية

ـ فرد بقوله :

للكتاب العربي مجال لايمكن ان ينازعه فيه غيره من الكتاب ويتمثل هذا المجال فى القراء العرب ودائرة القراء العرب تتسع أو تضيق بحسب اتساع دائرة الامية أو ضيقها ، ولا اظن ان كتابا آخر يمكن ان ينافس الكتاب العربي ثقافيا حتى لدى اولئك القارئين باللغات الاجنبية من بين العرب كل ما هنالك ان الكتاب بصفة عامة يمر بأزمة في كل انحاء العالم وهى أزمة ترجع الى طبيعة الحياة المعاصرة التي تتسم بسرعة الايقاع وضيق الوقت . . وازدحام وقت الفراغ ، بوسائل مختلفة للتسلية ، وإكتساب المعرفة . . كأشرطة التسجيل والتلفزيونات وما الى ذلك ، ولكن ذلك لايعنى ان الكتاب قد نزل عن مكانته التاريخية لانه لايزال وسيظل أبداً الوسيلة الأولى لاكتساب المعرفة على مختلف مستوياتها . بل انه يعد الاساس الذي ترتكز عليه تلك الوسائل الأخرى فما من عمل يمثل اويعرض او يسجل الا وله اصل مكتوب . . ومعنى ذلك اننا اضفنا الى الكتاب ولم نتخل عنه .

وعن جائزة الدولة قلت للاستاذ النيازي :

■عمدت الدولة الى تقديم جائزة تقديرية للادباء باسم «جائزة الدولة التقديرية للأدب» وقد فاز بها في هذا العام كل من احمد السباعي ، عبدالله بن خميس ، حمد الجاسر ، ما رأيكم في الجوائز التقديرية للادباء ، وما هى الصورة التي ترسمونها لمستقبل الادب في بلادنا الحبيبة؟

- فأجاب سيادته :

لاشك ان جوائز الدولة التقديرية لها كبير الاثر في دفع الحركة الادبية الى الامام . . لأن الادباء بهذه الجوائز يعرفون ان الدولة تقدر جهودهم ، وتعرف لهم مكانتهم وخطورة دورهم في تطوير مجتمعاتهم من الناحية الثقافية ويخيل الي ان مستقبل الادب في اية امة يرتبط ارتباطا وثيقا بمستقبل الحياة العامة فيها . . فالأدب يمثل جانبا من جوانب هذه الحياة العامة يرتفع بارتفاعها ويهبط بهبوطها ، ولا يعلم الغيب الا الله ، ولكن الدلائل تشير الى ان الامة العربية تتحسس طريقها نحو المجد . . والسنوات المعدودات لاتعد شيئا في تاريخ الامم ونرجو ان يحمل المستقبل للعرب والمسلمين كل تقدم وتحضر ورقي .

■ **وحول النوادي الادبية . . قلت للاستاذ عبدالكريم :**

النوادي الادبية والثقافية في المملكة تقوم بدور ايجابي فعال في نشر الادب والثقافة وتشجيع الشباب ماهي مقترحات سيادتكم لهذه النوادي؟

- فأجاب بعمق ووضوح

للنوادى الادبية دور هام في تعريف الشباب بالحركة الادبية المعاصرة لهم . . ودورها في هذا الصدد لاغنى عنه فعن طريق هذه النوادي وحدها يمكن لعقول الشباب ان تتصل اتصالا مباشرا بعقول الادباء من الاجيال السابقة عليهم . . ولاشك ان التواصل العقلي المباشر امر له اهميته ولايمكن ان يغني الكتاب والصحيفة الادبية غناء النوادي الثقافية والادبية في هذا الاحتكاك غير ان مما يلاحظ ان اقبال الشباب على

النوادى الادبية والاسهام فى نشاطها لم يعد كما كان من قبل ومن هنا كان على النوادى الادبية أن تتخذ من الوسائل مايجذب اليها هؤلاء الشباب كأن تنظم لهم محاضرات ومناظرات يسهمون فيها بدلا من ان يكونوا دائما في موقف المتلقي ، كما ينبغى ان تنشــر اعــمالهم الجيـدة في مجلة تخصص لذلك يصدرها النادي كما يمكن ان تيسر النوادي للشباب وسائل القراءة والاطـلاع وان تتخـذ من وسائل الاعلام الحديثة طرقاً لتوصيل نوع معين من المعرفة للشباب وذلك عن طريق اختيار الافلام والتسجيلات الثقافية وبخـاصـة تسجيـلات بأصـوات الشعـراء يلقون بها شعرهم . . وبذلك تضمن النوادي الادبية اقبال الشباب عليها وعلى المشاركة في نشاطها .

وعن النقد الادبي سألت سيادته

النقـد الادبي . . الأصـالة . . حرية الرأي . . امور يجب ان يتميز بها الادب العربي . . اين موقعنا من هذه الامور . . وهل توجد في أدبنا هذه العناصر؟

ـ فأجاب بقوله :

اعتقــد ان هذه العنـاصـر موجـودة في النقـد بقـدر ما هي موجـودة في الادب . . فليست مهمـة النقـد الا تفسير الادب وتقييمه ومعنى ذلك ان النقد لايمكنه ان ينفصل عن الادب . . بل من طبيعة مهمته ان يسير مع الادب جنبا الى جنب . . ومهمة التفسير والتقييم تعنى ان النقد ليس في وسعه ان يقدم عناصر جديدة لم توجد في الادب . . وحتى لوقلنا ان النقد من حقـه ان يشـرع للادب فان ذلك لايعني ان الجديد المطلوب يأتي عن طريق النقد بل ان الادب هو الذي يأتي بذلك الجديد . . ومما لاشك فيه

ان هذا التـلازم بين النقـد والأدب يجعـل كلا منهما متأثرا بالاخر مؤثرا فيه بحيث ينهضان معا او يهبطان معا . .

واذا ماحـدث غير ذلـك فانـه يعنى وجود خلل ما في الحياة الادبية . . فاذا نشـط الادب وتخلف النقـد كان معنى ذلـك ان الادب لا يرتكز على اساس عقلي متين . . وإذا نهض النقد وتخلف الادب كان معنى ذلك ان النقـد يستعـين بروافـد من خارج بيئته الثقافية وهوبذلك يعد نقدا نظريا لايـوافق الحـركة الادبية المعاصرة له . . وقد كان من عيوب الفترة السابقة ازديـاد نشـاط الحـركة النقدية بشكل طغى على نشاط الحركة الادبية . . وكان ذلك نتيجة لاستيحاء النقد العربي للنقد الاوروبي ولم يكن ذلك في صالـح الانتـاج الادبي لانه انفصم كما قلت عن الواقع الادبي . . ولكن هذه الفـترة لم تدم طويـلا لحسن الحـظ وعـادت حركـة النقد الادبى الى التوازن من جديد .

وعن مدى تأثير الكلمة قلت للاستاذ الاديب عبدالكريم نيازي

من واقع جهادكم في ميدان الكلمة كانت الكلمة تؤثر في المجتمع اما الآن فتمر الكلمة دون ان يكون لها اثرها الفعال . . ماهو تفسيركم لهذه الظاهرة التى تواجه الاديب والمجتمع ؟

فأجاب بقوله :

لايـزال للكلمـة الصـادقـة تأثـيرهـا في النفس البشـريـة فهذه طبيعة الانسـان الـذي فطـره الله عليهـا وهى ان يتأثـر بالكلمـة اذا ماكـان لهذه الكلمـة مضمـون واذا كانت الكلمـة قد فقدت تأثيرها في بعض مجالات الكتـابـة في حيـاتنـا المعاصرة فان ذلك يعني ان الكلمة في هذه المجالات

لايـدعمهـا مضمون تعد هي تعبيرا صادقا عنه . . ولكن ذلك والحمد لله يعـد من الظـواهـر المحـدودة . . وحتى ان جازت مثل هذه الكلمات على القــارىء بعض الــوقت فانهــا لاتلبث ان تكشف عن طبيعتهـا بحيث لايصـح في النهـايـة الا الصحيـح ولـذلك فان الحركة الادبية بصفة عامة لاتـزال تعـبر بصـدق عن حيـاة الامـة ومشاعرها وآمالها اما ذلك الانتاج الادبى المصنـوع فلا يمثـل الا جزءا من الانتـاج الادبي العـام . . وتقدم الوعي . . ومعرفة جماهير المثقفين بماضيها وحاضرها . . وتصورها السليم لمستقبلها كل ذلك كفيل بتبرئة الحركة الادبية من الكلمات غير الصادقة .

■ سألت الاستاذ النيازي . . الشاعر والاديب : ماذا تعني هذه الكلمات لديكم : المحبة ، الصداقة ، الفضيلة ، العطاء ، الايثار .

ـ فأجاب بقوله :

■ المحبة تعنى العطاء ودون الانتظر لمقابل

■ الصداقة . . هى الصدق مع الأخرين في كل الظروف

■ الفضيلة . . الاخلاص للمبدأ او المثل الاعلى ولو تنكر له كل الناس .

■ العطاء . . بذل ما انت في حاجة اليه .

■ الايثار . . رعاية مصلحة الآخرين على حساب مصلحتك .

ـ وقلت للاستاذ عبدالكريم عبدالله النيازي :

مدينة مكة المكرمة كما نراها اليوم تستقبل مئات الالوف من الوافدين لاداء فريضة الحج وهي تعيش اجمل ايامها . . ماذا تعنى مكة المكرمة في قاموس سيادتكم ؟

- فأجاب سيادته :

مكة المكرمة تعنى بالنسبة لي ماتعنيه بالنسبة لكل مسلم ، فمنها نشأنا كمسلمين لان أرواحنا تهفو اليها . . ومكة المكرمة هي قبلتنا لا في الصلاة فقط بل هي قبلة المسلمين في آمالهم ايضا لمستقبل زاهر . . ومكة المكرمة هي فى الحقيقة مرآة للعالم الاسلامي . . فليست هناك بقعة على وجه الارض يمكن ان تمثل المجتمع الاسلامي تمثيلا صادقاً الا مكة المكرمة . . وبخاصة في ايام الحج فمن أراد ان يعرف واقع المسلمين فليأت الى مكة المكرمة فى موسم الحج وسيرى ذلك الواقع ينعكس فى مرآة مكة المكرمة بكل الوضوح والصدق . . فاذا ما دعا المسلم صادقا بالخير لمكة المكرمة فقد دعا للمسليمن جميعا . . ومكة بهذا هي بلد كل مسلم يحس فيها بقدر من الامن لايحس به في أي مكان آخر . . وصدق الله العظيم الذي وصف مكة بانها «البلد الامين» ووصف الحرم بانه «آمن» فالامن من ابرز صفات مكة المكرمة .

أما كلمتى لحجاج بيت الله الحرام فهي رجاء بان يحاولوا ان لا يرجعوا الى اوطانهم بعد اداء فريضة الحج كما كانوا . . ارجوهم ان يتغيروا وان يمروا بتجربة الحج لا على انها مجرد حركات جسمية بل على انها مع ذلك حركات نفسية وذلك بتدبر المعاني العميقة في شعائر الحج فلو تمثلوها كما ينبغى ان يتمثلوها لكان في ذلك ارتفاع بمستوى الواقع الاسلامي درجات الى اعلى . . ارجوهم ان يتمثلوا قول الله تعالى : «لن ينال الله لحومها ولادماؤ ها ولكن يناله التقوى منكم» صدق الله العظيم .

وعن الاعلام العربي سألت الاستاذ النيازي :

والاعلام العربي بعيد في واقعه عن احداث العالم العربي كيف يمكننا بناء اعلام عربي قوي . . يقف مع الاحداث جنباً الى جنب ويعالجها بموضوعية وصدق؟

ـ فأجاب بكل صراحة . . كعادته دائما :

لاشك ان تخلف العالم الاسلامي في مجال الحياة المادية بالنسبة للمجتمعات الغربية يفرض على العالم الاسلامى اوضاعا لا يرضاه . . ويكفي ان نعلم ان مراكز الاتصال العالمي بمختلف اشكاله تقع في اوروبا لا في العالم الاسلامي ولذلك فان وسائل الاتصال هذه بمختلف اشكالها ايضا تتشكل بالشكل الذي يريده لها الاوروبيون . واذا ما ارادت اعلاما صادقاً نشطا في بلاد العالم الاسلامى فلا بد من ان تكون لديك مراكز التحكم في وسائل الاتصال هذه اما قبل ذلك فانت عالة على غيرك ، ولايمكن ان يتم لك الاعلام الذي تريده الا باستقلالك في التحكم في مراكز الاتصال الخاصة بك .

وفي ختام هذا اللقاء قلت للاستاذ عبدالكريم عبدالله نيازي :

الادب المقارن . . هل في سماته مايدل على عمق الاديب المعاصر وقدرته على العطاء؟

ـ فأجاب سيادته بقوله :

يقوم الادب المقارن اساساً على دراسة الادب في اتصاله بغيره من الوان النشاط الثقافى الانساني التي من شأنها ان تشكل الادب تشكيلا خاصا . .

ان الدراسة الكاملة للادب لا تتم الا مع وجود الدراسة المقارنة التي

تكمـل صورة الادب وعـلي ذلك فاذا اردت ان ترسم صورة كاملة للادب العـربي فلا بد ان تدرس كل ما من شأنـه ان يكـون قد اثر في تطور ذلك الادب عبر تاريخه الطويل سواء أكان ذلك المؤثر ادبا آخر اوفنا من الفنون اوفرعـا من فوع المعـرفـة . . اضف الى ذلـك ان الاداب التي تنتمي الى تراث ثقافي واحد يتأثر بعضها ببعض اقوى مما تتأثر بآداب لاتشترك معها في نفس الـتراث الثقـافي . . ومعنى ذلـك ان الحـاجة الى دراسة الاداب المشـتركـة مع الادب المـدروس في نفس الـتراث الثقـافي أشـد ولهذا فان دراسة الاداب الاسلامية تدع ضرورة ماسة بالنسبة لدراسة كل ادب من هذه الآداب . . ومعنى ذلـك انـه لابد ان يكون هناك تقارب في الدراسة الادبيـة ين بعض الاداب الاسـلامية ويعض . . وبذلك تظهر من جديد معـالم الـتراث الادبي الاسلامي التى طغت عليها ظروف الحياة الحديثة خلال القرنين الماضيين .

ولـذلـك فلا بد ان تترجم بعض الآداب الاسـلاميـة الى اللغـات الاسـلاميـة المختلفة وبذلك يتاح للقارىء المسلم معرفة عدد من الآداب الاسلامية بدلا من الاقتصار على أدب اسلامي واحد هو أدبه القومي . . ثم ان تدريس هذه النـماذج الاسـلامية الادبية في المراحل الاولى للتعليم

للنـاشئـة المسلمين يقوي وعيهم بوحدة الثقافة الاسلامية بل وحدة الحياة الاسلامية . . وبذلك يعود التراث الادبي الاسلامية الى سابق عهده . . وكل هذه الجهود تعد من صميم الادب العربي المقارن

وهنـا ودعت الاستـاذ الاديب عبدالكريم عبدالله نيازي على أمل ان

يتجدد اللقاء بناء دائما ومع الكلمة الصادقة البناءة . . ودعته لاتركه مع ضيـوفـه الادبـاء الـذين قدموا من مختلف انحاء العالم الاسلامي والذين يقضون اسعد ايامهم في مدينة مكة المكرمة . . المدينة الحبيبة على قلوب المسلمين جميعا .

«هذا الحديث نشر فى جريدة اليوم التى تصدر فى المنطقة الشرقية»

●●●

الكتـــاب القـــادم

أمريكا تحاول اللحاق

بالشمس الغاربة

فهرســت الموضوعـات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


تمت الطباعة بمطابع
دار العلم للطباعة والنشر
جدة - خلف شارع الصحافة
مجمع مؤسسة المدينة للصحافة
٦٧١٢١٠٠ - ص.ب ٨٠٧ برقيا: المنورة - تلكس ELEM ٤٠٣٥٠٠